



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع التربوي

الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية وتأثيرها على إنتاج المؤسسات الانتخابية

مجتمع ولاية الجلفة نموذجاً

إشراف:

أ.د. رميتة أحمد

إعداد الطالب:

عبد اللاوي عمر

السنة الجامعية: 2016 / 2017

الإهداء

أهدي عملي هذا للوالدين

الكريمين أطال الله عمرهما

وإلى جميع من ساهم في

تعليمي، وإلى أفراد عائلتي

كبيرها وصغيرها، وإلى كل

الزملاء والأصدقاء وجميع

الأحبة.

شكر وتقدير

الحمد لله نعمده على نعمه التي لا
تحصى ولا تعد، والشكر له على ما
هدانا إليه من علم وعمل، أتقدم
بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور:
أحمد رميته على تفضله بالإشراف
على هذا العمل، والشكر موصول
لرئيس لجنة المناقشة وأعضائها ولكل
من ساهم في إنجاز هذه الأطروحة
من قريب أو بعيد.

ملخص بالعربية:

تمثل الممارسات الاجتماعية الثقافية شكل من أشكال التنشئة الاجتماعية، إذ يتلقى الفرد نماذج من السلوك يقلدها ويحاكيها ليتمكن من التكيف مع المحيط الاجتماعي ومجتمعنا بمحافظته على نمط المعيشة التي اعتادها السلف وبتمسكه ببعض عاداته وتقاليد وأعرافه، فهو يعيد إنتاج المجتمع التقليدي القبلي، ويعيش أفراده حالياً ازدواجية (المواطنة والعرشية)، فنظرياً نجد على مستوى وسائل الإعلام ومؤسسات التربية والخطاب الرسمي يتم تداول كثير من مصطلحات المواطنة ومن أمثلتها المجتمع المدني والحرية الفردية والوطنية والديمقراطية والعدالة والشفافية وتكافؤ الفرص في الميادين المختلفة، لكن الواقع في بعض المناطق يعكس استمرار الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية ويكشف أن بعض الفئات والأفراد مازالوا يتعاملون بأدوات وأفكار مرتبطة بالحياة القبلية ومنها التعصب القرابي والقبلي والمناطقى والتعامل بمعاييرها وما ينجر عن ذلك من تكتل وصراع وإقصاء، قد يؤدي إلى تفكك اجتماعي وفقدان للعمومية والوطنية، كما أن ظاهرة العرشية تعدت العلاقات الاجتماعية إلى اختراق المنظومة السياسية والتأثير في الانتخابات المحلية فعوض أن تخضع عملية التنافس في الانتخابات المحلية لمعايير الكفاءة والبرامج السياسية الناجعة، أصبحت تخضع لمنطق العرشية، ففي بحثنا هذا حاولنا إبراز الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية ودورها كأداة للتنشئة الاجتماعية في ترسيخ العرشية واستمرارها في مجتمعنا، وإبراز تأثير العرشية في مسارات العملية الانتخابية التي تمثل إحدى ركائز بناء المجتمع المدني.

Résumé : L'effet des pratiques socio culturelles et tribales sur la reproduction des institutions électorales.

Les pratiques socio culturelles présentent l'une des formes de socialisation, où l'individu émet un type de comportement, afin de s'adapter avec le milieu social auquel il est habitué, il prend soin de ses traditions et ses mœurs héritées, pour garder et maintenir son appartenance familiale et tribale, l'individu vit une double personnalité entre la citoyenneté et le tribalisme.

Théoriquement et à travers les médias, le discours officiel et les établissements scolaires ...etc., on parle toujours de la citoyenneté, la fraternité, l'égalité, et des constituants fondamentaux de la société algérienne, alors : il a été constaté qu'à chaque fois quand l'individu est appelé à pratiquer ses droits et ses obligations nationaux, notamment en ce qui concerne les élections législatives, l'individu oublie tous ces principes et revient à son caractère de tribalisme, le choix de l'homme qu'il faut n'est qu'un noir sur blanc, l'individu exprime encore son attachement étroit à ses traditions héritées de ses ancêtres.

Donc à travers cet exposé j'ai voulu montrer l'effet de pratiques tribales et traditionnelles sur la société sociale et politique, ces pratiques ont dominé les institutions politiques pendant la reproduction des assemblées élues et cela garantir la continuité du tribalisme dans la société civile récente.

مقدمة:

إنّ الشروع في دراسة موضوع الممارسات العرشية (القبليّة) في مجتمع ما، يدعونا أولاً إلى تحديد مفهومها والمفاهيم المرتبطة بها، لإرشاد القارئ وتوجيه فكره نحو موضوع الدراسة دون إحداث لبس أو خلط، فمصطلح العرشية يعني نزعة الانتماء للعرش أو القبيلة على حساب الانتماء للوطن والأمة، فنجد على عكس المجتمعات الغربية التي تسعى للإتحاد وتوسيع حيز الانتماء وتجسده في شكل هيئات عالمية كالاتحاد الأوروبي مثلاً، المجتمع العربي في بعض المناطق يسعى للتفكك وتقليص حيز الانتماء بإحياء النعرات والانتماءات الأولية (العشيرة - القبيلة) ويتعامل أفرادها على أساس هذه الانتماءات في ممارساتهم اليومية في الفضاءات المختلفة، كما يدعونا إلى التطرّق للبيئة الطبيعية والجغرافية محل الدراسة بما تحتويه من ظروف طبيعية ونظام بيئي جغرافي من جهة ومن جهة أخرى للتنظيم الاجتماعي والبنى والعمليات الاجتماعية ونمط المعيشة وما تفرزه من ثقافة وعلاقات اجتماعية فقد يرتبط بعضهما بالآخر.

فقد ذهب الفيلسوف الفرنسي فيكتور كوزان (Victor Cousin) إلى ما ذهب إليه العلامة ابن خلدون في إشارته لتحكم البيئة الطبيعية في طبائع البشر وخصائص المجتمعات بقوله "حين نحصل على خريطة لبلد معين تحدد تضاريسه ومناخه ومياهه ورياحه وكل جغرافيته ومنتجاته الطبيعية وأنواع النبات والحيوان التي توجد فيه - فإننا نستطيع أن نحدد بصفة أولية كيف يكون السكان، وكيف يكون الإنسان الذي يعيش في هذا البلد، وما هو الدور الذي سوف يلعبه في التاريخ بالضرورة وليس عن طريق الصدفة"¹ فالمجتمع ليس فقط تجمع أفراد بل هو حيز ذو طابع إنساني يطبق تنظيمًا معينًا، يصف البروفيسور هوبهوس المجتمع بأنه "مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام

¹ - محمد عبده محبوب، الاتجاه الأنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة مطبوعات، د.ت. الكويت، ص: 67

الاجتماعية والأهداف المشتركة والمتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ¹، ولقد ارتبط وجود القبيلة (العرش) بالمجتمع التقليدي الرعوي في البيئة الصحراوية أو أطرافها حيث موارد البيئة الطبيعية قليلة وهو ما يفرض على المجموعات القبلية نظاما اجتماعيا متكيفا يستدعي التنقل دائم ونوع من التنافس والصراع.

لقد حاولنا فهم ديناميكية هذا المجتمع من خلال فهم العلاقات الداخلية بين الأفراد والخارجية بين الجماعات، تتميز العلاقات داخل العشيرة أو القبيلة (العرش) بالحياة الجماعية، أما العلاقات الخارجية فتتميز بالتقابل والتنافس، فالفرد لا يمثل أي شيء خارج الجماعة، فلا بد من التعاون لإشباع الحاجيات الإنسانية المتنوعة والمتجددة وهو ما يصفه إميل دوركايم بالتضامن الآلي نظرا لتماثل أفراده وشح الموارد الطبيعية وضعف وسائل الإنتاج، لذا يربطهم ويسودهم الضمير الجمعي حيث يسيطر الشعور بالانتماء للجماعة على فكر الفرد وفعله وأي خروج عن القواعد والأعراف يؤدي به إلى الإقصاء والتهميش، ويدعمه وجود اعتقاد بالانحدار من نسب مشترك ومصير مشترك يبعث إلى الحميمية والثقة بين أعضاء الجماعة ويدفعهم للتعاون والتساند والتجاور وسواد الأفعال التضامنية فيذوب الفرد في الجماعة ويولي لها الانتماء والولاء التام.

فالقراية ما زالت إلى يومنا هذا تعدّ من أمتن الروابط الاجتماعية المشكلة للنسيج الاجتماعي الذي يقوم على مبدأ الأخوة في الدم والنسب التي تفرض التضامن وتبادل المنافع والمناصرة، وبتشابك الأنساب بين العائلات والعشائر يتسع ويقوى ذلك النسيج عن طريق المصاهرة والحلف فتتصهر داخله أغلب المتناقضات وتختفي الخلافات ويتم التكامل والاندماج الاجتماعي في وحدة أكبر حجما وأدق تنظيميا وقد عُرِفَت الوحدة الجديدة بالقبيلة (العرش).

¹ - ر.بودون، ف.بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1986، ص:226.

للقبيلة (العرش) امتداد تاريخي طويل فقد عرفت البيئات الصحراوية في إفريقيا وآسيا النظام القبلي وكان المجتمع العربي مجتمعا قبليا، وقد وُصفت القبيلة بالتضامن الشديد بين أفرادها وسمو بعض المواقف والقيم كالشجاعة والكرم والجمعية والحرية والتضحية والتضامن وفي نفس الوقت تبرز التعصب القبلي كموقف لئِن وجامع لأبناء القبيلة وخشِن ومتشدد من الآخر الذي يُتَوَقَّع أَنَّهُ منافسا لها على الموارد وينال من مال القبيلة أو عرضها أو مجال سيطرتها وهذا ما يفسّر الحروب القبلية المستمرة قديما وحديثا.

تخضع القيادة في القبيلة لمعيار القوة والغلبة حسب تعبير العلامة ابن خلدون من خلال قوة العصبية التي ينتمي إليها القائد، فالقيادات تستند إلى قوة العصبية القبلية وعن طريق هذه الأخيرة تتشكل الدولة ويطول عمرها "الملك هو غاية العصبية"¹، فقد ربط العلامة ابن خلدون بين العصبية القبلية والرياسة وأكد أن العصبية القبلية ضرورية لمن يسعى إلى الملك، ولا يحصل عليه إلا من له الغلبة، فالنسب القوي يرشح الفرد للرياسة ويمكنه من الملك، والدولة أو الإمارة عند ابن خلدون تتمثل في الأسرة الحاكمة وما يتبعها من قرابة وخدم وجند، في كلا الوسطين البدوي والحضري وداخل فضاءاتهما المتعددة وفي المناسبات يتم إعادة إنتاج الشخصية والقيم والمعايير القبلية، فبالتنشئة الاجتماعية يكتسب الفرد شخصية متميزة ومواقف ثابتة من أعضاء قبيلته أو عشيرته ومن الآخر، وبحثنا هذا سيلقي الضوء عن بعض الممارسات الاجتماعية الثقافية ذات الطابع القبلي في مجتمعنا المعاصر، وسنكشف ميدانيا عن إعادة إنتاج بعض القيم والمعايير والعادات والتقاليد التي ورثها مجتمعنا عن أسلافه وحافظ على وجودها وسنتطرق إلى تأثيرها التربوي والسياسي.

إن الخطاب السياسي في المجتمعات العربية كثيرا ما كان يصف هذه المجتمعات بالمدينة مشكلة من مؤسسات وبيروقراطيات ومنظمات مستندة إلى قوانين تنظيمية على النموذج

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، الفصل التاسع، منشورات دار القلم، بيروت، ط7، 1989، ص340.

الغربي، لكن سقوط الدولة في بعض المجتمعات العربية على إثر ثورات الربيع العربي كشف عن ضعف مدنيّة هذه المجتمعات، وقد ساهمت عدّة عوامل في تفكك أو اصر الدولة وسقوط مؤسساتها، وحال التعصب القبلي (العرشي) والطائفي (المذهبي) دون إعادة بنائها في عدة دول عربية منها اليمن وليبيا وسوريا، وللكشف عن استمرار الهوية التقليدية وظاهرة الممارسات العرشية في مجتمع المؤسسات المعاصر يتطلب أولاً الوقوف على تاريخ الظاهرة وتجلياتها ومظاهر كمونها وفعاليتها وما نجم عنها من تأثيرات على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، وعن العمليات الاجتماعية التي أعادت إنتاج الظاهرة اجتماعيا وثقافيا وساهمت في توظيفها سياسيا في مجتمعنا، اخترنا لهذه الدراسة عنوان:

الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية وتأثيرها على إنتاج المؤسسات الانتخابية.

تم تقسيم البحث إلى بايين نظري وميداني، ونفصلهما في ستة فصول يسبقها مدخل يحدد الإطار المنهجي للدراسة ويشمل تحديد الإشكالية والفرضيات وأهداف الدراسة وأهميتها ويتعرض للدراسات السابقة وأسباب اختيار الموضوع، فالفصل الأول من الباب النظري نخصه للتراث السوسيولوجي للعرش والممارسات العرشية في الدراسات القديمة والحديثة على اختلاف تناولاتها وتتبع رتابة الظاهرة أو تغييرها عبر المراحل التاريخية وشرح المفاهيم المرتبطة بالموضوع كالعرش والعصبية، أما الفصل الثاني فنعرض فيه للتنشئة الاجتماعية وعلاقتها البناء الاجتماعي وسنركز على الدور التربوي والسياسي للعرش داخل المجتمع ونبرز دور القرابة في العلاقات العامة وتأثيرها في التنشئة الاجتماعية والتوعية السياسية، بينما سنخصص الفصل الثالث لعملية الانتخابات في الجزائر كسلوك حديث في الممارسة السياسية وتجلياتها المحلية وتأثرها بالخصائص النوعية للمجتمع ومنها القبلية(الممارسات العرشية).

يشمل الباب الميداني الفصل الرابع الذي سنخصصه للإجراءات العملية للدراسة ثم نتطرق في الفصل الخامس للخصائص الاجتماعية التي تطبع مجتمع البحث في ولاية الجلفة وخارطته القبلية وممارساته وتفاعلاته اليومية وقيمه وتقاليدته والبيئة الجغرافية السهبية التي تتميز بها، وتجليات العرشية من خلال الممارسات الاجتماعية والثقافية وانعكاسها على التوعية السياسية، وفي الفصل السادس سنبرز تأثير الممارسات العرشية في إنتاج المؤسسات المنتخبة من خلال الوقوف على الواقع السياسي المحلي ورصد استراتيجيات الفاعلين السياسيين والأحزاب وتوظيفهم للمعطى القبلي في الانتخابات إضافة إلى تحليل نتائج الانتخابات المحلية البلدية والولائية للتحقق من صحة الفرضيات ومنها الوصول إلى نتائج دقيقة وينتهي البحث بخاتمة وتوصيات.

مدخل

البناء المنهجي للبحث

تمهيد:

1- تحديد الإشكالية

2- الفرضيات

3- أهداف البحث

4- أهمية البحث وأسباب اختياره

5- منهج الدراسة

6- تحديد المفاهيم

7- الدراسات السابقة

مدخل: الإجراءات المنهجية للدراسة:

1- تحديد الإشكالية:

إن النظر لما آلت إليه المجتمعات العربية كالعراق وليبيا واليمن بعد عقد من دخول القرن الواحد والعشرين من سقوط لمؤسسات الدولة وتفشي الفوضى بسبب الثورات والحروب بين المجموعات المتطاحنة ذات انتماءات تعصبية قبلية اثنية ومذهبية طائفية متعددة هدمت كل ما تم بناؤه وتحقيقه خلال الحركية التاريخية لهذه المجتمعات، هذا الوضع إنما ينم عن وجود أزمة معقدة ذات بعد سوسيو ثقافي، وكل ما تم تحقيقه من تنمية وأمن ووحدة كان سطحياً، فقد تكون تنشئة الأفراد على الإقصاء والتهميش والإكراه والقهر الاجتماعي وعدم المشاركة الحقيقية هي التي أفضت إلى تفكك عضوي داخلي لجسد الأمة والدولة الوطنية وأدت إلى زوال لحمتها وظهور الوحدات الأولية للمجتمع أي العشيرة والقبيلة والطائفة حيث دخلت في التنافس والمواجهة والصراع ثم الدخول في تحالفات وحروب أذكتها المصالح الخارجية للقوى الإقليمية، فأدخلت المجتمعات العربية في دوامة من العنف والقتل والتشريد والانقسامية حالت دون إعادة تشكيل مؤسسات الدولة وبناءها من جديد.

إنّ العصبية القبلية(العرشية) تعدّ من أهم عناصر الصراع في المجتمع ولها الدور المهم في نشأت الدول وسقوطها فهي تمثل "سندان وقوام الحياة السياسية لجل الدول العربية بها تقوم السلطة تنحل متى اهتزت توازنات النظام الاجتماعي والسياسي العصبوي، وتتزود من طاقتها الاجتماعية حركية الصراع السياسي الداخلية وتنطبع بها، على النحو الذي تتحول معه العصبيات إلى بنى ومؤسسات مباشرة في حالات، أو إلى مصدر توليد وإفرازات المنظمات والأحزاب الممثلة لعصبياتها في حالات أخرى حتى التمثيل المؤسسي نفسه يخضع لهذا التكوين، تنشأ البرلمانات وأشباه البرلمانات ومجالس

الشورى ومجالس الأعيان من معين ذلك النظام العصبوي وتفصل على مقاسه¹ والتعصب القبلي يشتد ويقوى وتظهر العرشية في الممارسات والقرارات عندما يمر المجتمع بأزمات وخاصة منها السياسية، ويعبر عن ذلك الكاتب اليمني مطاع الصفدي في تحليله للصراع السياسي في عدن سنة 1986 بقوله: "إذا بالصراعات الايديولوجية تنزاح في لمحة عين لتحل محلها كل بدائية الشعائر القبلية ... أي يبرز إلى الوجود ذلك النموذج التاريخي، وهو أرومة العصبية القرابية والدموية ليحكم ويحطم كل الانتماءات الايديولوجية المستحدثة والملصقة على جبين الإنسان وجسده من الخارج فقط"² فالقبيلة(العرش) والقبليّة(العروشية) في المجتمعات العربية لم تقضي عليها عوامل التغيير المذكورة سالفا بل أعيد بعثها من جديد، وهو ما أكده الباحث محمد نجيب بوطالب في قوله: " لم تستطع إجراءات التغيير أن تلغي البنية القبلية وتفككها في كل المستويات وفي جميع الدول، خصوصا في المستويين الثقافي والنفسي"³ ولعل المجتمع الجزائري بخصائصه الاجتماعية والجغرافية لم يخرج عن دائرة المجتمعات العربية ذلك أن الصحراء تمثل أكثر من 90% من المساحة الكلية، وهو مزيج من العرب الفاتحين والبربر كسكان أصليين هذا الامتزاج كان نتيجة التشابه في العادات والتقاليد ونمط العيش والتقبل الطوعي لتعاليم الدين الإسلامي من طرف البربر، وهذا ما أشار إليه الباحث "ألفريد بل" في قوله: " إن البدو العرب والبدو البربر يتشابهون في الأخلاق وفي نوع الحياة وكلاهما في نفس المستوى الثقافي ولا يفصل بينهما الدين، فإنه لا شيء وقف في سبيل الامتزاج العنصري بينهما، أو على الأقل الوجود معا في القبيلة بين بطون عربية وبتون بربرية"⁴ العصبية القبلية تعتبر أحد أهم عوامل التنافس والصراع الداخلي

¹ - أنظر محمد بن يوب، القبيلة والدولة في الجزائر من الغزو الاستعماري إلى عهد الدولة الوطنية، أطروحة دكتوراه دولة في الانثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد يتلمسان، سنة 2007/2008 ص:05

² - مطاع الصفدي، تجديد النهضة(اكتشاف الذات ونقدها)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992، ص: 88

³ - محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة، سلسلة أطروحات الدكتوراه، م.د.و.ع. ط1، بيروت، 2002، ص:25

⁴ - ألفريد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا، ترجمة عبدالرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص:311

في البيئات الريفية وفي بعض القرى والمدن وتعتبر كذلك خلفية لبعض السلوكيات داخل المؤسسات الاجتماعية الرسمية وفي الفضاءات العمومية كالأسواق والملاعب والمقاهي كتعبير عن الأصالة بإحياء التراث الثقافي التقليدي القبلي وما يميزه من رموز وتفاعلات، وقد ظهر في الآونة الأخيرة وخاصة في بعض المناسبات كالانتخابات تداول بعض الشعارات والرموز القبلية وتوظيف الروابط القرابية والحس القبلي في التعامل الرسمي وغير الرسمي واعتبار العرش كمعيار تصنيفي للمواطنين، والملاحظ أن فترة الانتخابات يتضاعف فيها التوتر وتطغى النبوة العرشية وتبرز فيها التحالفات السياسية القبلية " يلعب سلوك التقليد داخل المجتمعات التي تطغى فيها الجماعة على الفرد دورا هاما في جميع مستويات النشاط الاجتماعي وبالأخص على المستوى السياسي، ويعمل هذا السلوك كحافز لتحويل أنظمة التحالفات التقليدية إلى منظمات سياسية عصرية"¹ ومن هذا المنطلق سنتساءل عن واقع وفعالية العرشية (العصبية القبلية) في مجتمعنا... وعن الكيفية والآليات والأساليب المتبعة في إحيائها... و عما إذا كان العرش يمثل مصدرا للسلطة السياسية في مجتمعنا المعاصر، سنعتمد في بحثنا على الخصائص الاجتماعية والجغرافية وما تفرزه من ثقافة لنتمكن من معرفة ما إذا كانت هذه الظاهرة ستؤول في مجتمعنا إلى الانقطاع أو ستستمر، وبذلك سنتساءل عن دور الممارسات العرشية في العملية السياسية ومدى تأثيرها على الأفراد وعلى بناء وسير المؤسسات الانتخابية بصياغة السؤال التالي:

ما تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية في إنتاج المؤسسات الانتخابية؟

¹ - جون والتربوري، أمير المؤمنين (الملكية والنخبة السياسية المغربية)، ترجمة عبد الغني أبو العزم وآخرون، مؤسسة الغني للنشر، طه، الرباط 2013، ص:126

2- الفرضيات:

من المؤكد أنّ الأحداث التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري قد أثرت كثيرا في بنيته حيث ضعف دور القبيلة (العرش) في تسيير المجتمع من خلال هدم هياكلها فلم يبقى لشيخ القبيلة أو العشيرة وزنه المعهود ولا لبيت العرش ولا القوانين العرفية المرتبطة بالقبيلة وسلطتها السياسية، ومن الملاحظ أنّ القبيلة بعد الاستقلال قد تقلصت سلطتها بعد انصهار المجتمع الجزائري بجميع مكوناته في بوتقة الثورة التحريرية التي تحددت كل الانقسامات ووحدت جميع الجزائريين، وبعد الاستقلال تشكلت هياكل الدولة ومؤسساتها العمومية الخاضعة لقوانين الجمهورية ولم يبقى للقبيلة وجود مادي هيكليا وتنظيميا، ولكنها بقيت موجودة في ثقافة الأفراد وتطبع بعض الممارسات في تفاعلهم اليومي، وتختفي أحيانا ثم تظهر بشكل جلي في بعض المناسبات والأحداث.

بقي النسيج الاجتماعي محافظا على تماسكه في كثير من المناطق الداخلية من خلال بعض الممارسات الاجتماعية كالتضامن والتلازم والزواج الداخلي والتعاون والتزاور بين الجيران والقراة والتقارب المجالي فكل فئة قبلية أو عشائرية تسكن مع بعضها البعض في حي واحد أو قرية واحدة حتى أن تسمية الحي أصبحت أحيانا عرشية (حي أولاد فلان، أو الفلانيين)، وبعض القرى يسكنها قبيلة أو عشيرة واحدة دون اختلاط إضافة إلى بعض العوامل منها المحافظة على الأرض العرشية، واستمرار نمط المعيشة الرعوي والزراعي، والتمسك ببعض القيم والعادات القبلية كتقديس جد القبيلة من خلال طقوس يعاد إنتاجها في مهرجانات سنوية (الطعم أو الوعدة) وأثناء زيارة الأضرحة والمناسبات الاحتفالية والانتخابية إضافة إلى المبالغة في استعمال الروابط القرابية خاصة في العلاقات الرسمية، فنجد أنّ "أحد الأشخاص الذين وجدوا منصبا مناسبا يستطيع تسهيل كل الإجراءات لصالح أقاربه (الشغل-السكن) وهذا بحكم مكانته"¹، ومما ساعد على ذلك

¹ _P . Bourdieu "Algérie 60 " Edition minuit· Paris·1977·P60 .

ارتباطها بتعاليم الدين الإسلامي التي تحت على صلة الرحم والإحسان للأقارب والعمل على وحدة المجتمع، ونتج عن تلك الممارسات ترسيخ منظومة العادات والقيم في المخيال والذاكرة الجماعية، مما ساهم في سواد ثقافة محافظة متمسكة بالموروث التقليدي ومقاومة للتغيير، فهذه الممارسات يتم توارثها عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة وبين الأقارب، وقد يزداد تمسك الفرد بترائه القبلي من خلال تبني وتبادل الرموز القبلية والمشاركة في إقامة المهرجانات والاحتفالات المرتبطة بالعرش والثقافة التقليدية، فتم توعيته بمكانته ودوره الفعال داخل الجماعة القرابية ويحمل على عاتقه نقل التراث القبلي والثقافة المحافظة، كما يتم التطبيع الاجتماعي من خلال التوعية السياسية للفرد والتي تتمحور حول تحديد موقع الفرد انطلاقاً من مستوى عائلته وعشيرته من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والدينية وتاريخها القبلي وعلاقتها بالمجموعات المجاورة والتي عادة تكون منافسة وبالتالي يحدد موقعه ومركزه على خريطة الفاعلين، فكل عائلة أو عشيرة لها مستوى ومكانة محددة ومعروفة يحسب لها وعلى أساسها تتحدد طبيعة التعامل معها وأما علاقة الفرد بالدولة فقد بقيت طبيعية لكن في إطار الجماعة عائلية أو عشائرية التي تحميه من بطش الدولة إن أخطأ وتضمن حقوقه عندها، وبالتالي فتنشئة الفرد تتأثر بالمحيط الاجتماعي والعناصر المكونة له.

إنّ المنظومة التربوية والإعلامية الرسمية لها دور فاعل في تنشئة الأفراد وتكوين شخصيتهم، لكنها لم تولي الاهتمام الكافي بترسيخ الوعي ببعض القيم والثوابت الوطنية كقيم المجتمع المدني والمرجعية الدينية والثورية والوطنية، مما فسح المجال أمام توظيف المعطى القبلي في الحياة الاجتماعية والسياسية وتفشي بعض الأفكار وبعض الممارسات منها التعامل بمعيار القرابة والجهوية على حساب القانون في المؤسسات الرسمية للدولة يقول د.عدي الهواري بهذا الصدد "من جهة يتطلع الفاعلون إلى تشكيل أمة مدارة من

دولة القانون، ومن جهة أخرى يتعلقون بتثنية ذات محتوى سلالي¹ فينشا الفرد في إطار (العرشية) حيث يكون له في كل مؤسسة أو فضاء عضو فاعل ينتمي إلى العرش أو المنطقة ملتزم بخدمة أقاربه أو أبناء منطقته قبل الآخرين ولو على حساب القانون ويسخر إمكانيات المؤسسة لصالحهم وبالتالي يحقق أهداف العرش ويلتزم بتطبيق توصياته في العلاقات الرسمية وغير الرسمية في حياته اليومية ويصف د.عدي الهواري المجتمع الجزائري " كمجموعة سياسية من الجماعات العائلية مترابطة بالتضامن الميكانيكي حسب مفهوم دوركهايم... إن الجزائر يعاد انتاجها كمجموعة وطنية من الجماعات العائلية متلاحمة بالمخيل الجينالوجي"² ورغم عوامل التغير التي تعرض لها المجتمع الجزائري لم تفقد ثقافته التقليدية سيطرتها يرى سليمان مظهر أن " الثقافة التقليدية الجزائرية تتميز بقدرة كبيرة على مقاومة التيارات الثقافات الوافدة على المجتمع الجزائري، حيث ابتلعت القيم الإسلامية وقولبتها حسب مزاجها ثم تصدت للاستعمار، ورفضت الاشتراكية ثم اقتصاد السوق وأخير هزمت الديمقراطية"³ ويتم تقوية الروابط القرابية والقبلية خاصة بحلول بعض المناسبات الاجتماعية والسياسية (الانتخابات)، ومن هذا الواقع نخلص إلى فرضيتين أساسيتين.

- **الفرضية الأولى:** الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية تجعل الممارسات الرسمية داخل الأحزاب والمؤسسات العمومية تخضع للمعايير القبلية.

- **الفرضية الثانية:** الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية توّظف العصبية القبلية والجهوية في مراحل العملية الانتخابية.

¹ -Addi la houari، Les mutations de la Société algérienne, Ed La Découverte, Paris,199,p30

² - أنظر بن يوب محمد، مرجع سابق، ص:06

³ -Medher Slimane, L'échec Des Systèmes politique en Algérie – ed chehab – Alger- 1999 .

3- أهداف البحث: لا بد للبحث العلمي من أهداف يسطرها الباحث مسبقا يسعى إلى تحقيقها، وبالتالي يكون البحث الاجتماعي هو السبيل الأمثل لكشف القوانين المتحكمة في الواقع الاجتماعي وللتعرّف على العلاقات التي تربط الأحداث الاجتماعية وآليات التغير الحاصل فيها وتعين على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية من خلال تنظيم العمل العلمي ويمكن حصر أهداف بحثنا في النقاط التالية:

- محاولة الإجابة عن أسئلة الإشكال المطروحة التي تخص استمرار الممارسات العرشية كعنصر فاعل في الممارسة السياسية.
- تسليط الضوء على واقع القبيلة وعلاقات القرابة في المؤسسات الرسمية.
- حصر مختلف الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية كوسيلة للتنشئة الاجتماعية وكتراث تقليدي في مجتمع ولاية الجلفة.
- الكشف عن الدور الذي تلعبه الممارسات العرشية في تحقيق النفوذ الاجتماعي والسيطرة القبلية على مجريات العملية الانتخابية.
- إظهار تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية في تنشئة الأفراد وفي المنظمات (المؤسسات).
- إبراز كيفية تعامل المنظومة السياسية بمؤسساتها الرسمية وهيئاتها الحزبية مع الثقافة العرشية.
- إثراء البحث العلمي وتوفير نتائج ومعلومات تساعد في طرح توصيات ومقترحات علمية مهمّة ودقيقة لمساعدة المجتمع على تنمية السمات الإيجابية والمرغوب فيها لدى الأفراد والجماعات لتحقيق الوحدة والاندماج الوطني، وتسمح بنقل المجتمع نحو التحديث والتقدم والرفق.

4- أهمية وأسباب اختيار الموضوع:

(أ) - الأهمية:

- تبيّن الدراسة ما إذا كان للبنى التقليدية حضور في المجتمع الجزائري المعاصر من خلال الممارسات الاجتماعية والثقافية ومحاولتها التحكم في قضايا المجتمع المصيرية.
- تفسر هذه الدراسة خلفية التماسك الاجتماعي الذي يتميز به المجتمع الجزائري رغم عوامل التفكيك التي يتعرض لها مرة بعد أخرى.
- نفهم من خلال هذا البحث دور روابط القرابة والعلاقات الاجتماعية داخل مؤسسات وبيروقراطيات المجتمع الحديث.
- تكشف لنا هذه الدراسة عن بعض النواذ والمنابر التي يخاطب من خلالها مجتمعنا.
- يمكننا هذا البحث من فهم مسارات التغيير وسبل التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري.
- تقدّم هذه الدراسة للباحثين مادة أولية للبحث في مجالات البناء الاجتماعي والنظم والأنساق الاجتماعية والسياسية من خلال دراسة مجتمعنا المحلي والبحث عن ما يلائمه من تنظيمات سياسية.
- تفتح الدراسة آفاق جديدة للبحث السوسيوولوجي والأنثروبولوجي حول الوظيفة الاجتماعية والإيديولوجية للقبيلة ومركزية نسق القرابة في المجتمعات العربية.

(ب) - أسباب اختيار الموضوع:

يعتبر اختيار موضوع البحث في العلوم الاجتماعية أمر دقيق ابستمولوجيا ومنهجيا، ولا يكون هذا الاختيار اعتباطيا بل يخضع لشروط منها إمكانيات الباحث واستعداداته وقدراته الفكرية والمادية وتخصصه، إضافة إلى ارتباط الباحث بموضوع بحثه من خلال الملاحظات والقراءات ووضوح الأهداف،

واختيارنا لهذا الموضوع يعود لأسباب موضوعية منها كون هذه الظاهرة الاجتماعية (العروشية) مرتبطة بمواضيع ونظريات علم الاجتماع يحدد لنا هذا البحث مجالاً مهماً في المجتمع وهو البناء الاجتماعي يمكن من خلاله تحليل ودراسة الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري، والكشف عن العوامل التي تقف وراء استمرار البنى التقليدية وإعادة إنتاج ظاهرة العروشية بإيجابياتها وسلبياتها، فالموضوع مرتبط بتطور المجتمع والاندماج والتكامل الاجتماعي الوطني الذي غاب في بعض المجتمعات العربية مما جعلها تسقط في مستنقع العنف والصراع، فالموضوع يمسّ كيان المجتمع وأمنه ووحدته وجدير بالدراسة، كما أنّ الدراسات والبحوث الاجتماعية في هذا المجال قليلة.

أمّا الأسباب الذاتية منها دافع الفضول الكامن داخل كل باحث والرغبة الشخصية في تناول هذا الموضوع بحكم معاشتنا للظواهر محل الدراسة وبحكم الضغط الذي تمارسه علينا أسئلة الإشكال وتجربنا على خوض غمار البحث وخاصة إذا كان لدينا القدرة والاستعداد كما أنّ الإحساس بالمسؤولية تجاه القضايا التي تمسّ المجتمع يدفع الباحث إلى دراسة الظواهر التي تميّز بيئته الاجتماعية من أجل كشف القوانين المتحركة في سير المجتمع، وتفسير وتبرير وضعه الحالي، ومحاولة رصد المشكلات التي تعيق نموه وتقدّمه واقتراح الحلول لإزالتها أو على الأقل التخفيف من ضررها.

5- منهج الدراسة:

موضوع الممارسات العروشية متشعب وخاصة عند تحليل جانبه التربوي وعلاقته بالسياسي، فتطبيق منهج واحد في هذه الدراسة يعجز عن الإحاطة بجميع جوانبه، لذا تمت الاستعانة بعدة مناهج، منها المنهج التاريخي لتحليل الدراسات السابقة الملامسة لموضوع البحث والاستفادة من الوقائع والمراحل التاريخية ولتتبع تجليات الظاهرة وكشف مظاهر

التغيّر والرتابة في بنى المجتمع وعناصر ثقافته، وفهم ومعرفة الواقع وتفسير الملاحظات الراهنة انطلاقاً من قاعدة الحاضر سليل الماضي، كما أن دراسة الواقع الاجتماعي ورصد تجليات الظاهرة تستدعي استخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى بناء صورة تمثيلية لواقع الظاهرة من أجل إعطائها التفسير الصحيح، فهو أساسي ومناسب لهذه الدراسة حيث يقوم " بدراسة الحقائق الوصفية الراهنة المتعلقة بطبيعة الظاهرة الاجتماعية أو موقف أو جماعة من الناس والأحداث"¹، كما أننا وظفنا المنهج السوسيو الأنثروبولوجي بالاعتماد على الملاحظة والمعاشية ومعرفة أصول الفئات المشكلة لكل الاجتماعي وعلاقتها فيما بينها وتأثرها بالثقافة التقليدية ومعرفة كيفية إعادة إنتاجها وتحليل السلوكيات والممارسات واستخلاص دلالاتها السوسولوجية، ويمكن استخدام المنهجية الاثنية لفهم وضعية هذه الجماعات وعلاقتها في إطار تباين انتماءاتها وأصولها والأهداف والاستراتيجيات، كما استخدمنا المنهج الوظيفي الذي يمكننا من معرفة وظيفة الظاهرة المدروسة وتحديد دورها وتتبع الممارسات الثقافية الاجتماعية وما تمليه من قيم ومبادئ ورموز، قد تؤثر في مواقف وسلوكيات الأفراد ووعيهم السياسي، فالخلفيات الذهنية والموروثات الاجتماعية الثقافية لها وظيفتها وأثرها العميق في الأوساط الاجتماعية فهي تجري مجرى الدم في العروق، وبالتالي فاستخدام منهج واحد لا يمكن من الإلمام بالموضوع لهذا يجب الاستعانة بعدة مناهج متكاملة، يشير إحسان محمد الحسن في كتابه (أسس البحث العلمي) إلى وجوب " استعمال أكثر من طريقة منهجية للحصول على المعلومات والحقائق المطلوبة في البحث العلمي"²

إنّ دراسة موضوع الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية كظاهرة تمس جميع مناحي الحياة، تتطلب مناّ توظيف عدّة مقاربات، فبدءاً بالمقاربة الخلدونية التي تتمحور حول

¹ - عبدالباقى زيدان، قواعد البحث الاجتماعي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص:34

² - محمد إحسان حسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986، ص:17

العصبية كميون أساسي في الطبيعة البشرية ودورها في الحياة الاجتماعية والسياسية لاعتبار هذه المقاربة من أعرق وأشمل الدراسات التي أجريت على منطقة المغرب العربي التي مازال الباحثون الاجتماعيون حتى اليوم ينهلون منها، فقد قدمت لنا قاعدة نظرية ومنهج علمي ميداني لا يمكن لأي باحث تجاوزه، إن اعتماد المقاربات السوسيولوجية الحديثة التي تستخدم النظريات الحديثة ضروري فهم أبعاد الظاهرة وتأثيرها وتأثرها بالبيئة المحيطة واستخدام تقنيات علمية كالملاحظة والمقابلة والمسوح وتحليل المضمون، فلكون الظاهرة العروش والعروشية تمس البناء والتنظيم الاجتماعي فلا بد من توظيف نظريات البنائية الوظيفية وما تقدمه من قواعد لتحليل جسد المجتمع كعضوية مشكلة من أجهزة وظيفية متساندة، "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد الحمى والسهر"¹، وما دام المجتمع القبلي يمثل حقل للتنافس بين المجموعات القبلية وفضاء لإثبات الذات الفردية والجماعية، فإنه يتحتم علينا توظيف نظريات الصراع وما تقدمه من مبادئ وأساليب في تحليل وفهم الواقع الاجتماعي، ومن جهة أخرى فإن التفاعل اليومي والممارسات المتنوعة ما هي إلا رموز لذلك سنعتمد على نظريات التفاعلية الرمزية في الكشف عن الرموز أو الأفعال وما ترمي إليه، وانعكاسها على تنشئة الأفراد بشكل مباشر وغير مباشر في الفضاءات المختلفة وخاصة أثناء المناسبات المرتبطة بالقبيلة كالزورة والوعدة ومجالس الصلح والحفلات والولائم.

استخدمنا في بحثنا أدوات منهجية متنوعة للإحاطة بالموضوع منها تقنية الملاحظة بالمشاركة التي كانت أداة الكشف عن الظاهرة المدروسة وأساس البحث الاستطلاعي لكوننا أحد أعضاء المجتمع المدروس ومعاشنتنا له واندماجنا فيه، واستعنا بأداة ثانية وهي تحليل المضمون اعتمادا على القوائم الانتخابية

¹ - حديث شريف، أخرجه البخاري(6011)، ومسلم (2586).

وتحليل نتائج الانتخابات، كما استخدمنا تقنية المقابلة حيث استعملنا هذه التقنية لرصد مختلف التبريرات والمواقف حول موضوع العروشية في مجتمع البحث لأن هذا النوع من الأدوات يفسح المجال أمام المبحوث لإبداء رأيه وموقفه ويكشف عن مشاعره ورغباته بكل حرية وفي نفس الوقت نتحكم بطريقة ذكية في توجيه الحوار نحو نقاط محددة وهو ما يساعدنا على رصد الحقائق وخلفيات السلوك، كما استعملنا تقنية الاستمارة فقد وزعنا أسئلة الاستبيان على عينة الدراسة لرصد وتحليل مختلف جوانب الموضوع بشكل علمي ورياضي.

6- المفاهيم الأساسية:

(أ) - المفهوم الإجرائي للممارسات الاجتماعية:

هي كل الأفعال والأنشطة ذات الطابع الاجتماعي وتتمثل في العلاقات الاجتماعية من زواج ومصاهرة وتعاون وتضامن ومناصرة وتزاور وتبادل منافع في ميادين المتعلقة بالمعيشة والحياة اليومية، هذه الأفعال منطلقة من قناعات مستندة إلى وعي واعتقاد جماعي بالوحدة القبلية والمصير المشترك وتحديد الحقوق والواجبات من منطلق سواد الجماعة على الفرد والمصلحة الجماعية عن الفردية.

(ب) - المفهوم الإجرائي للممارسات الثقافية:

هي كل النشاطات ذات الطابع الثقافي من رموز وسلوكيات (أقوال وأفعال) يقوم بها الأفراد تعبيراً عن مكونات حسية وإيرازا لشخصية متميزة وأسلوب حياة معيّن وإعادة إنتاج لمنظومة من العادات والتقاليد والقيم والمعايير المتفق عليها، ونماذج التفاعل اليومي وأنماط المعيشة والعلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات، و من أمثلتها ما يحدث في المناسبات العائلية والأسواق الأسبوعية المهرجانات الشعبية التي تقام محليا كل سنة وما يحدث فيها من نشاطات فولكلورية وفكرية وترفيهية ذات تعبير رمزي على كيانات

اجتماعية وعن أحداث أو وقائع تاريخية، كما تظهر من خلال الإنتاج الأدبي كالشعر والقصة والرواية الشعبية وما تحمل من أفكار ومواقف أمثال وحكم تشكل في مجموعها ذاكرة جماعية ومخيال جماعي وصور ذهنية موحدة ورأسمال رمزي يقتدى بها تساهم في التوعية وتوجيه المجتمع بتكويناته المتعددة.

ج) المفهوم الإجرائي للممارسات العرشية (القبليّة): وتعني القبليّة (tribalism)، وهي ظاهرة اجتماعية تتجلى في بعض الممارسات الاجتماعية والثقافية المتعلقة بالقبيلة، وقد تسمّى عصبية أو فتوية ومن مظاهرها التفاخر بالنسب وجعله معيارا للتفاضل بين الأفراد والجماعات، وإخضاع التفاعل الحاصل بين أفراد المجتمع لاعتبارات قبليّة (عروشية)، وتسمى بالتعصب القبلي الذي يجبر الأفراد المنتمين إلى القبيلة على نصره بعضهم بعضا ضد الجماعات الأخرى من منطلق تصنيفي (نحن/هم) فكل فرد له اعتقاد راسخ بأنه سيجد العون والمساعدة من بني قبيلته، ولاستمرار هذا النسق يفرض على أعضاء القبيلة تبعات وواجبات مشتركة فكل واحد منهم يشعر أنه مسؤول عن جماعته ويقابله شعور متبادل من القبيلة كلّها، وتنشأ لدى الأفراد عواطف تجمعهم بسبب اعتقادهم بالنسب المشترك بينهم لانحدارهم من نسل رجل يسمّى جدّ القبيلة أو العشيرة، فيوظف الفرد كل طاقاته وإمكاناته حتى الرسمية منها لفائدة أبناء قبيلته، فيتعصّب الفرد لأبناء قبيلته سواء كانوا ظالمين أو مظلومين ضدّ كلّ من هو خارج القبيلة ويحجب هذه المساعدة والنصرة عن الغريب.

د) - المفهوم الإجرائي للقبيلة (العرش):

هي مجموعة من الأسر(عائلات) تعيش ضمن إقليم معيّن وتتحدّث لغة واحدة وتنتمي إلى نسب واحد (الجد) يضمن وحدتها وألفتها عن طريق عصبية الدم، وقد يكون هذا النسب حقيقيا أو وهميا، وتمثل القبيلة تنظيما اجتماعيا تضمنه القوانين العرفية التي تحدد

الوظائف وتضبط العلاقات الداخلية والخارجية والحقوق والواجبات وتعكس القيم والمعايير والعادات والتقاليد، وتعتبر القبيلة جهازاً إيديولوجياً.

(هـ) - المفهوم الإجرائي للمؤسسات الانتخابية:

هي هيئات رسمية حديثة تابعة للدولة على المستوى البلدي والولائي والوطني، مشكلة من أفراد من المجتمع تم انتخابهم في اقتراع رسمي مكونين لمجالس تمثل المجتمع في الأوساط الرسمية، وتمثل هذه المجالس والإدارة التابعة لها جهازاً تشريعياً يسن القوانين ويراقب ويسير المشاريع التنموية بتطبيق القوانين البيروقراطية التنظيمية بشكل يحدد الحقوق والواجبات ويضمن الرقي والرفاهية للمجتمع، ومن أمثلتها المجالس البلدية والولائية والبرلمان والجمعيات والأحزاب والنقابات ومجالس الإدارة في بعض المؤسسات كالغرفة الفلاحية والصندوق الوطني للتعاون الفلاحي واللجان متساوية الأعضاء ولجان الخدمات الاجتماعية وغيرها، باعتبارها مؤسسات لها مقرات وقوانين تنظيمية وموارد مادية وبشرية، وكلها تتكامل وتجسد المجتمع المدني المبني على مبادئ منها المواطنة والعدالة والنزاهة والشفافية والديمقراطية.

(و) - المفهوم الإجرائي للانتخابات:

هي أداة للتعبير عن اختيار أفراد المجتمع لممثلين عنهم في المجالس البلدية والولائية والوطنية وتتم كذلك على مستوى مؤسسات القطاعات المختلفة والشركات لتمثيل الأفراد في مجالس منتخبة كنقابات أو منظمات أو مجالس الإدارة والتسيير، وذلك بالتصويت على أفراد أو فئات، في إطار القواعد الديمقراطية التي تستوجب الشفافية والعدالة والنزاهة وهي تلك العملية السياسية التي من خلالها يحقق المجتمع ممارسة سيادته حيال قضاياها المنتظمة في القوانين ومواد الدستور عن طريق تفويض من ينيبون عنه ويمارسون السلطة باسمه في إطار مجتمع مدني تكون فيه السلطة للشعب.

7- الدراسات السابقة والمشابهة:

تعتبر دراسة القبيلة (العرش) والتي تتمحور حول نظرية العصبية (العروشية) في مقدمة العلامة ابن خلدون من أقدم الدراسات الاجتماعية لهذا تعد مرجعية من حيث المعارف والمنهج لكل الدراسات التي تمس هذا الموضوع ولا يمكن لأي باحث تجاوزها، إضافة إلى دراسات أخرى لباحثين عرب وأجانب تعرضت للظاهرة وقدمت تحليلات حول المجتمع العربي عامّة والجزائري بالخصوص من أبرزهم محمد عابد الجابري، حليم بركات، بيار بورديو، ومصطفى بوتنفوشت، وجاك بيرك وغيرهم، لنستفيد من الأفكار والمناهج ونعود إليها دورياً لتوجيه بحثنا، كما سنقدم ثلاثة نماذج من الدراسات نرى أنها أقرب البحوث التي اطلعنا عليها من موضوع بحثنا.

1.7- الدراسة الأولى: لمحمد خداوي بعنوان: "دور النزعة القبلية في الانتخابات"¹

وهي رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، هدفت الدراسة أكاديمياً إلى توظيف المعارف والأساليب الأنثروبولوجية لفهم أبعاد النزعة القبلية وعوامل استمرارها في ظل متطلبات العصر الحديث والتحقق من مدى ملائمة السلوك السياسي العشائري لمتطلبات التنمية الحديثة وتقديم عرض عام حول ثقافة الانتخاب عند العربي كما هدفت تطبيقياً إلى المقاربة الأنثروبولوجية بين ثقافة المجتمع العربي بسماته الأساسية المتمثلة في الانتماء والولاء القبلي وبين الديمقراطية كنموذج غربي تجسده الانتخابات.

- انطلقت الدراسة من قراءة سوسيو انثروبولوجية للمجتمع العربي وحاولت الربط بين الثقافة السياسية السائدة عموماً والثقافة الانتخابات خصوصاً وبين مستويات النسق السياسي من منطلق الاعتبارات القبيلة والدين والمقدس والعادات والتقاليد ومتطلبات العصر، وكان السؤال الرئيسي كالتالي: هل النزعة القبلية مازالت تمثل خصوصية ثقافية

¹ - محمد خداوي، دور النزعة القبلية في الانتخابات، رسالة ماجستير، جامعة أوبكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، 2006/2005.

في مجتمعنا، وتؤثر على تشكيل الثقافة السياسية والانتخابات؟ وتفرعت عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الثانوية حول الدور السياسي للقبيلة والتساؤل عن حقيقة ثقافة الانتخابات في المجتمع العربي وعن مدى تعارض النظام القبلي مع دولة القانون وعن إمكانية الحديث عن التعددية الحزبية في ظل النزعة القبلية.

- اعتبر الباحث أن النزعة القبلية سمة معترف بها في المجتمع العربي بإيجابياتها وسلبياتها، ولها جذورها في الحضارة العربية تأصلها العادات والتقاليد الموروثة، فالقبلية لها دور مهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيد إنتاج نفسها من خلال آليات التنشئة الاجتماعية بالرغم من تأكلها بفعل الموروث الاستعماري الذي حولها عن مسارها الطبيعي حيث تم تشويهها من طرف الاستعمار فأجج سلبياتها وقضى على إيجابياتها، وأكد أن الصراع السياسي في المجتمع العربي هو صراع قبلي بالدرجة الأولى، كما أشار إلى أن الديمقراطية والتعددية الحزبية كنموذج غربي ينتافى وسمات مجتمعنا العربي ووصف هذا النموذج بالتغريب الذي يؤدي إلى التناقض رغم نموه ونجاحه في أوروبا، لكن ذلك لا يمنع تكييف قالبها العام مع السمات الثقافية لمجتمعنا الذي لا يخلوا تراثه من مفاهيم الشورى والمبايعة.

- قام الباحث بتوظيف المناهج التالية:

أ - المنهج الوصفي: وصف البناء الاجتماعي عن طريق جمع المادة الأكاديمية المتوفرة في الدراسات التاريخية والاجتماعية ومقاربتها مع واقع المجتمع الحالي.

ب - المنهج الوظيفي: ربط البناء الاجتماعي بهيكله ومؤسساته وأشكاله المورفولوجية بالوظيفة التي يؤديها، تقليدا لمالينوفسكي.

ج - المنهج المقارن: استخدام أسلوب المقارنة بين البناء القبلي التقليدي وآلياته السياسية وبين الانتخاب كأسلوب ديمقراطي غربي.

- توصل الباحث إلى أنّ السمات الثقافية للمجتمع العربي تؤكد تجذر القبلية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيد إنتاج نفسها من خلال آليات التنشئة الاجتماعية لتحافظ القبيلة بل وتؤكد الدور السياسي الذي تلعبه على جميع المستويات، وتأكد لديه حضور العلامة ابن خلدون الذي كان سابقا لعصره من خلال استخدامه لمفهوم العصبية ودورها في الملك.

- أكد الباحث صحة فرضيته التي تشير إلى ثقل الموروث الاستعماري على المجتمع العربي الذي حول القبيلة عن مسارها الإيجابي واستعملها في بعض الأحيان في زرع الفتن والتفرقة من أجل إحكام سيطرته على الأرض والشعب، وجعل البعض يعتبرها حاليا معوقا في وجه التنمية، ويشترط لتنمية المجتمع العربي وتجسيد تحوله الديمقراطي التخلي عن الهياكل التقليدية المتأكلة.

- وجد أنه بالرغم من كون الديمقراطية والتعددية الحزبية نماذج غربية لا تتماشى في صورتها الأصلية مع حقائق تاريخ وثقافة المجتمع العربي، فإن ذلك لا يمنع من تكيف قلبها العام مع السمات الثقافية لمجتمعنا الذي لا يخلو تراثه من مفاهيم الشورى وأهل الحل والعقد والمبايعة وأن تبني القبيلة لآليات التحديث السياسي وتوظيف هذه الأخيرة للعصبية لأهداف سياسية من خلال صور شبكة العلاقات الاجتماعية والزبائنية السياسية ليست سمة الدول المتخلفة عامة والمجتمع العربي خاصة، بل نجدها حتى في الدول المتقدمة الغربية، العريقة في البناء الديمقراطي.

- كشف عن قيام الغزو الثقافي الغربي بتغريب المجتمع العربي وتقزيم موروته الثقافي وخصوصياته المتمثلة في عناصر ومقومات شخصيته وبناء التقليدية واعتبارها من مظاهر

التخلف والدونية أمام النموذج الغربي، وأوصى بضرورة التمسك بذلك الموروث الخصب ونفض الغبار على بنائنا الاجتماعي وتنقيته من الشوائب التي كانت وراء مأسسة¹ الانتماء القبلي.

2.7- الدراسة الثانية: لمحمد نجيب أبو طالب بعنوان: "سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي"²

وهي جزء من معدل من أطروحة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، وكانت تهدف إلى دراسة مظاهر تواصل بعض محددات البنية الاجتماعية القبلية في العالم المعاصر، وهي بنية ما انفكت في الفترة الأخيرة تحرك واجهات الأحداث محليا وإقليميا ودوليا على حد قوله، وقد ركز اهتمامه على جزء مهم من المجتمع العربي وهي المجتمعات المغاربية ذات التقاليد العريقة في الظاهرة القبليّة.

- تمحورت إشكالية الدراسة حول معالجة التحولات التي عرفت المجتمعات المغاربية، في إطار مقارنة سوسيولوجية لمفهوم الاندماج الاجتماعي وتساءل الباحث عن مدى استمرار أو انقطاع فعالية النظام القبلي في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك في وجود سياسات وخطط "التنمية الشاملة"، وإلى أي مدى استطاعت الدولة الوطنية بمشروعها التغييري تفكيك مرتكزات المجتمع التقليدي، وقدرتها على إنشاء مجتمع عصري خصوصا في المناطق ذات التقاليد العريقة في حضور النزعة القبليّة.

ومن الإشكاليات السوسيولوجية التي يطرحها البحث ما يتعلق باختبار بعض الأطروحات التي تراكمت عبر إنتاج المعرفة العلمية حول مجتمعات المغرب العربي، بدءا بآبن خلدون

¹ - تشكل المأسسة فارقا بين الدول المتقدمة والدول النامية من منظور مؤسساتي، حيث الأولى تتمتع بمؤسسات ثابتة ومستقرة يتوفر لها إطار قانوني دستوري، أما الثانية فتغلب عليها ظاهرة الشخصنة السياسية التي تربط مستقبل المؤسسة بالقائد، والمأسسة هي إحدى أساليب ممارسة السلطة حيث يرتبط بنائها بالتطور الاجتماعي والعلاقة مع القوى الاجتماعية داخل النظام السياسي من شأنها أن تحدد مستوى الجماعة السياسية التي يتوقف مستقبلها على مستوى أداء هذه المؤسسات.

² - محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.

وعالم الاجتماع الفرنسي (هانوتو - ولوتورنو) Hanoteau et Letourneux وتنظيراتهم حول المسألة القبليّة التي انقطعت مع مونتاني Montagne وصولاً إلى الأطروحات الأنثروبولوجية التقليدية والأنثروبولوجية الوظيفية، كما يسعى هذا الطرح إلى إزالة الغشاء الإيديولوجي عن بعض أشكال التناول. يرى الباحث أنه من الضروري البحث في مدى صحّة فرضية دوركهايم Durkeim حول " التضامن الآلي "

في المجتمع القبلي، وضرورة توسيع دراسة (هانوتو ولوتورنو) وتعميمها لتشمل القبائل البربرية في مناطق أخرى والقبائل غير البربرية، كما أنه وصف التصور الخلدوني بأنه تصور سكوني ذي التاريخ الدائري، واستغنى عنه لأنه أشبع درسا ونقدا وتعرض لمفهوم "نمط الإنتاج الآسيوي" (الماركسية) كمثال لا يكاد يجد مبرراته الإجرائية في المنطقة، ومصطلح الدولة الباتريمونيلية (Patrimonialisme) كواحد من مفاهيم فيبر M.Weber التي تحتاج إلى المزيد من التأكد من إمكانية تطبيقها على ضوء متابعة الحركة التاريخية للتجمعات ذات الإرث القبلي في منطقة المغرب العربي وعلاقتها بالدولة المركزية.

الأحداث اليومية في الأرياف المغاربية تشكل هاجسا بالنسبة إلى الباحث الاجتماعي المتخصص كما تطرح عليه تساؤلات عميقة حول مصير الأحكام النظرية المتعلقة بالتحول الاجتماعي وحضور الدولة، وكذا حول تبلور أدوار الفاعلين في المجتمع المدني ومدى تفكك البنى التقليدية وانتشار نظام التحديث وتبدل هوية الأنماط الإنتاجية الجديدة. ولذلك يجب تتبّع الحراك الاجتماعي والبحث عن مدى استمرار التحالفات القبليّة في ظل نظام اجتماعي تحكمه محدّدات الدولة الوطنية؟ وهل يمكن اعتبار هذه التجلّيات والتشكيلات ذات الأصول القبليّة "المعاصرة" في المدن المركزية والجهوية عبارة عن ردّ على التدمير الذي أصاب المجتمع التقليدي في موقعه الأصلي؟ وما هي الكيفيات التي تسعى بها إلى إعادة بناء ذاتها وإعادة إنتاج علاقات العصبية القبليّة؟

- لم تستطع إجراءات التغيير أن تلغي البنية القبلية وأن تفككها في كل المستويات وفي جميع الدول خصوصا على المستويين الثقافي والنفسي.

- إنّ الإجراءات التي أحدثتها عهد الاستعمار ثم الدولة الوطنية في المغرب العربي عملت بالتدرّج على تفكيك البنية القبلية وخلخلة البناء الاجتماعي التقليدي وتمّ إدماج المجتمع القبلي في المجتمع الوطني. لكن هذه الإجراءات لم تستطع إلغاء المحدّدات الثقافية والنفسية للبنى التقليدية التي بقيت تتمظهر في أشكال متخفية. وفي مقابل انقطاع البنى القبليّة عبر التّحديث يتواصل وجودها عبر الظواهر القرابية والعشائرية كتعبيرات عن ردّة فعل اجتماعية تسعى إلى إعادة بناء ذاتها وإعادة إنتاج علاقات إستمراريتها. والملاحظ أنّ المجتمعات العربية تتميّز بحضور المتناقضات والجدليات والثنائيات بشكل يلفت الانتباه فهناك واقع يتميّز بثنائية استمرار التقليدي في الحداثي والعصري في القديم... أنماطا ونماذج متداخلة ومتعايشة.

- ثمة أطروحة سياسية تعتبر أنّ الدولة في العالم النامي بقدر مقاومتها للبنى التقليدية في جيلها الأول أي مع بداية الاستقلال تتعامل معها تعاملًا جزئياً أو كلياً في جيلها الثاني فهناك دولا تعتمد على إثبات شرعيتها لضمان استمرار تحكّمها واسترجاع إشعاعها عن طريق توظيف العصبية القبلية أو الطائفية وذلك بعد أن كانت في العقود الأولى للاستقلال تعتمد على الشرعية السياسية المستمدة من النضال من أجل التحرير. وإشكالية القطيعة والتواصل تفسر كذلك بازدواجية الانتماء لدى الفاعلين، فالاندماج الوطني لم يبلغ الاندماج في الدوائر الأولية.

- فرضت طبيعة هذا الموضوع "المنهج التعدّدي" نظرا لأبعاده المختلفة وتنوّع الظواهر وتعدّدها مما دفع الباحث إلى توظيف عدّة مفاهيم وعدّة تقنيات وأدوات وبالتالي عدّة مقاربات.

أ- المنهج التاريخي المقارن: يعتمد على دراسة النظم والظواهر التي تفرض نفسها لتحليل الإشكاليات والفرضيات في سياقها التاريخي وفي أبعادها الاجتماعية المختلفة.

ب- المنهجية الإثنوية (Ethnomethodologie) : وخصوصا في متابعتها لتشكيل الوضعية الاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين، ضمن ممارستهم اليومية، والكشف عن الرموز التي يلجؤون إليها لتشكيل كينونتهم وتنفيذ استراتيجياتهم، فالفاعل بين الأنا(الذات الفردية) والأخر(الذات الجماعية) ما هو سوى تفاعل رمزي، ولذلك فالدراسة تستفيد من مقاربات التفاعلية الرمزية خصوصا في تركيزها على الفعل والتفاعل والرمز وهي عناصر تساعد بشكل خاص على فهم الممارسات الطقسية وهي ممارسات يتكرر وجودها في المجتمع ذي التقاليد القبلية.

ج- منهج نظرية الصراع الاجتماعي: الذي يمثل أداة للبحث في آليات الحركة الاجتماعية في المجتمع القبلي والجدليات الاجتماعية.

د- المنهج الجدلي: ويفضي لمتابعة عملية التغيير الاجتماعي خصوصا في متابعة العلاقة بين البناء الفوقي والبناء التحتي.

- استنتج الباحث أن حصول الاندماج الوطني لم يبلغ علاقة المجتمع المحلي بتاريخه، هذه العلاقة لم تكن مجرد علاقة استنكار أو استلها م تراثي، بل تتجاوز ذلك إلى إعادة إنتاج العلاقات القبلية في كثير من المناسبات. تفككت القبيلة هيكليا وبنويا ولكنها استمرت ثقافيا ونفسيا ووظيفيا.

- وتبين له أن الأحداث السياسية والعسكرية والدينية التي تطبع الصراع في بلدان الجنوب تحركها نوازع ما "تحت وطنية" كالقبليّة والإثنية والطائفية.

- وجد أنّ توظيف شبكة العلاقات القرابية في الأنشطة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

أهم مظاهر استمرار العلاقات الأولية وحضورها الفاعل في المجتمع المحلي ذي التقاليد القبلية العريقة.

- توصل إلى أنّ حضور المعطى القبلي في الخطاب اليومي في المشرق أكثر من المغرب وهذا ما يجسده الخطاب الإعلامي السياسي والثقافي، ولقد تعاملت الدولة الوطنية في المغرب العربي مع المعطى القبلي بأسلوب متوتر ولم تعترف به رسمياً.

3.7- الدراسة الثالثة: للباحث محمد بن يوب بعنوان: القبليّة والدولة في الجزائر من الغزو الاستعماري إلى عهد الدولة الوطنية¹.

وهي أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الانثروبولوجيا من جامعة أوبكر بلقايد بتلمسان هدفت إلى دراسة مظاهر تواصل محددات البنية الاجتماعية القبليّة في العالم المعاصر والتي لا تزال حسب قوله تحرك أحداثاً محلياً وإقليمياً ودولياً وكشف عن مظاهر التداخل بين التنظيم القبلي والدولاتي خلال مراحل تطور بناء الدولة الوطنية الجزائرية محاولاً توصيف الواقع الاجتماعي-السياسي الجزائري ومبرزاً محدودية التحديث السياسي من خلال استمرار أو انبعاث العشائرية بشكل يعاكس سلطة الدولة ناقداً بذلك طريقة تعامل الدولة مع الظاهرة القبليّة، كونها عاملاً أساسياً يعيق مسارات التنمية.

- انطلق الباحث من إيداء اعترافه بأن الحس القبلي قد أعيد توظيفه في الحياة السياسية والاجتماعية من جديد، والقبيلة كشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي تشهد حالة من الانبعاث لأسباب مختلفة، إما بمعزل عن الدولة أو تماشياً مع رغبتها، وتؤدي دورها على أشكال مختلفة في التعبير والممارسة، وقد تشكل قوى ضاغطة هدفها السيطرة ومن هنا تساءل عن سبب إخفاق العرب والجزائريون في تأسيس دولة حديثة وثبتوا عند دولة

¹- محمد بن يوب، القبليّة والدولة في الجزائر من الغزو الاستعماري إلى عهد الدولة الوطنية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الانثروبولوجيا من جامعة أوبكر بلقايد بتلمسان، 2008/2007.

الطاغية والقبيلة والعشيرة والفئة والزمرة والمصالح الضيقة وطرح مجموعة من الأسئلة حول علاقة الدولة الوطنية بالمجتمع القبلي، والصور المتبادلة بينهما عبر فترات من التفاعل، وهل أن استكمال بناء الدولة الوطنية يعني القطيعة مع التراث القبلي؟.

- اقترح الباحث فرضية القطيعة والتواصل من خلال تحليله للواقع العربي عامة وبالخصوص المجتمع الجزائري الذي ما تزال بنيته الاجتماعية في حاضره القريب يهيمن فيها العرش والقرابة والعصبية هيمنة قوية، فبنية العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية عامة في بلداننا العربية هي بنية متخلفة تسوده ازدواجية يتعايش فيها المضمون المتخلف مع الشكل الحديث، إضافة إلى ازدواجية الانتماء، ويفسر استمرارية النزعة القبلية في واقعنا متوافقة مع طبيعة الدولة نفسها عبر نظامها السياسي ومرجعياته الايديولوجية ومؤسستها، فهي تعيد إنتاج القيم القبلية بأشكال مختلفة، كما تحولت الدولة إلى أداة للسيطرة وتركيم الثروة والتحالفات بين النخب الحاكمة المغلقة والمتعسكرة في الغالب والأقليات الاجتماعية المتماهية في الغالب مع أقليات إثنية وطائفية وحتى قبلية، في فضاءات متعددة، كما استنتج من خلال تحليله لعلاقة القبيلة بالدولة عبر التاريخ العربي الإسلامي أن القبيلة ليست نقيض للدولة وإنما بناء اجتماعي تراثي مكمل لها.

- يتميز هذا الموضوع بأبعاد مختلفة ممتدة في المكان والزمان، وما يترتب عن ذلك من تنوع الظواهر وتعقدها، وهو ما سيفرض علينا اللجوء إلى توظيف عدة مفاهيم مفتاحية وعدة تقنيات وأدوات وبالتالي عدة مقاربات أي تعددية في المناهج، فالمنهج التاريخي المقارن يعتبر المحور الذي تدور حوله المنهجيات الأخرى، كما اعتمد على المنهجية الإثنية *Ethnométhodologie* كأسلوب يوظف في متابعة تشكل الوضعية الاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين ضمن ممارستهم اليومية وكشف الرموز التي يلتجئون إليها لتشكيل ذاتيتهم وتنفيذ استراتيجياتهم.

استند الباحث إلى مجموعة من الدراسات التي تناولت البناء القبلي وفي طليعتها تجليات ابن خلدون التي لم تستطع مقاربات السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين تجاوزها، كما تشكل أعمال الجابري إطارا نظريا كامتداد للخلدونية، إضافة إلى الدراسات المتعلقة بالتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري ومن أبرزها الدراسات المنجزة من طرف جاك بيرك ومصطفى الأشرف وعدي الهواري وعلي الكنز، كما تطلب البحث عمل ميداني من خلال ملاحظة الفاعلين في الوضعيات التي تعيد إنتاج القبيلة وخاصة أثناء الوعدات والانتخابات، ووضع مجموعة من المؤشرات يمكن قياسها لإبراز مدى تغير الهياكل القبلية إلى هياكل عصرية جديدة.

- أثبتت الدراسة أن القبيلة تعرضت للتغيير والتأثر من دون أن يؤدي إلى إضعافها، غير أن تأثيرها يتفاوت بين المشرق والمغرب العربيين، كما أشارت الدراسة إلى قيام مراكز سياسية دولانية في الفضاء المغربي الما قبل الاستعماري وأعطى أمثلة عن دول تشكلت في الجزائر ومن أبرزها دولة الأمير عبدالقادر، داحضا بذلك الأطروحة الكولونيالية التي صورت المنطقة على أنها مجموعات قبلية متصارعة ومتمردة عن سلطة الدولة، كما حلل العلاقة بين القبيلة والدولة ضلت تطبعها دائما إرادة الدولة في فرض سيادتها ومنطقها وعبر عن هذه العلاقة بمفهوم الإدماج الذي يعني تحويل الولاءات الفردية والجماعية من القبيلة والجهة إلى ولاءات غير وراثية تجسدها الدولة ومؤسساتها.

بقيت العلاقة بين القبيلة والدولة عبر التاريخ المغربي الطويل (في زمن الرومان والموحدين والمرابطين) تتراوح بين التحالف والصراع أو التمرد على سلطة الدولة إلى أن أصبحت القبيلة هي المحرك للتاريخ في المنطقة المغربية، حيث لا تؤسس الدولة إلا بوجود عصبية قبلية حسب الدورة الخلدونية.

- بدأت عملية الإدماج الحقيقية تتجسد مع تشكيل إرهابات الدولة الجزائرية الحديثة مع دخول الأتراك إلى المغرب العربي، وبعد سقوط الدولة البايكوية أصبحت القبيلة في

الواجهة لتتصدى للدولة الكولونiale، وفي نفس الوقت بعث الدولة الجزائرية من جديد تجلت في مشروع دولة الأمير عبدالقادر نتجت عنها تنظيمات قلصت من تأثير ونفوذ القبيلة، وبعد سقوط الدولة الفتية عمد الاستعمار إلى تطبيق استراتيجيات متنوعة تخضع القبيلة وتفككها، لم ترضخ القبيلة للضغوط الاستعمارية بل ساهمت في إشعال الثورة بتوظيف العصبية القبيلة والمناطقية والتضامات الأسرية لتجنيد عناصر جديدة ودعم الثورة، إن أول المشكلات التي واجهت الدولة الجديدة بعد الاستقلال هي الانقسامية المجتمعية الموروثة من القبلية وتمظهراتها الجهوية والمناطقية والاثنية والعصبوية.

- اعتبرت الدراسة أن انبعاث القبلية في الواقع الجزائري تتدرج ضمن عودة المكبوت ويمكننا رصد تمظهراته في قبلة الفضاء المدني، التأثير في السلوك الانتخابي، قبلة الإدارة العمومية والعنف القبلي، ساعد على عودة المكبوت عوامل منها: وزن العادات والتقاليد من خلال التنشئة الاجتماعية الأولية الأسرية والأمثال الشعبية والوعدة من جهة ودور النظام السياسي ومنطقة الباتريمونيالي الجديد من جهة أخرى.

- أوصى الباحث بإعادة النظر في علاقة القبيلة بالدولة في الجزائر بالاعتراف بالقبيلة كموروث ثقافي أولا ونقده بطريقة موضوعية وتوظيف قيمها الايجابية من أجل تقوية الدولة ومأسسة القبيلة دون أن يخل ذلك بسلطة الدولة.

4.7- نقد الدراسات السابقة:

أ- نقد الدراسة الأولى: قام الباحث بتوظيف المعارف والأساليب الأنثروبولوجية لفهم أبعاد النزعة القبلية وعوامل استمرارها في ظل متطلبات العصر الحديث والتحقق من مدى ملائمة السلوك السياسي العشائري لمتطلبات التنمية الحديثة وتقديم عرض عام حول ثقافة الانتخاب عند العربي عموما، وفي بحثنا اقتصرنا على مجتمع ولاية الجلفة كشريحة أو عينة تحمل جل سمات المجتمع العربي إلا أن الاختلاف يكمن في الرواسب التاريخية

والظروف السياسية، فعلى سبيل المثال تختلف حدّة القبليّة وسلطتها ونظام الحكم من مجتمع عربي لأخر وعلاقته بالاستعمار فبعضها تعرّضت للانتداب وأخرى للاستعمار الاستيطاني، ومن هنا فقد يختلف مصير القبليّة بين الاستمرارية والانقطاع وخاصة في ظل التقلبات السياسيّة الحاليّة والثورات العربيّة.

تتقاطع هذه الدراسة مع موضوع بحثنا في ربطها لظاهرة القبليّة بعملية الانتخابات ولاست كثيرا من القضايا التي نهتم بطرقها في موضوعنا وتختلف في الأولويات فالباحث أولى الاهتمام كثيرا للجانب السياسي في دراسته للقبيلة والقبليّة إلا أننا في بحثنا نركز على الجانب التربوي وإعادة إنتاج القبيلة والقبليّة من خلال الممارسات اليوميّة الاجتماعيّة والثقافيّة ومنه إعادة إنتاج المؤسسات المنتخبة.

ب- نقد الدراسة الثانية: ركّز الباحث في هذه الدراسة على المفاهيم المتعلّقة بالقبيلة والإثنية وأجلى كثيرا من الغموض، كما عرض الباحث المقاربات التي تناولت القبيلة وقام بنقدها جميعا ووصفها كلّها بالقصور رغم تباينها وتحليلها الواقع القبلي من وجهات نظر مختلفة، دون أن يقدم بديلا مقنعا يجيب عن كل التساؤلات المطروحة ويعطي تفسيراً دقيقاً للعوامل التي ساهمت في المحافظة على استمرارية وجود هذه الظاهرة في المغرب العربي، ولم يفصّل في موضوع النظام القبلي الذي يعتبر كنسق اجتماعي ولم يوضح علاقته بالأنساق الأخرى ماعدا إشارته للنسق السياسي ولم يتطرّق الباحث كذلك في هذه الدراسة للمؤسسات الاجتماعيّة التي من شأنها أن تعيد إنتاج هذا النظام وتحافظ عليه، نتفق هذه الدراسة مع بحثنا في كون ظاهرة القبليّة متجذّرة في مجتمعنا وننقّق في تحديدنا للعامل الأساسي الذي يقف وراء بعض السلوكيات التي تطبع العلاقات الاجتماعيّة داخل المجتمع وهو التعصب القبلي، سواء كان ذلك بشكل جلي أو متخفي لا يكتشفه إلا ذوي الخبرة والاختصاص.

ج- نقد الدراسة الثالثة: قدم الباحث دراسة تاريخية للقبيلة كبناء اجتماعي وكنظام سياسي تفاعل طيلة المراحل التاريخية السابقة مع إرهاصات تشكيل الدولة الجزائرية منذ الوجود التركي إلى العهد الاستعماري وبعد الاستقلال الوطني، ووصفها بالتراوح بين التحالف والصراع أو التمرد على سلطة الدولة إلى أن أصبحت القبيلة هي المحرك للتاريخ في المنطقة المغاربية، حيث لا تؤسس الدولة إلا بوجود عصبية قبلية حسب الدورة الخلدونية وأثبت فشل مشروع الدولة التحديثي في استزراع قيم المصلحة العامة والولاء للدولة وعلل ذلك بكون القبيلة كتكوين تقليدي لا تزال فاعلة في سلوك وذهنية الفاعلين الاجتماعيين وقام بنقد تعامل الدولة مع المعطى القبلي واستغلاله لتنفيذ أهداف ثانوية وآنية لا تفيد استراتيجيات الدولة الحديثة.

اعتبر الباحث أن انبعاث القبلية في الواقع الجزائري تتدرج ضمن عودة المكبوت ورصد مظهراته في قبلنة الفضاء المدني، والتأثير في السلوك الانتخابي، وقبلنة الإدارة العمومية والعنف القبلي، وهو ما يتوافق مع طرحنا وخاصة عندما أشار إلى العوامل التي ساعدت على عودة المكبوت وهي: وزن العادات والتقاليد من خلال التنشئة الاجتماعية الأولية الأسرية والأمثال الشعبية والوعدة.

* جميع الدراسات السالفة الذكر أثبتت وجود العرش كبناء وتنظيم اجتماعي تقليدي والعرشية كطابع ثقافي وكمكون نفسي يحدد المواقف والاتجاهات ويحرك السلوك، كما رصدت مظهرات العرشية داخل الفضاءات العمومية والإدارة من خلال الممارسات العرشية في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية وأوصت بضرورة التفاعل مع القبلية (العرشية) كمعطى فرضه الواقع والتاريخ، واعتبرت أن القبيلة (العرش) لم تكن مناقضة للدولة ويمكن استثمار إيجابياتها، تبقى هذه الدراسات في الإطار العمومي لعدم تقديمها لنظرة واضحة لمستقبل العروشية في المجتمع الحديث وعدم تقديمها كذلك للبدائل العملية وللآليات والأساليب التي تحقق التوافق بين عمليات التحديث التي انتهجتها الدول العربية

في حضور البنى والممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية، وعدم إيجاد إجابات مقنعة على الأسئلة المطروحة التي تحدد أدوات واستراتيجيات الإقلاع الحضاري، وتكشف عن معوقات الانتقال إلى مصف الدول المتقدمة وتبين الأسباب الحقيقية لسقوط مجتمعاتنا في مستنقع العنف الذي أتى على الأخضر واليابس.

بحثنا هذا سيفتح نافذة جديدة لدراسة القبيلة (العرش) والقبلية (العرشية) وذلك بالكشف عن دور التنشئة الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة في استمرارية التقليدي ضمن الحدائي من خلال توارث الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية التي تعبر في واقع الحال عن ببطء عملية التغير الاجتماعي وعدم الانتقال إلى مجتمع حديث على غرار المجتمعات العصرية الصناعية، وسيعرفنا هذا البحث على مؤسسات اجتماعية تعيد إنتاج القيم والمعايير وتحافظ على العادات والتقاليد كالأسرة والمسجد حيث تضمن تواصل التقليدي في الحدائي ويركز بحثنا عن تحديد دور الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية كمعطى تقليدي في اختراق المنظومة السياسية الحديثة، وتأثيرها الفاعل في إنتاج المؤسسات الانتخابية الحديثة، هذه البيئة التي يفترض أن تنشط فيها جمعيات المجتمع المدني والأحزاب السياسية متنوعة المشارب والإيديولوجيات لتكريس التعددية السياسية من خلال برامجها واستراتيجياتها التنموية ومرجعياتها، وبحثنا سيفسح المجال أمام دراسات وبحوث تمكن من استخلاص الجوانب الإيجابية لظاهرة الممارسات العرشية لاستثمارها في فائدة المجتمع، واستخلاص السلبيات ومحاولة معالجتها لتجنب المجتمع أضرارها، وعلى هذا الأساس يمكن للمهتمين بإصلاح المنظومة التربوية الاستفادة من مثل هذه البحوث لتوضيح الرؤية المستقبلية للمجتمع والعمل على توحيد جهود جميع المؤسسات الاجتماعية التربوية والإعلامية والرياضية والسياسية حول غاياته مشتركة.

الباب

النظري

الفصل الأول: التراث السوسيولوجي للعرش (القبيلة) والعروشية (القبليّة)

تمهيد:

1 - مفهوم العرش (القبيلة) والنظام العرشي (القبلي)

2- الأشكال المرفولوجية للبناء القبلي

3- وظائف ومحددات النظام القبلي (العرشي)

4- مفهوم العروشية (القبليّة Tribalisme)

5- الأسرة و القرابة

6- المقاربات النظرية للعرش (القبيلة)

7- تاريخ القبيلة (العرش) في المجتمع العربي والجزائري

خلاصة الفصل

الفصل الأول: التراث السوسولوجي للعرش (القبيلة) والعروشية (القبيلة):

تمهيد:

إن موضوع بحثنا يتطلب التعرض للبناء الاجتماعي والتنظيم السائد فيه والعمليات الاجتماعية السارية لفهم النسق ككل متكامل، فنعرض للوحدات الأولية في بناء المجتمع وأصغرهما الأسرة بمختلف أشكالها، وللقبيلة كوحدة متشكلة من مجموعة أسر وللنظام القبلي كأحد أشكال التنظيم الاجتماعي التي تميز بها المجتمع العربي التقليدي و نتطرق للقبيلة كمكون اجتماعي سياسي في هذا النظام، وإلى نسق القرابة الذي يؤثر في نشاطات الأفراد والجماعات ويوجه سلوكهم وللعروشية كسمة تطبع العلاقات القائمة فيما بينهم.

1- مفهوم العرش والنظام العرشي:

أ- العرش (القبيلة Tribu): يعتبر العرش أو القبيلة أحد التكوينات الاجتماعية التقليدية التي عرفتها المنطقة العربية في المشرق والمغرب ففي المشرق يشار إلى مجموعة من الناس يقطنون مع بعض يتكلمون لغة واحدة ويربطهم مصير مشترك وقيادة مشتركة وموقف مشترك بالقبيلة كقبيلة قريش أو كنانة، وقد ذكر ابن منظور في لسان العرب أنّ "القبيلة هي الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى كالزنج والروم والعرب، وقد يكونون من نحو واحد وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة".¹ ويشار إليها في منطقة المغرب العربي بالعرش ومجموعها عروش، مصطلح العرش يرمز إلى الملك أي تنظيم اجتماعي قائم بذاته، وقد تكون القبيلة (العرش) أول مراتب الملك من حيث توفر بعض مقوماته ومنها

¹ - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، 15 ج، [د.ت.]، ج 11، ص: 541

كونها وحدة سياسية تتمتع بالاستقلالية لها قيادة متمثلة في مجلس أو شيخ القبيلة "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم"¹، ومجال أو إقليم تشغله وتاريخ متميز ونسب يؤول إلى جد القبيلة، إضافة إلى المقومات المادية والعسكرية، كما أن الوحدات الأصغر منها لا ترقى إلى درجة الملك لعدم استقلاليتها واشتراكها في الإقليم والنسب والقرار السياسي.

لقد أطلق العرب كلمة قبائل على أفرع الشجرة وعلى أصناف الطير فكما تجتمع أفرع الشجرة في ساقها تجتمع أسر القبيلة وعشائرها في نسب واحد (شجرة النسب) فالقبيلة تنقسم إلى عشائر، والعشيرة تنقسم إلى بدنات، والبدنة تنقسم إلى عائلات والعائلة مشكلة من أسر تميزها لهجة واحدة وإقليم مشترك، ويرى فريق آخر أن القبيلة "تتكون من عدة عشائر ولا يشترط في هذه العشائر أن تكون ذات علاقة نسب واحدة، وقد يحدث أن تندمج عائلة أو عشيرة في قبيلة من القبائل أو تخرج منها لتندمج في قبيلة أخرى تبعا لظروف مختلفة"².

أما معجم علم الاجتماع فيعرفها بأنها "نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمّن عدّة جماعات محلية، مثل القرى والبدنات والعشائر، وتوطن القبيلة عادة إقليما معينا ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية"³، وهي أكبر وحدة قرابية تضمّ عدّة عشائر متحدة النسب واللغة والثقافة والمكان حيث تكون متجاورة أو تسكن أقاليم متباعدة نسبيا وانتمائها إلى جدّ مشترك حقيقي أو

¹ - القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 23.

² - صلاح الفوال، البناء الاجتماعي للمجتمعات العربية، دار الفكر العربي، 1983، ص:90.

³ - ميشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص:247.

وهي يميّزها من مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وصراع.¹

ينتمي أعضاء القبيلة إلى جد مشترك وبتوسعها قد تضم أفرادا من خارجها لكنهم ينضون تحت رايتها بالمصاهرة والولاء أو الحلف، وبالتالي فإن النسب إلى القبيلة لا يعني بالضرورة القرابة الدموية، كما أن للجانب الايكولوجي علاقة وطيدة بتكوين القبيلة ذلك أن الحياة البدوية في الفقار والصحراء تتطلب من الأفراد أو المجموعات الانضمام إلى مجموعات قوية عدّة وعتادا لضمان الأمن والمؤونة، لنظام القرابة في المجتمع القبلي مسؤولية ودور مهمّ للغاية في التضامن بين فروع القبيلة، ويؤمّن ثباته ودوامه الانسجام والوحدة الاجتماعية والتكامل، وتتكوّن الوحدات الإنتاجية الفعالة في القبيلة وتمارس نشاطها الاقتصادي والسياسي على أساس التضامن بين الأقارب في القبيلة ويقوم بتنظيم العلاقات وتعزيز التحام الجماعة وانصهار الذات الفردية داخل الكل القبلي يقول ماكيفر: " إن القرابة هي التي أوجدت المجتمع، والمجتمع هو الذي أوجد الدولة."²

يمثل الدين أحد عوامل تشكل القبيلة وهو ما عرفه المجتمع الجزائري في عهد الدولة العثمانية حيث تشكلت تجمعات قبلية تنتسب إلى رجال التصوف وكانت تنتسب إلى الولي الصالح (المرابط) وتسمى عرش سيدي فلان، كما أنّ تشكل القبيلة قد يرتبط بالمكان فبعض المناطق تبقى محافظة على رمزية انتمائها لقبيلة معينة رغم الحراك الاجتماعي والتغير الذي تتعرض إليه، وبالتالي هناك عدّة مؤشرات تدخل في تحديد القبيلة كتنظيم اجتماعي، يرى الأستاذ بوخبزة أنّ القبيلة " تظهر على أنها قبل كل شيء مجموعة مصالح قد تتحقق أو يجب الدفاع عنها أو

¹ محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص: 83

² محمد علي محمد، أصول الاجتماع السياسي والمجتمع في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ت، ص: 143

مزايا جديدة يطالب بها"¹، لذلك فالقرابة داخل القبيلة تكون اجتماعية أكثر منها قرابة دموية، وهو ما يقرّه إيفانز بريتشار أن القبيلة لها دور أساسي في النسق السياسي الذي تحدد ملامحه الظروف الطبيعية "هذه الظروف هي التي تحدد أشكال العلاقات وأنواعها ويرتكز هذا النسق على القرية كوحدة صغرى يتم النفوذ السياسي داخلها بحسب شبكة المصاهرات"².

كما حدد قاموس علم الاجتماع أسس القبيلة كما يلي:³

- القبيلة نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية كالقرى والبدنات والعشائر وتقطن القبيلة عادة إقليما معيناً ويكشفها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.
- القبيلة تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون إقليما معيناً ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.
- القبيلة وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية .

ب) - مفهوم النظام العرشي (القبلي):

يمثل النظام العرشي (القبلي) أحد صور البناء الاجتماعي الذي هو صورة منظمة من العناصر المتماسكة و مجموعة علاقات وروابط معينة تقوم بين الأجزاء التي تؤلف الكل، فالبناء الاجتماعي هو النسيج المتكوّن من العلاقات التي تربط بين

¹ M 'HAMED Boukhobza· L'agro-pastoralisme traditionnel en Algerie De L'ordre au désordre colonial·o P ،U، Alger،1982،p67

² - محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص:61

³ - أنظر محمد بن يوب، أطروحة دكتوراه دولة في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد يتلمسان، سنة 2007/2008 ص:21

أعضاء مجتمع ما، وقد ضمّته العلامة رادكليف براون ثلاث مجموعات من الظواهر الاجتماعية وهي¹ :

(1)- الأشكال المرفولوجية للمجتمع الإنساني وتمثّل أشكال تكثّل الإنسان في وحدات اجتماعية مختلفة من حيث الحجم والوظيفة، أي أنّها الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لفترة كافية من الزمن.

(2)- العلاقات الاجتماعية القائمة بين فرد وآخر من أعضاء مجتمع معيّن وبين الفرد والجماعة داخل المجتمع الإنساني، وتكون هذه العلاقات دائمة وثابتة مثل علاقات القرابة.

(3)- ظواهر التنوّع بين أفراد وجماعات مجتمع ما، وتحدّد تلك الظواهر الأدوار الاجتماعية التي يؤديها الأفراد والجماعات في المجتمع الواحد، انطلاقاً من شغلهم لمراكز اجتماعية حسب شروط معينة.

وقد يتعلّق مفهوم النظام القبلي بمجموع العلاقات الثابتة والمنظمة بين أفراد مجتمع ما بشكل متميّز، وقد أشار إلى ذلك عالم الاجتماع إيفا نز بريتشارد فالبناء الاجتماعي عنده "يتألف من العلاقات الدائمة التي تقوم بين جماعات من الأشخاص ضمن نسق متكامل يضمّ هذه الجماعات كلّها... والجماعة في رأيه هي الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم وحدة متميزة عن غيرها من الوحدات، وينظر إليهم أعضاء الوحدات الأخرى بنفس هذه النظرة، كما يقوم بينهم التزامات متبادلة بفضل عضويتهم في تلك الوحدة، وبهذا المعنى تعتبر القبيلة والبدنة وطبقة العمر جماعات"²، فهو يستبعد العلاقات الفردية المؤقتة (السريعة والطارئة) من مكونات

¹ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص:13

² - نفس المرجع ، ص:40

البناء الاجتماعي وكذلك الجماعات الصغيرة التي تخضع للتغيير السريع ولا تدوم
زمنًا طويلًا. النظام القبلي يضمن للفرد أمنه ومنه يستمد مكانته حيث يعتبر كنسق
عام يحقق توازن القوة بين المجموعات المتجاورة، وهذا التنظيم الاجتماعي يعتبر
غاية في حد ذاته لتحقيق حياة اجتماعية هادئة.

لقد عرف المجتمع العربي النظام القبلي وكان له دور فعال في حياتهم الاجتماعية
ونستخلص ذلك من أشعارهم وتاريخهم الطويل، وعندهم النسب مرتبط بالشرف
وبالتالي فهو أكثر دقة ووضوحًا كما يعتبرونه أساسًا للتعامل، والقبيلة عندهم تمثل
جزءًا يندرج في إطار تصنيفات أخرى متدرّجة، فللعرب تقاليد عريقة في علم
الأنساب، وهذه التدرّجية هي: الجذم - الجمهور - الشعب - القبيلة - العمارة البطن -
الفخذ - العشيرة - الفصيلة - الرّهط¹، وقد تناول أحمد النويري مضمون البناء القبلي
في المجتمع العربي وقسم طبقات أنساب العرب في مؤلفه "نهاية الأرب في فنون
الأدب" إلى ست طبقات هي:²

الطبقة الأولى (الشعب): وتمثل النسب الأبعد مثل عدنان عند العرب، وقد سمي شعبًا
لتفرع القبائل منه.

الطبقة الثانية (القبيلة): وسميت كذلك لتقابل الأنساب فيها واستوائها في العدد.
الطبقة الثالثة (العمارة): جمعها عمائر، وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة أي أنها
تفرّع للقبيلة مثل قريش.

الطبقة الرابعة (البطن): جمعها بطون، وهي ما انقسم فيه أنساب العمارة مثل بني
عبد مناف من قريش.

¹ محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص: 54

² أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2
، 1982، ص: 14-15.

الطبقة الخامسة (الفخذ): جمعها أفخاذ، وهي ما انقسم فيه البطن مثل بني هاشم بن عبد مناف من قريش.

الطبقة السادسة (الفصيلة): جمعها فصائل، وهي ما انقسم فيه أقسام الفخذ مثل بني العباس بن هاشم بن عبد مناف من قريش، وقد أشار محمد النويري في مؤلفه إلى أن المجموعات البشرية تنحدر من الجزم إلى الجمهور إلى الشعب إلى القبيلة إلى العمارة ثم البطون فالأفخاذ، فالعشائر والفصائل وأخيرا الرهط.

(2) - الأشكال المرفولوجية للنظام العرشي (القبلي):

تتشكل المجتمعات الإنسانية من وحدات اجتماعية كجماعات وسيطية بين الفرد والمجتمع هي الجماعات القرابية التي يرتبط أعضاؤها بروابط الدم أو المصاهرة وتختلف هذه الوحدات في اتساع حجمها وقوة سلطتها وتأثيرها على الفرد وعلى المؤسسات الاجتماعية. ورتبتها من الأصغر حجما إلى الأكبر.

(أ) - الأسرة البسيطة (النووية): تتكون من الزوجين أو زوجين وأبنائهما غير المتزوجين و"تعدّ أصغر وحدة قرابية تسكن سويا في بيت واحد وتقوم بين أعضائها التزامات متبادلة اقتصادية وقانونية واجتماعية"¹، وتمثلّ خلية أو نواة المجتمع والأسرة النووية أكثر الوحدات القرابية التي تشهدها الأوساط الحضرية و"هي أكثر الأنواع انتشارا في العالم وتوجد حسب دراسة هوبيل Hoepel في 25% من المجتمعات وحدها و50% مع أشكال أخرى."²

¹ مجد الدين عمر خيري، العائلة والقرابة في المجتمع العربي ، ط1، اتحاد الجامعة العربية، الأردن، 1985، ص:184

² عبدالعزيز خواجه، مرجع سابق، ص:130

(ب) - الأسرة المركّبة (الممتدة): أو العائلة وتشمل الزوج والزوجة وأبنائهما غير المتزوجين والأبناء الذكور المتزوجين وزوجاتهم وأبنائهم وقد تشمل كذلك بعض الأقارب كالأعمام والأخوال والأجداد والأصهار وقد يقيمون كلهم تحت سقف واحد فتتداخل علاقاتهم وتتشابك مصالحهم وممتلكاتهم في شكل مؤسسة اجتماعية ولكلّ منهم دوره ومركزه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأسرة. ويتولّى مسؤوليتهم رئيس العائلة أو الأب، يتميّز هذا النوع من البناء الأسري بالدوام ويضمن لأفراده العيش والأمان مما يزيد من النزعة الأسرية، فاسم العائلة له قدسيّته يستوجب التضحية من أجله، حيث يدفع أفراد الأسرة إلى التنازل والاعتزاز بكثرة الأولاد وبالنسب العائلي وبالتضامن.

يستمد الفرد المكانة والقوّة من أسرته، ويسود هذا النمط المجتمعات التقليدية الريفية والقروية فالعائلة (الأسرة الممتدة) تقوم على بعض المقوّمات الاجتماعية والاقتصادية مثل تركز السلطة في يد الأب وتعدّد الزوجات والملكية المشاعة ويعرف كلّ من N.W.Beli and ff.Vogel الأسرة الممتدة بأنها "أي تجمع من الأسر النووية تربطه علاقات السلالة والانحدار أو الزواج أو التبني".¹

(ج) - البدنة: تتكوّن من عدّة أسر تنحدر من صلب جدّ مشترك حقيقي ومعلوم وقد يكون الجدّ الثالث أو الرابع للأب وتتصف بكبر حجمها ولا يتأثر قيام هذه الوحدة كثيرا بالسكن المشترك فغالبا ما يتوزعون على عدد من الأحياء، لكن تبقى العلاقات والروابط والالتزامات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية قائمة بينهم، ويخلق بينهم ما أسماه العلامة "ابن خلدون" بالعصية لأنّ هذه الأخيرة هي من نوع

¹ حسين عبدالحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص: 89

التضامن والتماسك الاجتماعي بين الأفراد وخصوصا بين الأقارب¹، أي قرابة النسب والتقارب في السكن، ويعرفها الأنثروبولوجيون بـ "تلك الجماعة المتعاونة المتماسكة التي تربط بين أعضائها روابط القرابة في خط معين ونجد أنّ البدنة تتمتع دائما بنسق للسلطة التي تقوم على نفس ذلك الأساس القرابي وهي جماعة تعبر عن وحدتها وتماسكها واستقلالها في وفائها بالتزاماتها ومطالبها وحقوقها."²

(د) - **العشيرة**: وهي وحدة قرابية تتميز بكبر حجمها حيث تضم مجموعة من الأسر النووية والممتدة أو البدنات المنتمية إلى جدّ واحد قد يكون حقيقيا أو أسطوريا أو مصطنعا ويحمل الجدّ معنى خاصا في ذاكرة الأحفاد يتواطئون عليه بواسطة الروايات الشفهية التي عادة ما يغلب عليها طابع الأسطورية والاختلاف. ويميّز العشيرة ثقافة مشتركة ووحدة الإقليم وهوية متميزة ومنظومة موحدة من القيم والمعايير والعادات والتقاليد، كما يربط أعضاؤها علاقات والتزامات متبادلة ولحمة قرابية تزيدها النزعة العشائرية قوة كلما تعرّضت العشيرة أو أحد أفرادها للخطر. "يعمل نظام العشيرة وما يرافقه من الروابط القرابية فيها على تعميق الشعور الجماعي ويظهر ذلك واضحا في نظام المصطلحات والنوعت القرابية المستعملة حيث يخاطب الفرد جميع الأفراد في سنّ أبيه بكلمة (أب) والنساء المقاربات لسنّ أمّه بكلمة (أم) وهكذا."³

(هـ) - **البطن**: يشتمل النسق القرابي على وحدات تدعى البطون والبطن قد تجتمع فيه عشيرتان أو أكثر وتربط بينهم علاقات الانتماء والاتحاد والتناصر، وقد يجمعهم المكان والشعور بالنسب الواحد، كما توجد وحدات أخرى تدعى الفخذ الذي

¹ عبدالغني مغربي، مرجع سابق، ص: 144

² محمد عبده محمود، محمد أحمد غنيم، فاتن محمد شريف، دراسات في المجتمع البدوي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1998 ص: 45

³ معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للتوزيع، عمان، الأردن، 1994، ص: 157

يعتبر أحد فروع العشيرة أي مجموعة أسر تنتسب إلى جدّ واحد. "ويكون الفخذ محور النشاط الدفاعي... وكما يتساوى الأفراد في العائلة تتساوى البيوتات في الفخذ الذي تكون له مجالسه وتتمّ القرارات فيها بالإجماع، ولا يكون لها قائد واحد إلا في الحرب."¹

(و)- **القبيلة:** تعتبر القبيلة أكبر الوحدات الاجتماعية في النسق القرابي أي المعتمدة على وحدة النسب وهي وحدة اجتماعية تجمع عشائر عدّة وتنتشر في المجتمعات البدائية وتتميز بوحدة المكان واللغة والثقافة²، وتتكوّن القبيلة من "مجموعة عشائر وقد تتواجد العشائر في أقاليم متجاورة، أو أنّ بعضها يقطن في أقاليم متباعدة نسبياً، إنّ القبيلة تضل واحدة ما دامت العشائر التي تتألف منها تنظم في بناء أحادي للقرابة الدموية النابعة من النسب المشترك"³.

(3) - وظائف ومحددات النظام القبلي (العرشي):

3.أ)- وظائف النظام القبلي:

لا تقتصر وظائف النظام القبلي على الجانب الاجتماعي فقط بل تمسّ جميع مجالات حياة الأفراد الاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والدينية ونظراً لاتساعها وتشعبها سنورد بعضاً منها خاصة التي لها علاقة ببحثنا.

3.أ.1)- **التضامن الاجتماعي:** يميّز أفراد القبيلة شعور بالوحدة والتآخي والتعاون. فانتماء الفرد للقبيلة يفرض عليه مدّ يد العون والمساعدة لجميع أعضائها

¹ حلّيم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1984، ص: 134

² عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الانثروبولوجيا، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001، ص: 213

³ المرجع نفسه، ص: 156

سواء كانت مساعدات مادية في مناسبات الزواج والوفاة والتعاون في مواسم الحرث والحصاد، أو بالدفاع المشترك ضدّ أي عدوان خارجي. كما يضمن بقاء واستمرار هذا النظام تكامل وحداته وعدم تعارضها " إنّ التكامل ضروري بين الأنساق المشكّلة للنظام الاجتماعي القبلي ... فكبسلة المجتمع التقليدي القبلي مؤسساً ضرورة حتمية لاستقراره والمحافظة على تكامله.¹

2.3.1- الضبط الاجتماعي: يحقق التنظيم الاجتماعي القبلي وظيفة الضبط الاجتماعي وذلك بحرص جميع أعضاء القبيلة على احترام العادات والتقاليد والقوانين العرفية، وكل من يخرج على حدود هذا النظام يتعرّض للعقاب البدني والمعنوي. "تمتاز العادات والتقاليد والأعراف بالقداسة والإلزام لكونها تمسّ الدين والأخلاق وتشكّل ما يسمى بالقانون العرفي."²

3.3.1- تنظيم علاقات الزواج والمصاهرة: الزواج يدعم القبيلة ويمدّها بالأفراد والأسر الجديدة مما يقوّي شوكتها وعمرها وبذلك فالزواج من المناسبات التي يحتفل بها أفراد القبيلة ويقيمون فيها الأفراس، والزواج ليس تعاقداً بين فردين بل بين أسرتين، لما ينشأ عنه من روابط قرابية جديدة. وتتميّز علاقات الزواج في القبيلة العربية التقليدية بتعدّد الزوجات وبالزواج بين أبناء وبنات العمومة، أي تفضيل الزواج الداخلي للحفاظ على وحدة الأملاك، والتلازم والتضامن والتماسك العائلي، "تفضل الجماعات القبلية العربية الزواج الداخلي، الذي يتمّ داخل الجماعة نفسها والزواج المفضل هو الزواج بابنة العم التي تولد وتنشأ في الجماعة وهكذا تحتفظ القبيلة بشبابها الذكور داخل الجماعة فحسب، وإنما تعمل من خلال هذا النظام على

¹ قباري محمد إسماعيل، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ب ت، ص 132.

² فوزية ذباب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1980، ص92

دعم علاقاتهم مع أعمامهم وهي علاقات تكون قويّة أصلاً من خلال رابطة المصاهرة.¹

4.3.أ- تنظيم العلاقات الاقتصادية: عادة ما تكون قطعان الماشية والأراضي التي تعيش فيها القبيلة ذات ملكية مشاعة لأبناء القبيلة أو العائلة و" من منطق الطبيعة القانونية للملكية العقارية التي تجعل من العشيرة المالكة للأرض التي تعيش عليها، فإنّ رئيسها يقوم بتقسيم العمل وتقسيم قطع الأرض بين الأسر بغرض استغلالها للزراعة أو كمراعي، وتمتد هذه الوظيفة لتشمل الجوانب التضامنية التي تعرفها القبائل العربية مثل "التوزيع" سواء تعلق الأمر بالأنشطة الاقتصادية وخصوصاً الزراعية منها، أو إنشاء المساكن وأماكن العبادة.²

5.3.أ- إقامة الطقوس الدينية: يعتبر شيخ القبيلة أو العشيرة هو الزعيم الديني الذي يطاع عند أمره بمعروف أو نهيه عن منكر، كما أنّ كثير من أفراد القبائل تتعت رئيسها بلقب "سيدي" وهو الذي يدعوا لإقامة الولائم السنوية أو ما يسمّى بـ"الوعدة أو الطعم" ويسهر على تنظيمها ويتصدّر الاحتفالات والطقوس الدينية التي يحضرها أفراد القبيلة وأبناء القبائل المجاورة، "تجد في الكثير من الأنساق القبلية تلك الثنائية التي تضم الزعامة السياسية والزعامة الدينية."³

3.ب- محددات النظام القبلي:

القبيلة ليست سوى مجموعة من الأفراد يعيشون داخل حيز معين بل لهؤلاء الأفراد نظام محدد من حيث المجال الجغرافي والقيمي والبنائي.

¹ علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص: 83

² عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص: 112

³ عبده محجوب، طرق البحث الانثروبولوجي-النسق القرابي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص: 170

أ- المحدد الجغرافي: والمقصود به الإقليم الذي تستغله القبيلة وتعتبره ملكا أو حيزا يحمل اسمها له دلالاته الرمزية، زيادة عن توفيره للموارد الطبيعية الضرورية للعيش، والانتماء للمكان يمنح للفرد شعورا بالانتماء للجماعة، ويمنع مشاركة الغير فيه لفرض التمايز وأي تعدي على المجال يعتبر انتقاصا من حق المجموعة ويستوجب الدفاع عنه بالسلاح، والتنقل الدائم والترحال في الصحراء وأطرافها لا يعني التخلي عن المكان بل يضع المجموعات القبلية في خطوط تنقل ثابتة لاستغلال الموارد.

يفرض الاستقرار وجود تجمعات سكنية أو أحياء يربط بين أعضائها الحي علاقات قرابية، فكل منهم يعرف الآخر معرفة شخصية، تمثل الوحدات السكنية (الحوش) مجالا لتكريس السلطة الأبوية ونقل الثقافة القبلية بما تحمل من قيم ومعايير ونماذج السلوك للأجيال التي تسكنها بشكل مباشر (وجها لوجه)، كما أنّ هذا الاستقرار يؤثر على نشاطهم الاجتماعي والاقتصادي وإنتاجهم الثقافي بشكل لا يمس مبدأ الانتماء والولاء بحيث يتكيف مع المحيط الأيكولوجي من خلال استحداث حرف وأساليب جديدة لكسب الرزق كالتجارة والسباكة والدباغة وغيرها، وفي الغالب ترتبط التجمعات بامتھان الزراعة التي ينظم فيها الإقليم بقانون الملكية العقارية التي تكون في الغالب ملكية مشاعة كأراضي الملك والأرض العرشية، وبذلك يحدد المجال الإقليمي طبيعة العلاقات الاجتماعية باعتبار الأرض جزءا من الشرف والعرض، كما أنّ لدار العائلة وظيفته اجتماعية عند استغلالها في المناسبات الأعياد والأفراح بحيث تزيد اللحمة بين أفراد العائلة وتستحضر بركة الأجداد وتربط الماضي القبلي بالحاضر لتستأنف إعادة إنتاج وجوده الاجتماعي.

تعتبر القرية أو المدينة صورة عن دار العائلة، حيث يعيش الفرد في دوائر متحدة المركز والهدف، تتوسّع انطلاقا من الأسرة النووية في دائرة أوسع هي دار

العائلة(الحوش) ثم دائرة الحي المتشكلة من الأقارب (العشيرة) ثم دائرة أوسع تمثل تجمعاً قرايبياً يشغل القرية أو جزء مهما من المدينة وهي (القبيلة) وعلى مستوى كل دائرة تتجسد إعادة إنتاج القبيلة اجتماعياً وثقافياً وسياسياً.

ب- المحدد الثقافي: يملك النظام القبلي منظومة متميزة وثرية من القيم والمعايير تتجسد في العادات والتقاليد التي تطبع الممارسات الاجتماعية والثقافية، فهو يستند إلى قواعد منها أبويته، يقول الباحث مصطفى بوتنفوشت¹ "فهو يستمد روحه من طبيعة العائلة العربية التي تعتبر عائلة بطريقية أبوية"¹، فتتحدد العلاقات الاجتماعية داخل العائلة وخارجها على أساس نظام السلطة القائمة فيها، مثل الفصل بين الجنسين في استغلال المجال والتمايز بينهما من حيث تقسيم العمل وفي اللباس والكلام وطرق الترويح، فضلاً عن كون المرأة في الثقافة العربية تمثل شرف القبيلة وعرضها، لذا يولي النظام القبلي أهمية كبيرة للتعامل مع عالم النساء، كما يحصل التمايز على أساس طبقة العمر كجماعة منمطة رسمياً من الأقران في المرحلة العمرية شباب أو كهول أو شيوخ بحيث تكون داخل كل فئة أسلوب تعامل متميز عنه بين فئتين عمريتين مختلفتين وقد تتعدى الفئة العمرية الأقسام القبليّة (البدنات والبطون والعشائر)، لارتباط كل مرحلة عمرية بوظائف وأدوار اجتماعية معينة، سنتها أعراف وقواعد تقليدية ثابتة تكرر التراتبية وتنظم الواجبات والحقوق، يميز النظام الثقافي قيم اجتماعية وعادات وتقاليد تعبر عن سواد روح الجماعة منها التلازم والتعاون والتكافل والتناصر والتعاقد بين أفراد الوحدات الاجتماعية التقليدية.

ج- المحدد البنائي: تمثل العائلة نواة التنظيم الاجتماعي ومركز النشاط الاقتصادي، ينشأ فيها الأفراد فيحملون اسمها ويرثون انتمائهم إلى الوحدات الأكبر ليندمجوا في

¹ - مصطفى بوتنفوشت، مرجع سابق، ص:76.

نسق القرابة ونمطية علاقاته المحددة ثقافيا والتي يستغلها الفرد لإشباع حاجياته الأساسية، تتولى العشيرة تنظيم العلاقات بين العائلات وتوزيع الموارد من ماء ومرعى، بينما تتولى القبيلة العلاقات الخارجية باعتبارها واجهة سياسية، لذا تعتبر القرابة أساس العلاقات الاجتماعية والسياسية في الوسط التقليدي، تخضع كل القسامات الاجتماعية لتنظيم واحد فهي بذلك تمثل بنية انقسامية مغلقة¹، يعتبر المجتمع العربي القبلي مجتمعا انقساميا لاعتماده على تداخل القسامات وما يطبعها من تعارض وتكامل كمبدأ واحد للتنظيم والتسيير، ويستغل الدين والعصبية والنسب كأساس للمحافظة على بنائه، لقد حافظ المجتمع العربي على بنيته على مر العصور، فبالرغم من سواد الأسرة النووية وانفصالها مجاليا عن الممتدة والمركبة إلا أنها حافظت على سماتها التقليدية بتردها على أصولها الريفية في المناسبات والأعياد لتستمد منها مواقفها واتجاهاتها وتعيد إنتاج موروثها الحضاري من خلال التمسك بالدين الإسلامي والتقاليد.

4- مفهوم الممارسات العرشية (القبليّة Tribalisme):

يعبر عن مفهوم العرشية بعدة مصطلحات المشهور منها العرشية أي القبليّة أو العشائرية، والعصبية أو التعصب القبلي وكلّها تطبع سلوك الأفراد في تعاملاتهم الفردية أو الجماعية ولتوضيح ذلك نعتد على تعريفها وتعريف المصطلحات القريبة أو المرادفة.

4.أ- تعريف العرشية: وهي نزعة توجه سلوك الأفراد في تعاملهم اليومي وتوصف بالتعصب القبلي ويكون هذا التعامل على أساس الانتماء للقبيلة(العرش)، وقد نسميها العشائرية على اعتبار أن العشيرة وحدة من وحدات النظام القبلي بحيث

¹ - لبيض سالم، من أجل مقارنة سوسولوجية لظاهرة القبيلة في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 261، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نوفمبر 2000، ص: 73

تطبع علاقات الأفراد الرسمية وغير الرسمية الولاء للقبليّة على حساب الولاء للدولة أو للأمة،" لقد أكدت الدراسات الميدانية السوسيو- سياسية حول المشرق العربي وإفريقيا أنّ ما يميز التنظيمات القبليّة فيما بينها هو حضور القرابة وتوحيدها في التعبيرات السياسية، الشيء الذي دفع كثير من الباحثين في العلوم الاجتماعية إلى توظيف مفهوم "القبليّة" لتفسير الآلية التي تنتقل بواسطتها أشكال التضامن القرابي وتتحول إلى ميادين للعمل السياسي وفي مجالات للتنافس حول السلطة¹.

إنّ من مظاهر الممارسات العرشية(القبليّة) تبني الأفراد لبعض الرموز القبليّة وتداولها وتصنيف بعضهم انطلاقاً من انتماءاتهم القبليّة في تفاعلهم اليومي وأثناء المناسبات كقيام بعض المهرجانات السنوية المتعلقة بجد القبيلة وبعض الممارسات الاجتماعية المعبرة عن إبراز العواطف الجماعية كالتلازم والتقارب المجالي في السكن والزواج الداخلي والتناصر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى الشجار واستعمال العنف والصراع الدموي بين المجموعات القبليّة المتجاورة، ومن أهم المناسبات التي تتجلى فيها القبليّة هي الانتخابات المحلية حيث يتم توظيف القبليّة بشكل جلي وخاصة في القرى وبعض المدن لأن التنافس فيها بين الانتماءات القبليّة بدل البرامج الحزبية، وبذلك يرتبط إحياء العرشية بموسم الانتخابات.

السلوك القبلي التعصبي قد يتناقض مع الحياة الحضريّة الحديثة وقواعد المجتمع المدني وخاصة في العلاقات الرسمية التي تخضع لتطبيق القوانين المدنية عملاً بمعيار المواطنة سواء من حيث الحقوق أو الواجبات، فيلجأ بعض الأشخاص الذين يتعاملون بالمعايير القبليّة إلى التحايل على القوانين وكسر القواعد المنظمة للحياة العامة في المؤسسات وتجاوزها بهدف تلبية حاجات ومصالح الأقارب على حساب غيرهم من المواطنين،

¹ - محمد بن يوب، مرجع سابق، ص:24.

إضافة توظيف النزعة القبلية أثناء الاحتجاجات والنزاعات داخل الأحياء السكنية، ذكر جونتان فريدمان Jonathan Friedman في مقاله حول القبلية " أن كثير من دول العالم تستند تنظيماتها المختلفة على ما هو تقليدي، ويرى أن هناك ازدواجية بين العصري والتقليدي الإثنائي عند سكان هذه الدول، وخلص إلى نتيجة مفادها أن القبلية تعني تلك الانقسامات (Fragmentations) الإثنائية التي تتدخل أثناء مواقف وظروف خاصة، أين تظهر الأشكال المحلية منظمة وفق استراتيجيات القرابة والتحالفات الطائفية، والزيجات الداخلية (endogamie) والانقسامية وتدخل كلها في التنظيم القبلي لمجتمع ما"¹

4. ب) - تعريف التعصب القبلي: جاء في لسان العرب لابن منظور أن "عصابة الرجل هم بنوه وقرابته لأبيه، وعصابة الرجل أولياؤه الذكور من وراثته، سموا عصابة لأنهم عصبوا نسبه، أي استتكفوا به، العصابة والعصابة جماعة من الناس بين العشرة إلى الأربعين والتعصب من العصبية، والعصبية أن يدعوا الرجل إلى نصره عصبته والتغلب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين"² والتعصب القبلي رابطة اجتماعية ونزعة عاطفية راسخة تربط بين أبناء العرش الواحد وتلزمهم جميعا بمساندة ونصرة بعضهم بعضا ضد الجماعات الأخرى، فكل فرد يكون له اعتقاد راسخ بأنه سيجد العون والمساعدة من طرف أبناء قبيلته، بسبب اعتقادهم بالنسب المشترك بينهم ولانحدارهم من صلب رجل واحد هو جد القبيلة أو العشيرة وقناعتهم بالولاء التام لها والذي يستوجب التضحية من

¹ - Jonathan Friedman، Choc de cultures et logique de déclin hégémonique، in Tribus et pouvoirs en terre D'Islam، SD de Horsham Dawood، Armand Colin، Paris، 2004، p281-282-283

² - أنظر ، سالم لبيض، من أجل مقاربة سوسولوجية لظاهرة القبيلة في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، عدد 264، بيروت، لبنان، نوفمبر 2000، ص 51

أجلهم، وتسقط أمامه كل المعايير والروابط الأخرى، فيتعصب الفرد لأبناء قبيلته سواء كانوا ظالمين أو مظلومين ضدّ كلّ من هو خارج القبيلة، ويحجب هذه المساعدة والنصرة عن كل غريب، فالمجموعة القبلية باعتقادها الانتماء إلى جد أعلى مشترك، يميزها ويفصلها عن المجموعات الأخرى المماثلة، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتتافس وصراع¹، والعصبية في نظر العلامة ابن خلدون نزعة طبيعية في البشر تضمن أمن وحماية الأفراد والجماعات في الوسط البدوي انطلاقاً من قاعدة توازن القوة، كما أنّها وسيلة لتأسيس الدول والدفاع عنها للمحافظة على الملك.

5- الأسرة والقرابة:

5. أ) - الأسرة:

1.5. أ) - تعريف الأسرة: تعني الأسرة من الناحية اللغوية "أهل الزوج وعشيرته وهي جماعة يربطها أمر مشترك والجمع أسر، ويشير لفظ أسرة إلى الأسر بفتح الألف وسكون ما بعده بمعنى حبس وعبودية كما تشير إلى "التأزر أو التناصر والتضامن"².

أمّا من حيث المفهوم فتختلف معانيها لارتباطها بتكوين المجتمعات المختلفة وتطورها ونظراً لتنوع الوظائف التي تؤديها في المجتمع، وتغيّر حجمها وتعدّد الزوايا التي تدرس من خلالها وتباين النظريات التي يزخر بها علم الاجتماع وعلم الإنسان وعلم النفس. فحسب عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم E Durkeim

¹ - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، نقد العقل العربي، 3 الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1990، ص: 83

² حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1984، ص: 175

"الأسرة مؤسسة اجتماعية تكوّنت لأسباب اجتماعية، ويرتبط أعضاؤها حقوقيا وخلقيا ببعضهم البعض"¹، لاحتوائها على مراكز وأدوار ثابتة ولكونها تقوم بالوظائف الأساسية الاقتصادية والتربوية والدينية والاجتماعية بالنسبة للفرد وللمجتمع في آن واحد كهمزة وصل بينهما، وتمدّ المجتمع بالأفراد الجدد، وفيها تتمّ تنشئتهم وتأنيسهم وتطبيعهم وتدريبهم وفق المعايير والضوابط التي يقرّها المجتمع ويرتضيها، وعلى مستوى الأسرة يتعلّم الفرد أبجديات السلوك الاجتماعي بما فيه من مسموحات وممنوعات.

ويعرفها كل من بيرجس Burgess ولوك Lock بأنها "مجموعة من الأشخاص تجمعهم روابط الزواج أو الدّم أو التبني ولهم مكان إقامة مشترك ويتفاعلون وفقا لأدوار محدّدة كدور الأب ودور الأم ودور الأطفال، وهذا التفاعل أو التواصل بينهم يوّلّد ثقافة مشتركة بينهم"².

ويرى (بيلز وهويجر R.beals et H.hoijer) أن الأسرة هي "جماعة اجتماعية تربط بين أعضائها روابط القرابة"³.

ويمكننا تعريفها بأنها أصغر وحدة اجتماعية تتشكّل بارتباط رجل بامرأة في علاقة زواج معترف بها من طرف المجتمع، وفي إطارها يتمّ إنجاب أولاد شرعيين، ويتفاعل أفرادها انطلاقا من مراكز وأدوار ثابتة، وللأسرة وظيفة تكاثرية وتربوية للحفاظ على استمرارية المجتمع وثقافته ودور الوسيط الذي تلعبه الأسرة يجعلها تمثّل نواة التنظيم الاجتماعي والأسرة لا يخلو منها أي مجتمع وفيها تتوارث القيم والمعايير والاتجاهات وتنقل إلى الأعضاء الجدد عن طريق التنشئة ففي

¹ عبدالقادر القصير ، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999 ، ص: 34

² عبدالعزيز خواجه ، مرجع سابق ، ص:124

³ محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ب ت ، ص:176

المجتمعات العربية " يتوارث العرب انتماءاتهم الدينية والطائفية والعرقية والطبقية إلى حد بعيد وحتى الولاءات والتوجهات والتحالفات السياسية، وهي أهمّ الجماعات الوسيطة بين الفرد والمجتمع، وضمنها تكون التنشئة حتى ليكن القول إنّها المصدر الأهمّ للقيم والتقاليد السائدة لهذا نرى المجتمع العربي مجتمعاً عائلياً"¹، والأسرة تصنّف حسب شكلها وعدد أفرادها إلى نوعين فإمّا أن تكون بسيطة (نوية) أو تكون مركّبة (ممتدة)، وللأسرة مقومات وخصائص تميّزها عن بقية الوحدات الاجتماعية الأخرى.

2.أ.5- مقومات الأسرة وخصائصها:

أولاً- الخصائص العامة للأسرة: ترجع أهم مقومات الأسرة وخصائصها العامة إلى الاعتبارات الآتية²:

1- العمومية: تعتبر الأسرة أول خلية يتكوّن منها البناء الاجتماعي. ويقوم أفرادها في مكان واحد وتجمعهم روابط قرابية وعاطفية، ويشغلون مراكز وأدوار ثابتة تفرض على كلّ عضو في الأسرة إلتزامات اقتصادية واجتماعية وقانونية. وتعتبر الأسرة ظاهرة عمومية فالنظام الأسري سائد في كلّ المجتمعات.

2- الجمعية: الأسرة ليست عملاً فردياً أو إرادياً فالفرد عند ولادته يجد نفسه ضمن أسرة أنشأها المجتمع وفق قانون عرفي وعادات وتقاليد وقواعد سلوكية وآداب عامّة تكتسي طابع الجدّية لأنها تنظّم العلاقات داخل الأسرة وتضبط حقوق وواجبات الأفراد في الحياة الاجتماعية.

1 - حلّيم بركات، مرجع سابق، ط2، ص: 229

2- محمد مهدي القصاص، علم الاجتماع العائلي، جامعة المنصورة، مصر، 2008، ص: 29.

3- قاعدية: تعتبر الأسرة أول مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ففيها بداية تشكل شخصية الفرد ويطبع بطابعها الثقافي لما تعلمه له من سلوكيات ومواقف، وبذلك تكون الأسرة بؤرة الوعي الاجتماعي ومصدرا للعادات والتقاليد والعرف والتراث القومي الذي ينتقل عبر هذه المؤسسة من جيل إلى جيل آخر وهي دعامة الدين والوصية على طقوسه ووصاياه، فالفرد يكتسب التعاليم الدينية والغيبات منذ طفولته.

4- مركزية: للأسرة وضع مركزي في البناء الاجتماعي، فالنظام الأسري يؤثر في النظم الاجتماعية الأخرى كالنظام الاقتصادي والسياسي والثقافي والديني ويتأثر بها. فالنماذج والقيم والمعايير والمثل التي غرسها النظام الأسري في أفرادها، تنعكس على النظم الأخرى من خلال أداء الأفراد في عملهم وعلاقاتهم وإنتاجهم وسلوكياتهم وممارساتهم الثقافية والسياسية والدينية كما تتأثر الأسرة بالنظم الاجتماعية الأخرى عن طريق ما تنتجه هذه النظم من مناهج وبرامج تشكل ضغوطا قد تتحكم في مصالح الأفراد وحاجياتهم وألوياتهم فينعكس ذلك على بنية الأسرة واستقرارها.

5- وحدة اقتصادية: تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية، وتبدو هذه الصفة بوضوح في المجتمعات التقليدية حيث الاقتصاد الأسري يسد أغلب واحتياجات الفرد ومتطلباته، فالأسرة التقليدية تمثل وحدة إنتاجية واستهلاكية حيث تنتج الغذاء والملبس والمأوى وتقوم بكل مظاهر النشاط الاقتصادي من إنتاج وتخزين وتبادل تجاري.

6- أساسية: لا يمكن تجزئة الأسرة إلى وحدات أصغر وبذلك فهي أصغر وحدة اجتماعية بنائية لذا يمكن أن تتخذ أساسا لإجراء الإحصائيات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة والظواهر الديموغرافية، وتصلح الأسرة كعينة للدراسة والبحث لأنها وحدة تحمل صفات المجتمع الكبير.

7- جنسية: تعتبر الأسرة الوسط المشروع اجتماعيا لتحقيق غرائز الإنسان ودوافعه البيولوجية والاجتماعية، إذ توفر لأفرادها العطف والحنان والدفء العائلي، وتعمل على إشباع رغباتهم المتعددة .

8- تصنيفية: من خلال الأسرة يكتسب الفرد وضعه الطبقي، فوضع الفرد الاجتماعي يتوقف على انتمائه الأسري، وشخصيته الثقافية الاجتماعية تتكون وتأخذ ملامحها وسط الجماعات التي ينتمي إليها الفرد وأهمها الأسرة.

ثانيا- خصائص الأسرة الجزائرية: وبما أن دراستنا تهتم بالأسرة الجزائرية التقليدية، فإبراز خصائصها يعني التعرّض لسماتها الاجتماعية والثقافية والتي نختصرها في النقاط التالية:

(1) ممتدة: الأسرة الجزائرية التقليدية أسرة ممتدة. يقول الدكتور مصطفى بوتفنوشت: "الأسرة الجزائرية هي أسرة ممتدة تعيش في أحضانها عدّة أجيال، عدّة أسر زواجية، تحت سقف واحد، "الدار الكبرى" عند الحضر، و"الخيمة الكبرى" عند البدو. إذ نجد من 20 إلى 60 شخصا أو أكثر".¹

(2) وحدة إنتاجية: تمثل وحدة إنتاجية غير منقسمة. فتماسك العائلة راجع إلى وحدة الدم من جهة ووحدة الملكية من جهة أخرى، يقول محمد الطيبي "فألوية القرار العائلي على القرار الفردي في مسألة التصرف بأراضي الملك، جعل من هذه الأراضي إسمنت العائلة وأحد أسس ترابطها"².

(3) أبوية: الأسرة الجزائرية التقليدية هي أسرة أبوية من حيث السلطة ومن حيث النسب ومن حيث السكن، " فالجد أو الأب أو الأخ الأكبر أحيانا يعتبر رئيسا ومركز

¹ Moustapha ، Boutefnoushet، La famille Algérienne évolution et caractéristiques récentes ، Alger Edition، SNED،1982،P40.

² محمد الطيبي، الجزائر عشية احتلالها أو سوسيولوجيا قابلية الاحتلال، وهران، وحدة البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 1992،ص17.

قوة وسلطته ذات طبيعة مطلقة ونهائية.. فالسلطة داخل العائلة لكبيرها، وانطلاقاً من هذه الميزة التي يخولها له العرف والعادة يسهر على وحدة الملكية وعلى تماسك الجماعة العائلية وينوب على أفرادها في جميع المعاملات المالية والعلاقات خارج الأسرة. وهي كذلك أبوية من حيث النسب، فالفرد يدعى لأبيه واللقب العائلي أبوي، وأبوية من حيث السكن، أي أنّ إقامة الزوجين تخضع لقاعدة السكن مع والد الزوج¹.

4) هرمية: الأسرة الجزائرية أسرة هرمية على أساس السن والجنس، يمارس السلطة كبار السن وعلى رأسهم الأب، ويتوقع من البقية الصغار والشباب والنساء الطاعة والإذعان كما يتسلط الذكور داخل الأسرة على الإناث، "فيحتل الأب رأس الهرم، ويكون تقسيم العمل والنفوذ والمكانة على أساس الجنس والعمر"².

5) مركبة: الأسرة الجزائرية التقليدية تتيح تعدد الزوجات وتحدّد الزواج الداخلي، وذلك لرغبة الأب في مضاعفة النسل وإنجاب الذكور، وكثرة واجبات المرأة داخل الدار أو الخيمة كما أنّ الزواج من الأقارب يزيد من تماسك العائلة أو العشيرة ويحافظ على ممتلكاتها وأبنائها داخل محيطها.

لقد تعرّضنا للخصائص السوسبولوجية للأسرة الجزائرية التقليدية على اعتبار أنّها مصدر الأسرة الجزائرية المعاصرة المتحوّلة والتي في نفس الوقت حافظت على كثير من السمات الاجتماعية والثقافية التقليدية، رغم تعرّضها لعوامل التغيير، وهذا يدفعنا إلى إعطاء لمحة عن التطور التاريخي للأسرة الجزائرية وما آلت إليه.

¹ - دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية والعلاقات، مذكرة ماجستير في الانثروبولوجيا، كلية الأدب وعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص 14-15.

² - حليم بركات، مرجع سابق، ص 179.

3.أ.5- التطور التاريخي للأسرة الجزائرية:

أعطى العلامة ابن خلدون في تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية أهمية كبيرة للبعد التاريخي، حيث يذكر في (مقدمته) أننا لا نستطيع فهم حاضر المجتمع دون دراسة ماضيه البعيد أو القريب، ويؤيد هذا القول الشهير عالم الاجتماع كالمان كولجار (Kulcsar kalman).. "أننا لا نستطيع فهم وإدراك طبيعة وظروف ومشاكل المجتمع المعاصر دون دراسة ماضيه السحيق، للتعرف على العوامل التاريخية التي أثرت فيه وأعطته مميزاته وسماته الأساسية التي غالبا ما تشخص معالم المجتمع مهما كانت المراحل التاريخية التي مرّ بها"¹، فدراسة الظواهر المتعلقة بالأسرة في المجتمع الجزائري لا بد من التعرض للتطورات التي مسّت الحياة الاجتماعية خلال العصور الماضية لتفسير التغيّر الحاصل للنظام الأسري وللبناء الاجتماعي ولن يكون ذلك مجديا إلا بمعرفة خصائص هذا النظام قبل الاستعمار الفرنسي، لأنّ هذا الأخير عمل على تفكيك البنى التقليدية العائلية في المجتمع الجزائري، وخاصة القبيلة لأنها التنظيم الأكثر حضورا في مجتمعات المغرب العربي ومنها المجتمع الجزائري.

أولاً- الأسرة الجزائرية قبل الاستعمار الفرنسي : تعرّضت الأسرة الجزائرية عبر تاريخها إلى كثير من التغيّر والتطور أثر على بنيتها ووظائفها وثقافتها نتيجة الأحداث التي شهدتها المجتمع الجزائري خلال العصور الماضية، وحسب آثار ما قبل التاريخ فإنّ إفريقيا قد عرفت حياة اجتماعية منذ أقدم العصور، وفي شمال إفريقيا عرف المجتمع البربري تنظيما اجتماعيا أساسه الأسرة "الخلية الأصلية في المجتمع البربري هي العائلة الإكناتيكية La famille agnatike وهي العائلة التي

¹ إحصان محمد الحسن ، مرجع سابق ، ص:150.

تقوم على نسب من ناحية الأب أو الذكور بصفة عامة¹، يتولى في هذه البنية العائلية، كبير المجموعة ممارسة سلطة مطلقة على كافة أعضاء العائلة الاكناتيكية، ويتحدث باسمها في مجلس القبيلة. "من فوق العائلات الاكناتيكية ومجموعة العائلات الرعوية وجمهوريات القرى، توجد القبائل وهي عبارة عن دول صغيرة وحدث صفوفها للدفاع والهجوم، وتحفظ مجموعة العائلات الاكناتيكية باستقلالها حتى ضمن القبيلة وتوفد نوابا عنها لمجلس مشترك."²

لقد عرف المجتمع الجزائري " النظام الأبوي منذ قرون عديدة فالعنصر الذكوري يمثل طاقة للقبيلة دفاعية ضد الأعداء وطاقة إنتاجية في الصيد والفلاحة والرعي، ويقوم هذا النظام على تقاليد وأعراف تضمن استمراره، منها العصبية والزواج الداخلي الذي يزيد من لحمه وتجانس المجموعة العشائرية ويحافظ على ملكية الأرض ويقوم كذلك على التراتبية التي تعتمد على تغليب جنس الذكور على الإناث والكبار على الصغار وتعدد الزوجات وفرض مراقبة صارمة على النساء وسلوكهن الاجتماعي وشرفهن لمواجهة الأخطار الخارجية وخطر الانقسام وتشنت الملك، ومن جهة أخرى تجنب خطر فقدان النساء كعنصر أساسي في عملية إعادة إنتاج المجموعة وتوسّعها."³

دعمت الفتوحات الإسلامية بتعاليمها كثير من المعايير والقيم السائدة في المجتمع الجزائري التقليدي وكذا النظام الأسري القائم وقد حثت على التماسك الأسري ودعت إلى صلة الرحم والمحافظة على الروابط القرابية، ولم يعارض الإسلام القبيلة كبناء اجتماعي بل عارض وبشدة القبليّة كدعوة للعصبية المفكّكة

¹ محمد مختار بواركي، السلطة الأبوية وحركة التغيير الاجتماعي، رسالة ماجستير، قسم البحوث والدراسات الاجتماعية العراق، 1986، ص: 141

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ المرجع نفسه، ص: 142، 143.

للجماعات لقيامها على مناصرة الأقرين على الظلم، ومنع الإسلام كل أشكال التفرقة داخل المجتمع. "في عصر الحضارة الإسلامية، وعند مجيء الإسلام إلى المغرب العربي وإلى الجزائر بصفة خاصة، لم يؤثر مجيئه على شكل الأسرة، ذلك لأنّ النمط الاجتماعي الذي جاء به الإسلام كان مقاربا للنمط الاجتماعي الموجود في المغرب العربي"¹، فدعم السلطة الأبوية والنسب الأبوي وأباح تعدد الزوجات وشجع القيم الأخلاقية كالكرم والشجاعة والعفة والحياء والتآخي بين المسلمين، وأبقى على الهرمية التي تستند إلى السن والجنس، وحثّ على طاعة الوالدين وأولو الأمر والإحسان إلى الأقارب والجيران. ولقد حافظت الأسرة الجزائرية على انتمائها وعلى تراثها الثقافي وعملت على نقله بتثنية أبنائها وفق القيم والمعايير التي اكتسبتها عبر تاريخها الطويل.

ثانياً) - الأسرة الجزائرية في فترة الاستعمار الفرنسي: عمد الاستعمار الفرنسي إلى تدمير البنى التقليدية في المجتمع الجزائري التي أبدت مقاومة شديدة صعّبت من مهمته التوسعية، وحوّض النظام القبلي بشبكة إدارية ذات رقابة صارمة، ولقد أجبر الكثير من سكان القرى والمدائر في المناطق الريفية على تركها والانتقال إلى المدن بعد ما ضيق الخناق على الأرياف وذلك بإنشاء محتشدات ومناطق محرّمة لعزل الثورة "وهكذا اعتبرت القبيلة الجزائرية في حالة احتضار منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، لقد عمدت فرنسا إلى تفكيك النسيج الاقتصادي واستبدال المنظومة القيمية والعلائقية في الريف الجزائري"²، وقد ذهب الأمر ببورديو وصياد إلى اعتبار أنّ "ظاهرة المقهى قد عوّضت ظاهرة العشيرة، خصوصا في تجسيد فضاءات اللقاء والقيام بحلّ الخلافات الثنائية في التجمعات

¹ Moustapha ، Boutefnouchet ، système social et changemen social en Algérie·office de publications Universitaires·Alger، sons année، p18

² محمد نجيب يوطالب، مرجع سابق ، ص:101

الجديدة"¹ التي أحدثها المستعمر كما دفع بالأهالي إلى التخلي عن الأرض وحياة العشيرة وأجبرهم على النزوح إلى المدن لاستعمالهم كقوة عاملة متحكّم بها.

ثالثا)- الأسرة الجزائرية بعد الاستقلال: تعرّض المجتمع الجزائري بعد الاستقلال للتغيّر نتيجة خروج المعمّرين من الجزائر وترك أماكنهم شاغرة " هذا الحدث أدى إلى ظهور فئة جديدة يمكن اعتبارها حديثة النعمة، كما أدت العلاقات العائلية- العشائرية دورا في إقامة بنية اجتماعية- مهنية جديدة في المجتمع الجزائري، حيث أن احد الأشخاص الذين وجدوا شغلا (مناسبا) في المدينة- خاصة إذا تعلق الأمر بمنصب هام في مؤسسات الدولة يستطيع تسهيل كل الإجراءات (الشغل- السكن-...الخ) لصالح قريبه، (...). كما أن نظرة ابن خلدون عن العصبية مازالت هامة في الوقت الراهن، فتصرفات الجزائري توحى بأنه يجعل الرابطة الدموية فوق كل اعتبار"² فضلا عن بدء عمليات التنمية ومخططاتها ممّا أدّى إلى توسّع نطاق الخدمات الوظائف والتعليم بمختلف مستوياته وسيطرت الدولة وإنشائها القرى والمدن الجديدة التي استقطبت بمغرياتها سكان الريف، فنتج عن ذلك الهجرة أو النزوح ممّا أدّى إلى ظهور تجمعات سكنية جديدة باستمرار، منها المخططة ومنها التي نشأة على أطراف المدن كأحياء فوضوية إضافة إلى الأحياء الحضرية الحديثة على الطراز الأوروبي.

تعتبر التجمعات السكنية التي ظهرت خاصة في ضواحي المدينة شكل جديد من التجاور بين الجماعات القرابية والعشائرية في نفس الحي. "والنازحين من نفس العرش يتجمعون في المناطق الحضرية ويعيدون تنظيم شبكة جديدة من العلاقات

¹ - محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق ، ص ص 101-102

² عبدالعزيز راسمال، كيف يتحرك المجتمع، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص146

المدعمة بلهجة ثقافة، وعرقية مشتركة¹، هذه الشبكة تمنحهم الأمن والتماسك، ممّا شكّل نوعاً من الانغلاق والتفوق حول ثقافتهم وخصوصياتهم وخلق مجتمعا خاصا داخل المجتمع الأكبر، هذه الظاهرة انتشرت في أغلب المدن الجزائرية حيث لم يستطيع المجتمع الجزائري التقليدي الانتقال الى الحياة الحضرية والتمدّن بسبب محافظته على الثقافة التقليدية القبلية في المدن واستمرار الاقتصاد الرعوي والعلاقات الأولية وهو ما سمّي ببدونة المدن أو ريفنتها وهي العيش في المدينة بعقلية ريفية "حوّلت الهجرة الريفية الكثيفة أجزاء مهمة من المدينة إلى مستعمرات ريفية"².

فاستمرارية الظاهرة القبليّة داخل المدن لم تتصف بها المدن الجزائرية فقط، بل انتشرت في أغلب المدن العربية، فقد أشار سعد الدين إبراهيم إلى أنّ نسبة كبيرة من سكان المدن العربية "لا تتوفر فيهم معظم السمات الحضرية، بل بالعكس ما زالوا يتّصفون بأسلوب وخصائص الحياة الريفية والبدوية القبليّة رغم إقامتهم في المدن، ويطلق البعض على هذه الظاهرة اصطلاح الترييف أو البدونة bedoiunization المدن العربية"³. وكذلك في أوروبا فقد توصلت دراسة (يونج وويلموت M. young and P.willmot) للطرف الشرقي لمدينة (لندن)، إلى أنّ العائلة الممتدة لا تزال قائمة وتمارس وظيفتها التقليدية في وسط هذه المدينة الكبيرة، لدرجة أنّ تأثير الروابط القرابية على أفرادها أدى بهم إلى الإقامة بجوار بعضهم البعض من أجل توجيه وتنظيم حياة أعضائها من خلال القرب المكاني بينهم.⁴

¹ Djamchid(B)et Bouraoui: Le défi des traditions ، «familles musulmanes et modernité» Paris publisud 1986 P119.

² حلّيم بركات، مرجع سابق، ص:168

³ سعد الدين إبراهيم ، حاضر المدن العربية ومستقبلها، الفكر العربي، العدد 10، طرابلس ، 1979 ، صص113-114 .

⁴ عبد العالي السيد، علم الاجتماع الحضري ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1997 ، ص:319.

أدى التغيير الاجتماعي والتطور التكنولوجي إلى بروز مجتمع حضري ممتدّن في العواصم والمدن الكبيرة الجزائرية وخاصة الساحلية منها، حيث تتواجد التكنولوجيا والتصنيع والخدمات والبيروقراطيات، جعلت نمط الأسرة الممتدة التي تعتمد في عيشها على إمكانياتها الذاتية تؤول إلى التناقص نتيجة عمليات النزوح التي عملت على تفكيكها، وتزايد نمط الأسرة النووية التي غالبا ما تعتمد في عيشها على الأجر، وساعد على ذلك زيادة وتيرة الهجرة من الأرياف إلى المدن بسبب صعوبة العيش في الريف من جهة وإمكانية العمل لأفراد الأسر المهاجرة، فضلا عن التحرر من القيود الاجتماعية وإمكانية توفير ظروف حياة أفضل من جهة أخرى "المؤسسات الصناعية والتجارية تستخدم الفرد المهاجر إليها على أساس كفاءته وقدراته دون اعتبار للجنس أو السلالة أو القرابة أو غيرها."¹ وهو الأمر الذي أدى إلى انفصال الأسر النووية عن العائلة الأم في الريف وانتقالها للسكن في المناطق الحضرية ورغم تكاثر نمط الأسرة النووية في الأوساط الحضرية، إلا أنّ شكل الأسرة الممتدة ما زال موجودا في المدن وبعض خصائصها ووظائفها ما يزال باقيا حتى اليوم.

5. ب) - القرابة:

5. ب. 1) - مفهوم القرابة: يرتبط مفهوم القرابة بمفهوم الأسرة إلى درجة أنّ أحدهما لا يعني شيئا في غياب الآخر فتعتبر "القرابة من أهمّ الأنساق الاجتماعية والأسرة أحد النظم الاجتماعية الأساسية وأقدمها، وهي موجودة في كل المجتمعات الإنسانية في العالم وعبر التاريخ ولا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات فهي نواة المجتمع وهي تعكس تصرفاته"². ونظرا لاهتمام كثير من الباحثين بموضوع الأسرة

¹ - محمد السويدي، مقدمة في دراسات المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص90

² حسين عبدالحميد أحمد رشوان، نفس المرجع، ص:89

والقراية وكثافة وتتوع الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية حوله سنعرض الموضوع بنوع من التفصيل. يذكر ابن منظور في لسان العرب "القراية والقربى الدنو في النسب والقربى في الرّحم وهي في الأصل مصدر، وأقارب الرجل أقربوه وعشيرته الأذنون، والتقرب، التدني إلى شيء والتوصل إلى إنسان بقربة أو بحق"¹، أما اصطلاحاً فمفهوم القراية له تعريفات متعددة في علم الاجتماع وفي الانثروبولوجيا ونصنفها إلى: قراية بيولوجية وأخرى اجتماعية، القراية من الناحية البيولوجية تعرف بأنها "انتماء شخصين أو أكثر إلى جدّ واحد واعتقادهم أن لهم جدّ واحد انحدروا منه."² وهي اعتقاد مجموعة من الأفراد بالانتماء إلى جدّ مشترك انحدروا منه سواء كان ذلك حقيقياً أو وهمياً أو مصطنعاً. والمقصود بالبعد البيولوجي هو وجود قراية على أساس علاقة حيوية وهي التزاوج. كما تعني القراية "مجموعة صلات رحمية وروابط نسبية تربط الأفراد بوشائج عضوية واجتماعية متماسكة تلزمهم بتنفيذ التزامات ومسؤوليات وواجبات تفيد أبناء الرّحم الواحد أو النسب الواحد"³.

و يعرفها فوكس R.Fox بقوله "لا تعني القراية في علم الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع علاقات العائلة والزواج وإنما تعني أيضاً علاقات المصاهرة، فالقراية هي علاقة دموية والمصاهرة هي علاقة زواجية، فعلاقة الأب بابنه هي علاقة قراية وعلاقة الزوج بزوجه هي علاقة مصاهرة والطفل وليد أبويه وعلاقته القراية يمكن أن تفتني من خلالهما."⁴

¹ جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج 10، مجلد 1، 1999، ص:666.665

² نخبة من الباحثين المصريين والعرب، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1975، ص:644

³ معن خليل عمر، مرجع سابق، ص:148

⁴ إحسان محمد الحسن، العائلة والقراية والزواج، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص:19

والقربانة هي "علاقة اجتماعية تقوم على ارتباط أسري محدد ثقافيا، وتقوم الثقافة بتحديد أشكال العلاقات الأسرية التي تعتبر ذات أهمية خاصة، وكذلك الحقوق والالتزامات التي تقع على كاهل عدد من الأشخاص الأقارب وصور التنظيم الموجود بينهم"¹، ويقصد بالقربانة في بحثنا: الروابط العائلية الحميمة والعلاقات الأولية والالتزامات الأخلاقية والتضامن المتناصر الذي يشمل أفراد العشيرة أو القبيلة في شكل نسق قائم في القرى والمدن والأرياف يؤثر بشكل مباشر على سلوك الأفراد وعلى الأنساق الاجتماعية الأخرى، فالقربانة هي الاسمنت الذي يقوى به البناء القبلي ويستمر، وتختلف النظم المحددة لأعضاء الجماعة القربانية الدموية التي ينتمي إليها الفرد من مجتمع لآخر حسب الثقافة السائدة والأعراف والتقاليد المتفق عليها.

5.ب.2) - أنظمة التسلسل القرباني:

أولاً) - النظام الأبوي: ويعني انتساب الفرد إلى أبيه وعائلة أبيه أي الانتساب إلى سلسلة خط الذكور، "هو الانتساب للأقارب العاصيين في خط الذكور"²، والسلطة تعود للأب ويخلفه الذكور من نسله، أما أقارب الأم فلا وجود لهم في خارطة النسب الأبوي.

ثانياً) - النظام الأمومي: وفيه ينتسب الفرد إلى الجماعة القربانية من جهة الأم أي الخولة أي تتبع النسب من خلال خط واحد "عبر الروابط الأمومية التي تنتسب إلى جدّة مشتركة من خلال سلسلة نسب معروفة، وفي أنظمة الانتساب إلى فرع الأم، يتم التوريث من الأحوال إلى أبناء الأخت الذكور"³. ويقصي الأعمام من

¹ بوعلي وسيلة، زواج الأقارب في المجتمع الحضري وانعكاساته على الأسرة، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2004-2005، ص:61.

² عبدالهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص17

³ جوردن مارشل، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2000، ص1058

خريطة النسب، والانتساب إلى فرع الأم لا يعني تمكين المرأة، بل السلطة تبقى في يد الرجال.

ثالثاً) - النظام الثنائي: في هذا النظام ينتسب الفرد إلى جماعتين قرابيتين في آن واحد وهما أقارب أبيه وأقارب أمه أي ينتسب إلى أجداده الأربعة مما يؤدي إلى توسيع دائرة القرابة ويحقق أهداف اجتماعية للفرد والعائلة على حد سواء.

ومن هنا نستنتج أنّ نظام القرابة في المجتمع الإنساني لا يخضع إلى البعد البيولوجي فقط بل يتعداه إلى البعد الاجتماعي الذي يعود إلى القوانين العرفية السائدة في المجتمع، فيعيش الفرد بين أقاربه ملفوف بعدة دوائر قرابية يرتبط بها ويستعملها لتحقيق أهدافه.

5.3ب) - علاقة الفرد بالدوائر القرابية:

تكمن هذه العلاقات في اهتمام الفرد بأقاربه والتواصل معهم بدرجات متفاوتة حيث تتأثر العلاقات القرابية بالضرر وف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والسياسية للمجتمع. "الفرد يحسّ بانتمائه إلى جماعته الثانوية والعشيرة أو القبيلة ويكون معهم علاقات ذات طابع اجتماعي واقتصادي وسياسي".¹ والفرد مجبر على إقامة علاقات خاصة مع أسرته التي وجد نفسه فيها وتمت تنشئته على يد أفرادها ويرتبط بهم دمويًا وروحيًا وأخلاقيًا دون اختيار منه، وبذلك تعدّ العائلة الجماعة الابتدائية والدائرة الأولية التي تتميز فيها العلاقات القرابية بالتماسك الشديد وتضمّ إلى ثلاثة أو أربعة أجيال، أي الفرد مع إخوته وأخواته من جهة ومع أسلافه كالأب والجدّ الأول ومن جهة أخرى مع أبنائه وأحفاده، وتليها دائرة أوسع عندما يكون للفرد علاقات قرابية خارج الوسط العائلي كعلاقته بعائلة زوجته والتي عادة ما

¹ Boutefnouchet(M) ;OP Clt,p54.

يُميّزها الاحترام وحفظ الحقوق وتلعب فيها العائلة دور الوسيط، أمّا الدائرة القرابية الثالثة فتتمثل في انتماء الفرد للقبيلة أو العشيرة.

لقد أوضحت الدراسات التي قام بها كل من (ديبزي Ldebzi وديكلواتر R.Descloitre) حول نسق القرابة والبنى العائلية في الجزائر ستة دوائر قرابية يدخل الفرد معها في علاقات مباشرة وغير مباشرة والتي ساعدت على فهم البنيات وترتيب العلاقات القرابية هي¹:

1- القرابة الأولية : والمتمثلة في الأب والأم والأبناء المتزوجين والغير متزوجين والجد والجدة.

2 - القرابة الثانوية : وتتمثل في العم وأولاده وأبناء أولاده والعمّة.

3- القرابة الأموية : وتتمثل في الخال والخالة وأولادهما وكذلك الجد والجدة من طرف الأم.

4- القرابة الانتسابية: وتتمثل في قرابة الأسلاف من ناحية الذكر أي الجد ووالد الجد وتمتد هذه الأسلاف في جيلين أو ثلاثة أجيل مباشرة.

5- قرابة بنى الأعمام: وتتمثل في النسب النازل من ذكور الأجداد الرابع والخامس والسادس وتتنسب هذه الأجيال إلى جد مشترك.

6- قرابة نسب الأب : وتقع هذه القرابة على مستوى القرابة الأولية والثانوية والمتمثلة في العمّة وأولادها. وكل هذه الدوائر القرابية لها دور فعّال وحاسم بصورة مباشرة على حياة الفرد، فحياة الفرد الاجتماعية مرتبطة بتأدية دوره وتنفيذ

¹ - Boutefnouchet(M); Op cit:p:57-59

التزاماته داخل هذه الدوائر القرابية حسب ما تمليه التعاليم الدينية والأعراف والتقاليد في المجتمع.

لقد تعرّضت دراسات أخرى لبحث عملية الاتصال بين الأقارب داخل الدوائر القرابية منها دراسة (لويس روسال **Louis.Roussel**) حول الأسرة وهو كما ذكرت (مارتن سيقلان **M.Segalon**) دراسة أنت لقياس التقارب في السكن وطبيعة العلاقات وأهمية الخدمات وتبادل الحاجات بين الأبناء وآبائهم بعد الزواج وكانت أهم نتائج هذا البحث أنّ الأبناء بعد زواجهم يفضلون الإقامة بالقرب من إقامة آبائهم، وهذا يؤكد تأثير العائلة كدائرة قرابية على انتشار الأفراد في المجال المكاني. تعدّ العائلة أول مجموعة ووحدة للارتباط بالنسبة للفرد، وفيها تكون العلاقات القرابية متماسكة حيث تشكل قوّة حقيقية للعائلة وتعدّ كدعم فعّال في ارتباط العائلة بميادين مختلفة سواء اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو سياسية... الخ¹.

5.ب.4)- أهمية القرابة: تعتبر القرابة من أهم العوامل التي تتحكم في العلاقات داخل المجتمع التقليدي حيث تمثل "النسق الذي يلعب الدور المهيمن وربما النسق الأهم الذي تتقاطع معه بقية الأنساق والنظم الاجتماعية الأخرى كالنسق السياسي والديني والاقتصادي وغيره... والأنساق الاجتماعية بكافة أشكالها إنّما تتجسد وتتجلّى في نسق القرابة"²، وللقرابة أهمية كبيرة بالنسبة للفرد والمجتمع، فعن طريق شبكة العلاقات التي يقيمها الفرد داخل الدوائر القرابية بعضها مباشرة وجها لوجه وبعضها غير مباشرة، ينتقل من الهدف الخاص وهو التواصل إلى هدف عام وهو المحافظة على استمرارية النسق وفعاليته، كما تمثل القرابة بطاقة هوية للفرد فبمجرد أن يقدم نفسه لأحد أقربائه الذي لم يسبق له معرفته، يتوقّع أن يرحّب به

¹ Boutefnouchet(M); Op_cit p :54

² كلود ليفي ستروس، قراءة في الفكر الانثروبولوجي المعاصر، ترجمة: عبدالله الرحمن يتيم، إصدارات بيت القرآن، ط1، المنامة، البحرين، 1998، ص112.

ويقدّم له المساعدة بحكم القرابة، ومن مظاهر التواصل داخل الشبكة القرابية في المجتمع التلازم والتزاور في المناسبات وفي غير المناسبات والتكافل، وهو ما يبرز أهمية ومقدار القيمة التي توليها العائلة لأقاربها، وتعود فائدة القرابة على الفرد والعائلة، حيث يشعر الفرد بين أقاربه بالارتياح والطمأنينة والأمان، وتسهّل تعلّمه وتكيّفه واندماجه وتحميه من العزلة الاجتماعية، تقوم القرابة بتحديد مواقع الأسر وارتباطاتهم بها وإزاء هذا التحديد تمارس نفوذها وتأثيراتها وتضع موانعها ومحرماتها وتطرح مواقفها، ومسامحاتها على أبنائها، فضلا عن وضع فروض أخلاقية وأدبية ومالية وواجبات تجاه أنساب القرابة الواحدة، ولذا فإنها تمنح الفرد المكانة الاجتماعية واعتباره الاجتماعي والاطمئنان النفسي والضمان المالي¹. فللقرابة تأثير مباشر على الأسرة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من البناء القبلي وتمثل الأسرة هنا وحدة مرتبطة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا بالوحدات الأكبر منها، كما أنّ علاقاتها الداخلية والخارجية تخضع لنفس النظام وينعكس ذلك على وظائفها التي من أهمّها وظيفة التنشئة الاجتماعية.

وللقرابة أهمية كبيرة في المحافظة على تماسك الجماعة ووحدها على الرّغم ممّا تمارسه من سيطرة على حرية الأفراد "تعتبر القرابة مبدأ لتحليل العلاقات الاجتماعية، وهي في حدّ ذاتها جهاز أيديولوجي أي هي وسيلة للسيطرة أو العنف العائلي الرمزي"²، فللقرابة دور كبير في المجال السياسي، لأنّ بعض المرشحين يعتمدون على انتمائهم القبلي وليس على طروحاتهم أو برامجهم السياسية، كما أنّ ترتيب المرشّح في القوائم الانتخابية يخضع لحجم الوحدات القبلية المنتمي إليها، وفي الحملات الانتخابية يضربون على وتر القرابة لكسب التأييد. وتساهم القرابة في

¹ معن خليل عمر، مرجع سابق، ص162.

² الفضيل الرتييمي، مرجع سابق، ص: 36

عملية الضبط الاجتماعي فكل فرد في المجتمع التقليدي مسؤول عن سلوك أفراد عشيرته أو عائلته سواء كان هذا السلوك حسناً أو سيئاً حيث تعود عليه نتائجه بالسلب أو بالإيجاب. "ولأنّ الإنسان في مثل هذه العائلة التقليدية عضو أكثر ممّا هو فرد مستقل، فإنّ كل تصرف أو قرار مستقل (خاصة من قبل المرأة) يعتبر خروجاً عن وحدة العائلة"¹.

شدة التماسك الداخلي بين الأقارب تجعلهم يشجعون الانغلاق على أنفسهم ويتجلى ذلك في تشجيع الزواج الداخلي أو الزواج ببنت العم من أجل الحفاظ على تماسك الأسرة وتجنب دخول الغريب بينهم لتفادي لتقسيم الأرض، كما أنّ التقاليد والقوانين العرفية في كثير من المناطق تجبر المرأة على التنازل عن حقّها في ميراث الأرض لإخوتها وخاصة عند زواجها خارج إطار العائلة. "الجماعات البدوية العربية تفضّل الزواج الداخلي، الذي يتمّ بين أطراف داخل الجماعة نفسها والزواج المفضل هو زواج ابنة العم التي تولد وتنشأ داخل الجماعة، وهكذا تحتفظ الجماعة البدوية بشبابها الذكور داخل الجماعة فحسب، وإنّما تعمل من خلال هذا النظام على دعم علاقاتهم مع أعمامهم وهي علاقة تكون قوية أصلاً من خلال رابطة المصاهرة"².

قد تؤدي شدة التضامن والتماسك بين الأقارب في مجتمع المدينة أو القرية إلى حجب مظاهر التواصل المذكورة عن الأفراد الآخرين من هم خارج شبكة الدوائر القرابية بل يتعدى ذلك إلى المنافسة والصراع بين المجموعات القرابية المتجاورة، فتصبح بذلك صفة للعصبية القبلية التي كانت سبباً في قيام حروب دامت عقوداً بين القبائل العربية وقضت على الآلاف في العهد الجاهلي " القرابة نوع من العصبية بحيث

¹ - حلّيم بركات، مرجع سابق . ص : 234

² - المرجع نفسه، ص 201.

الولاء يكون لأفراد القبيلة فقط سواء كانوا ذوي روابط دموية أو اجتماعية¹، وقد تتطور القرابة وتستمر في انتشارها عموديا عبر الزمن بتعزيزها عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية وأفقيا من خلال تفرّع الروابط الدموية والاجتماعية بحيث تتجاوز حدود العشيرة والقبيلة.

6- المقاربات النظرية:

6.1- القبيلة (العرش) عند ابن خلدون: يعتبر العلامة ابن خلدون² من أوائل الباحثين في موضوع القبيلة وقد ربطه بظاهرة العصبية فقد كان له السبق في التطرق إلى القبيلة و نسق القرابة ومعالجته لظاهرة العصبية ضمن دراسته المتعلقة بالتاريخ والعمران البشري، " فوضع بذور نظرية متكاملة نقلها عنه المستشرقون وخاصة "روبرتسون سميث" لكي تنتقل بعد ذلك إلى علماء الانثروبولوجيا البريطانيين وخاصة "إيفانز بريتشارد"³ ولقد أدرك أهمية القرابة في قيام العصبية المؤدية إلى الملك وقيام الدول ومراتبها. والعمران عنده يعني مجموع مركبات البنيات التحتية والفوقية للمجتمع "ومن العمران ما يكون بدويا، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجة في القفار

¹ - Boutefnouchet(M); Op_cit p :58

² - هو أبو زيد عبدالرحمان ابن خلدون ولد بتونس سنة 1332م نشأ في بيت علم ورياسة، فقد شغل أجداده في تونس والأندلس مناصب مهمة ، حفظ القراءة وتعلم العلم منذ صباه، عمل في مجال السياسة لدى البلاط في تونس وفاس والأندلس وبجاية ولديه عدة مؤلفات في الدين والسياسة والأدب والفلسفة منها مقدمته المشهورة التي ألفها في خلوته بقلعة بني سلامة وأنجز (كتابه العبر) الذي يضم علما جديدا هو علم العمران البشري ثم ارتحل إلى تونس ومنها إلى مصر في الثانية والخمسين من عمره واستقر فيها حيث تولى عدة مناصب كالقضاء والتدريس حتى وفاه الأجل .

³ الفضيل رتيمي، القرابة والعمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع، 1992 - 1993، ص:15

وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتحصين بجدرانها"¹.

وقد قلَّ العلامة ابن خلدون من شأن العصبية القبلية في المدن باعتبارها وسيلة دفاع. وأكد ضرورتها في البوادي في قوله: " ذلك لأنّ الحضر وكَلُوا أمر حمايتهم للوالي أو جند السلطان وهذا جعلهم يركنون إلى الدّعة بينما ليس لدى البدو حامية تحرس الحمى ولذا صار أمر الحراسة والمدافعة لهم بأنفسهم أفرادا وجماعة، فتدربّت أنفسهم على الحميّة (العصبية)"²، فقد استخدم العلامة عدة مفاهيم ومصطلحات في علم العمران البشري سنشير إلى بعض منها في بحثنا منها مفهوم العصبية وعلاقتها بنشأة الدولة وسقوطها.

6.أ.1) - مفهوم العصبية عند ابن خلدون: يمثل مصطلح العصبية نقطة مركزية في نظرة ابن خلدون للمجتمع وتكويناته السياسية لاعتبارها ضرورة إنسانية، فالعصبية في لسان العرب هي رابطة دموية وتلاحم بين الأرحام وتناصر، وعصبة الرجل بنوه ... والتعصب المحامات والمدافعة³ تمثّل العصبية عند ابن خلدون رابطة معنوية قائمة على "لحمة الدم" و"الروح العشائرية" بين أبناء القبيلة. " إذ نعره كل واحد على نسبه وعصبيته أهم وأنّ الشفعة والنصرة على ذوي الأرحام والقربى موجودة في طبائع البشر، وبها يكون التعاضد والتفاخر."⁴ ويرى العلامة ابن خلدون أنّ "علاقات القرابة والتحالف الموجودة بين أعضاء القبيلة الواحدة تؤدي إلى إقامة الفوارق بين المجموعات القبليّة، التي كثيرا ما تتسبّب في عمليات التنافس الحاد والصراع على الموارد ومصادر

¹ عبدالغني مغربي ، الفكر السوسولوجي عند ابن خلدون ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2006، ص:127

² عبدالله الغدامي، مرجع سابق ص:154

³ ابن منظور، لسان العرب، ج2، صص 791.792

⁴ عبدالرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج1، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، 1971 ، ص:43

العيش، وهذا ما يدفع إلى إضفاء طابع الصّراع الدائم والمستمر على المجتمع القبلي¹، وقد سمّاها العصبية أي التعصّب لذوي القربى والتحالف والتضامن بين أبناء القبيلة المنتمون إلى سلف واحد والمتلازمون في السّراء والضّراء والجاهزون في كل وقت لنصرة بعضهم ولو على الظلم، ومن هنا تسمّى بالقبليّة أي الدّعوة للعصبية القبليّة، كما أشار إلى أن العصبية تتلاشى في البيئة الحضريّة وتقوى في البيئة البدوية.

2.أ.6- العصبية والدولة عند ابن خلدون: أقرّ ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني أمر محتوم فرضته الطبيعة والعدوان الذي جبلت عليه النفس البشرية أمر محتوم كذلك، إذا فلا بد للناس من وازع يدفع بعضهم عن بعض وهذا الأخير لا يتكون إلا بوجود عصبية تدعمه، فشيخ العشيرة يفرض على أعضائها الامتثال وكلما قوت عصبيته الخاصة زاد تحكّمه وزادت غلبته على من هم مثله والدولة تنشأ من اندماج مجموع القبائل تحت عصبية واحدة كبرى وعامة والملك إنما يكون لمن له القوة والغلبة، فالعصبية غايتها الملك ويشترط في من يسعى إليه خلال الحميدة والحسب²، والدول عنده صنفان: الخلافة التي لا تخلو من العصبية ولكن السيادة فيها للشرع والملك الذي لا يخلو من الشرع ولكن السيادة فيه للعصبية، ومنشأ الصنفين معا الحاجة إلى الوازع الذي يحول دون تقاتل الناس، ولكن هذا الوازع يكون في دولة الشرع ذاتيا أي اقناعيا، بينما يضل في دولة العصبية خارجيا أي قهريا³، ولا تتوقف العصبية على تحقيق الملك بل تسعى لتقويته وإطالة عمره ويمكنها أن تكون سببا في سلبه حينما تتغلب عصبية منافسة أو تكون سببا في فقده

¹ محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص:56

² بوزباني الدراجي، العصبية القبليّة في ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003، ص:38

³ أنظر محمد خدایوي، مرجع سابق، ص:65

عندما تضعف تزول العصبية ينغمس أهلها في الترف وطرارة العيش" وعلى قدر نعمتهم يكون إشرافهم على الفناء فضلا عن الملك"¹

6. ب) - القبيلة (العرش) عند رواد النظرية الانقسامية:

إنّ جذور النظرية الانقسامية تعود إلى أعمال عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم E.durkheim حول التقسيم الاجتماعي للعمل والذي "استخدم لأول مرة مفهوم (الانقسامية Sègmentarité) للدلالة على المجتمع الانقسامي ذي التضامن الآلي الذي يقوم على مبدأ التشابه بين كيانات مستقلة قائمة بذاتها (...). واعتبر رواد المقاربة الانقسامية أنّ للقبائل العربية الخصائص ذاتها التي تميز المجتمعات الانقسامية، فالقبائل تنطوي على هرمية متدرجة بحسب الحجم والقوة وهي تنظيمات تشخص في دوائر متفاوتة الأحجام أو في أشجار متكاثرة الفروع.

يقوم التوازن الاجتماعي في المجتمع الانقسامي على مبدأي: الانصهار والانشطار حيث تظهر الأولى في حالات الخطر وفقدان الأمن فيسود التضامن والتوحد لمواجهة التهديدات الخارجية، وتظهر الثانية في حالات السلم والهدوء حينما يدبّ الصراع بين الفروع القبلية والقسمات المتجاورة (...). لقد وجد أتباع هذا المنهج في المثل العربي: (أنا ضدّ أخي، أنا وأخي ضدّ ابن عمّي، أنا وأخي وابن عمّي على الغريب) نموذجا لانتظام الأقسام القبليّة من الأعلى إلى الأسفل وللتوازنات القائمة بينها في ظلّ غياب سلطة مركزية رادعة، ويرى غيلنر E.Gellner أن "المجتمع الانقسامي المغربي يتميز بظاهرتين: الانقسامية وهي خاصية بنيوية والهامشية وهي خاصية مجالية تتصل بالموقع هذان المفهومان متكاملان"².

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ج2، ص: 611

² محمد نجيب بو طالب، مرجع سابق، ص 42-43

ركزت الانقسامية في تحليلاتها على العلاقات بين الوحدات الاجتماعية قبيلة أو عشيرة واعتبرتها خصوصية اجتماعية مغربية واعتمدت على المعطيات الميدانية ومعالجتها إحصائياً وبيانياً أكثر من اعتمادها على التنظيرات الايديولوجية، وجمعت بين التحليل البنوي والوظيفي في آن واحد، وتقوم على مجموعة من الخصائص هي: - هيمنة النسب الأبوي على المجتمع.

- مبدأ الانشطار والانصهار.

- غياب التراتب الاجتماعي الدائم.

- بروز بعض الفاعلين بشكل استثنائي وقيامهم ببدور تحقيق التوازنات، مثل الصلحاء والأعيان، ولعب دور ضمان أمن الحدود.

لقد اهتم علماء الانثروبولوجيا بدراسة القبيلة باعتبارها تنظيمات ميّزت المجتمعات القديمة "الوحدات التي تكونت منها المجتمعات البدائية أمثال: إيفانز-بريتشارد (PRITCHARD-E-EVANS) تلميذ مالينوفسكي (MALINOWSKY) الذي عرف بدراسة قبائل النوير في جنوب السودان والذي أشار إلى دور الظروف الايكولوجية و المعاشية (البيئة والفلاحة والرعي) في تحديد أشكال العلاقات وأنواعها وحجم الفروع القبلية"¹ فالعشيرة عنده تتألف من عدد من البنيات تسمى بالبدنات الكبرى Maximal Line age وهي بدورها تتألف من بنيات أصغر كالعائلة والأسرة وكلها تشترك في نسب أو عصابة واحدة، أما العلاقات بين مكونات النظام القبلي فتخضع لحالة السلم والحرب، ففي الحرب ضد الغير يسود الوفاق وتنسى الخلافات أما في السلم فيعود مبدأ الانقسام والتعارض حول الحقوق والموارد.

¹ - محمد نجيب بوطالب، نفس المرجع، ص 61.60.

6.ج - القبيلة من وجهة نظر كولونيالية:

وتتمثل في مجموعة كبيرة من البحوث الاجتماعية والسوسولوجية التي أنجزها ضباط وإداريون في المناطق التي كانت تحت سيطرتهم إبان الاستعمار، ومن الأعمال المعروفة ما قدمه بيرك (Berque) وسماه "علم الاجتماع الشمال إفريقي" معتمدا على أبحاث كل من هانوتو ولوتورنو وماسكراي ومونتاني، وتميزت هذه الدراسات برؤية استعمارية للمجتمعات محل الدراسة وهو ما جعلها توصف بالتحيز في تفسير الواقع الاجتماعي موافق لفرضيات وأطروحات استعمارية تخدم مصالحه وخاصة عند إظهارهم للتنوع الإثني والانقسام في المجتمع والتعارض بين السكان المستقرين والبدو الرحل، إذ أنّ فرضياتهم تعتبر أن السكان المستقرين يكونون أسهل انقيادا للمستعمر مثل مناطق القبائل والأوراس والمزاب (صنهاجة وكتامة ومصمودة) من البدو الرحل الوافدون والمتسببون في تخلف المنطقة بهدف التفرقة بينهم.

ومن جهة أخرى أبرز وجود تحالفات يحكمها قانون الصف واللف التي حاول المستعمر تكريسها فتنحول هذه القبائل لديه إلى جمهوريات بربرية.¹ لمغازلة فئة قبلية دون أخرى من أجل تفكيك وحدة المجتمع، لم ترقى هذه الدراسات لمستوى الموضوعية لعدم تحررها من الذاتية والأفكار المسبقة تتناول دعاة هذه المدرسة ميدان الإثنو-أنثروبولوجيا وأعادوا من خلاله صياغة تاريخ اجتماعي ممسوخ لا يرتكز على أي أسس مادية واقعية، يتولد من هذه الأبحاث خليط من التحليلات والمعطيات المتناقضة مثل التعارض التاريخي بين العرب والبربر، وبين المستقرين

¹ Robert Montagne ،Les Berbères et le makhzen dans le sud du Maroc ، collection(9) archives(Casablanca، Afrique orient،1989 ،P :139

والرحل وبين الإسلام(الشريعة) والعادات(الأعراف)، وبين بلاد المخزن والسبية، وبين المدينة والبادية¹

(7) - التاريخ القبلي (العرشي) في المجتمع العربي والجزائري:

ارتبط تاريخ المجتمع العربي بمفهوم القبيلة، فقد لعبت فيه دورا بارزا في صناعة الأحداث من حروب وبناء للدول وسقوطها، والتأثير في تنشئة الأفراد وتوجيه سلوكهم بفعل العادات والقيم والأعراف والمعايير التي تنظم الحياة الداخلية وتحدد العلاقات الخارجية، ويمثل النسب إسمنت البناء القبلي وكلما قرب النسب زادت متانته كما ذكر ابن خلدون في مقدمته "اعلم أنّ كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم ففيهم أيضا عصبية أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام"² لكن النسيج القبلي تعرّض في البلاد العربية لكثير من الصدمات خلال المراحل التاريخية ومن أهمها قيام الحضارة الإسلامية والحملات الاستعمارية وظهور الدولة الحديثة، فعند ظهور الإسلام في الجزيرة العربية تشكلت دولة الإسلام بقيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحل المجتمع المسلم محل المجتمع القبلي والأخوة في الدين بدل العصبية فتفكك النسيج القبلي وانصهر أفرادهم في بوتقة واحدة، ساوى وأخى بين الأفراد بالرغم من تباين أصولهم وألوانهم ومكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، وجعل الاستقامة والتقوى هي المعيار الوحيد للتفاضل، فذابت في مجتمع المسلمين غالبية القبائل العربية التي كانت متناحرة بعد أن تخلّت على انتماءاتها القبلية وما تحمل من تنافس وتعصّب وثأر وأحقاد واستغلت روابط القرابة في دعم الأخوة الإسلامية كما استغلت الإمكانيات الفردية من شجاعة

¹ - محمد المباركي، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1992، ص: 114

² - مقدمة ابن خلدون، دار القلم، ط7، ص: 131

وفروسية وقدرة على الغزو وسماحة وصبر في نشر رسالة الإسلام إلى العالم أجمع.

نشأت دولة الإسلام في منطقة الجزيرة العربية، ونمت بسرعة بفضل الولاء والتحالف حيث انضمت إليها بعض القبائل وتعاهدت معها أخرى، ورغم تعرضها للهجمات المسلحة من طرف قبائل مناوئة كقريش التي فقدت سيادتها في المنطقة استمر نموها وتطورها في فترة الخلافة بفضل انضمام القبائل ودخولها تحت راية الإسلام، وبذلك زاد الوعي بمفهوم الدولة وعلا مفهوم الأمة وتغيّرت ذهنيات الأفراد وشعورهم بضرورة نشر الرسالة وتحرير الإنسان من الاستغلال والاستعباد، ففتحت البلدان وتوسعت في آسيا وإفريقيا أسقطت الإمبراطوريات الجائرة الارستقراطية والعسكرية في الروم والفرس، وتشكلت حضارة إسلامية عمّرت قرون متعددة، انصهرت فيها جميع الثقافات الشعوب وتجاربهم في المشرق والمغرب وطبعتها بطابع العلم والعمل والعدل والحرية لكلا الجنسين، ولل فرد في هذا النظام علاقة مباشرة بالدولة ولا تمثل القبيلة هنا دور الوسيط " تجريد الفرد من نظام القبيلة وجعله مسؤولاً حراً مختاراً من ناحية وأمره بإقامة رباط العقيدة - وهو دستور الإسلام - ممثلاً في السلطة الحاكمة ورجال الفقه والحكمة من أئمة المسلمين"¹ عادت القبيلة والقبليّة (العروشيّة) للظهور من جديد وكانت وريثة الحكم والنظام في المجتمعات العربية والإسلامية بعد أن ضعف الوازع الديني وتراجع العدل في دولة المسلمين ضعفت سيطرة الدولة وسلطانها وانقسمت على نفسها، ولجأ الأفراد إلى علاقاتهم الأولى كبديل لضمان أمنهم وحقوقهم وهذا ما حدث في فترة ما قبل سقوط الخلافة الإسلامية حيث اعتبرت القبيلة احد عوامل سقوط الخلافة الإسلامية، فالتنافس القبلي على الملك في المشرق والمغرب العربي عمل على تفتيت بنية الأمة

¹ - جاك ماريان، الفرد والدولة ترجمة عبدالله أمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص:12

الإسلامية إلى دويلات وإمارات ضعيفة نسيت رسالتها وهدفها وتشبّثت بأشخاص (زعماء) وبعائلات الأمراء وأسماء العروش المنتمية إليها، ونشبت بينها معارك تذكر بالحروب القبليّة قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، من هذه الدول الأموية والعباسية والخارجية الرستمية والشيعة الفاطمية والزيانية، فكان الزعماء يوظفون القبيلة والعصبية القبليّة من أجل بسط سيطرتهم والتوسّع على حساب غيرهم ثم إدخال المنطقة في صراع دائم ومتجدد حسب تغير موازين القوّة حيث تسقط دولة وتخلفها أخرى حسب الدورة الخلدونية مما أضفى على المنطقة شكل من الفوضى والصراع الدائم.

بعد دخول الأتراك منطقة المغرب العربي في إطار الدولة العثمانية في بداية القرن 16م التي حاولت إعادة قيام الخلافة الإسلامية وجمع شتات الأمّة تحت قيادتها المركزية في اسطنبول، فأصبحت الجزائر على إثرها ولاية (إمارة) عثمانية لها حاكم معيّن من طرف السلطان وجند وسلطة محلية.

استطاعت الدولة الجديدة أن تكسب ولاء القبيلة لاعتمادها على الطرق الصوفية وزعمائها المرابطين، هؤلاء وصفوا بالأولياء الصالحين وكانوا يتمتعون بهالة من القداسة لما لديهم مآثر وكرامات حولتهم إلى نقطة استقطاب للقبائل طلبا لبركتهم وبركة أحفادهم من بعدهم، وتحوّلت بذلك القيادة من شيخ القبيلة إلى الولي الصالح (المرابط)، وتم بذلك استغلال الدين كعامل وحدة بين القبائل بعد تعرّض منطقة المغرب العربي للهجمات الإسبانية، هذا الوضع ساعد على قيام تجمعات قبلية تحمل أسماء الأولياء كقبيلة مرابطية La tribu Maraboutique، مثل عرش سيدي نايل في ولاية الجلفة وعرش العبايز نسبة إلى الولي الصالح سيدي عبدالعزيز، لعبت هذه التنظيمات القبليّة دورا بارزا في إضفاء الشرعية الدينية على السلطة الحاكمة

(الدولة المخزنية¹) وعملت على تحويل اهتمامات القبائل نحو التجنيد والتنظيم للتصدي لهجمات النصارى الصليبيين.

عمدت إدارة الدولة المخزنية إلى الاستعانة ببعض العشائر والعائلات القوية بتعيين شيوخها في مناصب تابعة للدولة كمنصب (القايد والباشاغا) محاولة منها لكسب ولائهم وجعلهم كوسائط بين الدولة والمجتمع بغرض بسط سيطرتها على مساحات أوسع في الصحراء والمناطق المتاخمة للتل ويهدف تمديد فترة حكمها وتوسيعه ليشمل مناطق البدو وللتخفيف من تمرد القبائل البدوية والتقليل من هجماتهم، لكن الدولة بقيت تتمتع باستقلالية في تشكيل مؤسساتها دون الرجوع للتكوينات القبليّة، فالقبيلة في الدولة المخزنية ليس لها تأثير في إنتاج المؤسسات والبيروقراطيات والجيش وهذا هو المقصود بالاستقلالية "إن تكوينات هذا المجتمع لم يكن لها قول أو تأثير في صياغة هذه المؤسسات أو التحكم فيمن يتقلدون مناصبها... لقد كانت الكلمة الأولى والأخيرة للحاكم نفسه، فهو الذي يعين القادة والولاة والقضاة والجبابة والمشايخ وهو الذي يكافئهم أو يعاقبهم، وهو الذي يثبتهم أو يفصلهم"².

لم تكن القبيلة بعيدة عن واجهة الأحداث في المرحلة الاستعمارية في منطقة المغرب العربي والجزائر خاصة، لأخذها لزام المبادرة ومقاومة الوجود الأجنبي الصليبي منذ دخوله، وذلك بشن هجمات وثورات في مختلف مناطق الوطن الجزائري، كانت تخوضها قبائل كمقاومة أحمد باي بقسنطينة وثورة الزعاطشة بالأوراس وثورة الشيخ بوعمامة في الغرب الجزائري، ولم تكن القبيلة بمعزل عن محيطها وأسباب تطورها بل تطلّعت إلى تعميم الجهاد وتكوين دولة جزائرية

¹ - مفهوم المخزنية عند د. سعد الدين إبراهيم يعني "تعبير فعلي ومجازي عن بيت المال الذي كانت السلطة السياسية تضع فيه ما تجمع من ضرائب وحبوس وإتاوات نقدية وعينية من أولئك الخاضعين لها مباشرة"، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، ص:112

² - سعد الدين إبراهيم، مرجع سابق، بيروت، ط2، 1996، ص:114

ونموذجها دولة الأمير عبدالقادر الجزائري، فبسبب مجابهة القبائل لعدو مشترك وبفضل التوعية السياسية آنذاك تناسى الأفراد عصبياتهم القبلية وحل محلها الالتحام والتكامل أفرز تنظيما عسكريا متمثلا في جيش التحرير الوطني، لكن رغم ذلك فأنّ فكرة العصبية القبلية (العرشية) ظلت مختبئة في المخيال الجماعي للأفراد، وهو ما استثمرته القيادة الاستعمارية منذ دخولها بزرع الفتنة بين القبائل والعشائر باستمالة بعضها وضرب الأخرى وتشكيل المكاتب العربية وفرض الانقسام بين مكونات المجتمع القبلي (بربر وعرب، بدو ومستقرين)، وعقد تحالفات مع الصوفية ضد السلفية، ومن جهة أخرى عملت على تفكيك البنية التقليدية عن طريق العنف بشن غارات على القبائل وارتكاب مجازر ومصادرة الأموال والأراضي وتطويعهم عن طريق إنشاء محتشدات ودواوير وتطبيق قوانين للحالة المدنية تكرّس التفرقة والتشردم، كما وصفه بيار بورديو Pierre Bourdieu بقوله " انه من العادة أن يقسم فرع قبلي إلى عدة دواوير في حين يتم دمج الفروع القبلية ذات الأصول المختلفة في دوار واحد، وقد يصل الأمر أحيانا لما تكون القبيلة صغيرة الحجم إلى دمجها في دواوير قبيلة مجاور"¹، كما أضعفت سيطرة القبلية على الفرد بتشجيع العمل الفردي من خلال إحلال نظام الأجرة وإشراك الأفراد في مشاريع الكولون وإنشاء مدنا وفضاءات جديدة للتفاعل وتوفير وظائف تمكّن الفرد من التحرر من التزاماته القبلية تكيفت القبيلة مع التغيرات الجديدة وساد الوعي الثوري واختفت القبلية فاسحة المجال أمام قيام ثورة التحرير التي قدمت المجتمع الجزائري ككتلة لهب متماسكة في وجه الغزاة.

نال المجتمع الجزائري استقلاله سنة 1962 م بعد حرب طويلة وعناء شديد وتضحيات كبيرة، وخرج منتصرا بوحدته كشعب متجانس ثقافيا وحدته مرجعيته

¹ -Pierre Bourdieu، Sociologie L'Algérie، Que Sais Je ? P .U .F 3° édition، Paris، 1970.p120

الثورية وعقيدته وانتمائه العربي الإسلامي ومتمتعاً بشخصية الثائر المتشعب بالوطنية والمتحرر من الظلم والاستعباد، فرضت عليه ظروف البناء والتشييد الوطني والتنمية التغير لمواكبة التقدم وحتمية التفاعل ثقافياً واقتصادياً وسياسياً مع المحيط الإقليمي والدولي، ما أثر سلباً على الحضور القبلي في الحياة الاجتماعية السياسية وخاصة في المدن الساحلية " إن الظروف الحضرية الجديدة تستوجب الدخل الفردي (الأجرة) والشكل النووي للعائلة... وهي كلها ظروف تضعف ما تبقى من الايديولوجية الأبوية"¹.

يثبت الواقع الاجتماعي في بيئات أخرى أن البنى التقليدية والانتماءات الأولية أعيد إنتاجها بعد الاستقلال وشكلت تحدياً عرقل بناء الدولة الحديثة في الجزائر ومن تجلياتها حركة الاحتجاج والانتفاضات في بعض المناطق منها منطقة القبائل والأوراس حسب تحليل غيلنر ونتائج أبحاث جان فافري²، وبروز خلافات بين زعماء الثورة الذين تكتلوا في جماعات Clans تعمق الانقسامية المجتمعية الموروثة عن العهد الاستعماري وما قبله، القائمة على أساس القبيلة والجهة والمنطقة والإثنية، التي شكلت أبرز الأزمات التي تعيق البناء والتشييد، كما أن خروج المستوطنين من الجزائر رافقه هجرة الريفيين بأعداد كبيرة إلى المدن الساحلية كالجزائر العاصمة لتملك الفضاءات الشاغرة مما أحدث فوضى داخل تلك المدن وفي محيطها أين تشكلت الأحياء القصديرية وما نتج عنها من مشكلات اقتصادية وصحية وثقافية، إضافة إلى قبلنتها بسبب إعادة إنتاج القبيلة والحياة التقليدية في الأوساط الحضرية.

تراجعت الممارسات العرشية نتيجة عزم الدولة الفتية على بسط سيادتها وسيطرتها بقوة القانون بفضل قيادة عسكرية مركزية واجهتها السياسية الحزب الواحد (حزب

¹ -La houari Addi. L'impasse du populisme: op.cit.p35

² - أنضر: محمد بن يوب، القبيلة والدولة في الجزائر، مرجع سابق، ص:229

جبهة التحرير الوطني)، واستنادها مرجعيا إلى الثورة التحريرية لتستمد منها شرعيتها، وإيديولوجيا إلى الوطنية والأحادية الحزبية، وبنائيا إلى المواطن كوحدة أساسية ومنعت وجود الوسائط الاجتماعية بين الفرد والدولة كالقبيلة أو العشيرة واعتبارها من مخلفات الاستعمار، وبذلك قللت النخبة الحاكمة من تأثير وفعالية الممارسات العرشية بإنشاء منظمات واتحادات تدعم هيكل الدولة الحديثة وعملت على تسهيل إنشاء جمعيات المجتمع المدني لتخلص الفرد من قبليته، وقامت بتكريس سيادة الشعب من خلال الشعارات والخطابات الرسمية المشحونة بقيم المواطنة والوحدة والتقدم والنضال ووثقتها في مواد الدستور والميثاق الوطني.

لم يتغير الواقع الاجتماعي الثقافي في المناطق الداخلية والصحراء كثيرا عما كان عليه قبل الاستقلال، فبالرغم من التقسيم الإداري والهياكل الجديدة بقيت الجماعة القرابية تدير شؤون الأفراد فليس للفرد أن يتحرك خارجها، وتظهر الانقسامية من الناحية المجالية فبعض البلديات متشكلة من عرش واحد عشائره أو فرقته موزعة على الأحياء، والقرية أو البلدية التي يكوّنها مجموعة عروش فلكل منها حي سكني منفصل، والحياة الاجتماعية في كل حي تطبعها العلاقات القرابية ويدعمها نمط المعيشة العام المقتصر على الرعي والزراعة البسيطة والمعتمد على الملكية المشاعة للأرض العرشية التي تستوجب الحضور داخل الجماعة، وبذلك فتفعيل الروابط القرابية يضمن مستوى معيشي أفضل للأسرة، هذه الأخيرة تنقل إلى ناشئتها المهارات والاتجاهات والمواقف المتعلقة بنمط المعيشة وبالتقافة القبلية المحافظة، فتنشئ الفرد تستند إلى قيم ومعايير الحياة القبلية التقليدية التي تستمد شرعيتها من قواعد الطرق الصوفية المتداخلة مع العادات القديمة وما يميزها من ممارسات واعتقادات، وتظهر في التفاعل اليومي وفي المناسبات كالحفلات والأعياد والوعدة والوفاة والاستسقاء والتداوي وغيرها، واندماج الأفراد في العمل المأجور داخل

المؤسسات الإنتاجية والبيروقراطيات واندماجهم السياسي في هياكل حزب جبهة التحرير الوطني وتعاملاتهم القرابية وممارسة التزاماتهم العشائرية، هذه الظروف جعلت الفرد يتخبط في مشكلات المعيشة و الهوية التي تتجاذبها عدة تيارات متصارعة وثقافات متباينة منها " ثقافة تقوم على المفهوم الإسلامي في الميدان الاجتماعي والثانية: ثقافة لائكية وافدة مع الفعل التحديثي وثالثة قائمة على إشباع الضرورات الأولية للحياة من جانب الفقراء والترف الاستهلاكي من جانب الأغنياء وأجهزتهم الحاكمة، ورابعة مستترة كامنة في السلوك متوارثة في الضمير الجمعي، وتتمثل في العصبية والانتماء القبلي"¹، هذه الصراعات ولدت أزمات اقتصادية واجتماعية وثقافية أدت إلى انفجار اجتماعي وسياسي عنيف هز كيان الدولة.

تعتبر أحداث أكتوبر 1988م منعرج كبير في تاريخ المجتمع الجزائري نتيجة الأزمة الاقتصادية، أفرز التعددية السياسية وظهور الإسلام السياسي الذي اكتسح الساحة السياسية والتف المجتمع حول خطابات إسلاموية عملت على تقوية رابطة الدين على حساب الروابط والانتماءات القبلية والمرجعية الثورية، وكانت استجابة عامة لتبني مشروعهم بحصول مرشحيهم على غالبية المقاعد في المجالس المحلية والبرلمانية، وهو ما أثار تخوف الجهات العسكرية وكانت نتيجة ذلك توقيف المسار الانتخابي ودخول المجتمع الجزائري في دوامة العنف والتقتيل مدة عشر سنوات، هذه المدة لعبت فيها القبيلة وخاصة في الأرياف والقرى دورا أساسيا برجوع الأفراد إلى ذويهم لضمان أمنهم عن طريق الدفاع الذاتي نتيجة ضعف سيطرة الدولة على الوضع الأمني، وتوفير متطلبات المعيشة لكثير من الأسر الفقيرة عن طريق تفعيل الروابط القرابية والتكافل الاجتماعي، كما لعبت القبيلة دورا أساسيا في مرحلة المصالحة الوطنية والوثام المدني وذلك بتدخل الأعيان في إطفاء نار الفتنة وإعادة

¹ - علي سموك، إشكالية العنف في المجتمع الجزائري. من أجل مقاربة سوسيولوجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص:215

الأمن، وكان لهم الفضل في توقيف احتجاجات الشباب في القرى والمدن والشر والتى
عرفت آنذاك بثورة الربيع العربي، فأعيد بذلك إنتاج العرش والممارسات العرشية
التي صارت أمر معترف به في الأوساط الشعبية ويتم تعاطيه في وسائل الإعلام
وخاصة الإذاعة المحلية من خلال البرامج المتعلقة بالإنتاج الثقافي الذي عادة ما
يمر الرموز القبلية ويثبتها في المخيال الجماعي.

خلاصة الفصل:

من خلال استعراضنا لعناصر هذا الفصل نستخلص أنّ المجتمع التقليدي في العالم العربي والجزائري خاصّة، يميّزه النظام القبلي الذي تخضع وحدات بنائه وأفراده إلى قوانين عرفية مضبوطة وعادات وتقاليد عريقة تنظّم علاقاته الخارجية والداخلية ومن أهمّ وظائفه التضامن والضبط الاجتماعي وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية وإقامة الطقوس الدينية، وتعتبر القبيلة أهم وأكبر الوحدات الاجتماعية في النظام القبلي والمتشكلة من مجموعة أسر وعائلات يربطها نسب مشترك، ويسود بين أعضائها شعور بالوحدة والتوافق ويسود بين المجموعات القبلية أشكال من التنافس قد يرقى في بعض الأحيان إلى صراع، وأصغر وحدة في هذا النظام هي الأسرة تعتبر كوحدة بنائية وإنتاجية غير منقسمة، تسودها علاقات قرابية هي بمثابة الاسمنت الذي يجعل البناء الاجتماعي متماسك، وتتميز الأسرة الجزائرية في القرى والأرياف عموماً بأنها أبوية وممتدة وهرمية على أساس السن والجنس وأسرة تبيح تعدّد الزوجات وتحبذ الزواج الداخلي، وقد تعرضت الأسرة للتغيير نحو النمط النووي خاصة في المدن لتأثرها بمجموعة من العوامل منها التطور التكنولوجي والتعليم والوظائف والخدمات في الوسط الحضري، والاعتماد في المعيشة على العمل المأجور وخروج المرأة للعمل، ومع ذلك بقيت الأسرة النووية تتردد على أصولها الريفية متمسكة بانتمائها القبلي، معنّية بروابطها القرابية تستند إليها في أوقات الشدّة وتستمد منها مواقفها واتجاهاتها.

هذه الخصوصية الثقافية اكتسبتها الأسرة الجزائرية من تعرضها لكثير من الحوادث والظروف على مدى قرون، وجعلت التنظيم الاجتماعي يتكيف بنائياً وفكرياً وموقفياً، ففي مرحلة ما قبل الاحتلال عرف المجتمع ذو الغالبية البدوية نظاماً تقليدياً مبنياً على روابط القرابة والأعراف العشائرية التي يتحكم في فعاليتها وديناميكيته

مبدأ العصبية القبلية ولعب الدين دوراً مهماً في التنظيم وضمان السلم الاجتماعي بين القبائل، وفي مرحلة الاحتلال تعرضت تلك البنية لعمليات الهدم والتفكيك بعدة أساليب، لكن التركيبة الاجتماعية تأقلمت مع ظروف تلك المرحلة لتشكل جبهة مقاومة عنيفة ضد الوجود الأجنبي على اعتبار الدين هو المحرك الأساسي الذي لعب دور إعادة صياغة الوعي العام بتحسيس الأفراد بوجود عدو مشترك وغرس مفاهيم الأخوة الدينية الوطنية والجهاد، فتحوّلت بذلك العصبية الخاصة إلى عصبية عامة زادت شدتها بفعل بطش المحتل، ظهر المجتمع الجزائري كجسد واحد تكلفت وحدته بتفجير الثورة وطرد المحتل، ليدخل المجتمع الجزائري مرحلة بناء الدولة الوطنية التي اختارت سلطتها القطيعة مع البنية التقليدية واعتبرتها من مظاهر التخلف، وبذلك اختفت الهياكل القبلية تدريجياً، لكن القطيعة لم تحصل مع النظم التقليدية فالمناخ الاجتماعي بقي مصبوغاً بالتراكمات الثقافية والرمزية للتنظيم القبلي لاعتباره مكون اجتماعي ومخزون ثقافي معالمه مرسومة في مخيال الأفراد الجماعي يوجّهه و يبلور مختلف تفاعلاتهم ومواقفهم، وتتمظهر سمات الثقافة القبلية في حياة الأفراد وتصبغ تفاعلهم اليومي وسلوكياتهم وتصنيفهم الاجتماعي وتطبع مواقفهم وردود أفعالهم، ويتم إعادة إنتاجها في الأوساط الحضرية من خلال تفعيل شبكات القرابة في إشباع الحاجات اليومية للفرد وأشكال التضامن العائلي والتكتل المجالي والسياسي كما نجدها تختفي وراء بعض أحداث العنف الدموية التي حصلت عدّة مرات في الأحياء السكنية للمدن وفي الأرياف، وبذلك يتم إحياء النعرة القبلية والجهوية في المدن فينشأ الفرد ويعيش ضمن مناخ عشائري قرابي يتشرب قيمه ومبادئه ويرضخ لمعاييره وأعرافه على حساب معيار المواطنة والمدنية.

الفصل الثاني: التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالبناء الاجتماعي

تمهيد:

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية

2- مؤسسات التنشئة الاجتماعية

3- نظريات التنشئة الاجتماعية

4- آليات وأساليب التنشئة الاجتماعية

5- الأبعاد التربوية للممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية

6- العرشية كثقافة اجتماعية في المجتمع الجزائري

خلاصة الفصل

الفصل الثاني: التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالبناء الاجتماعي

تمهيد:

تعتبر التنشئة الاجتماعية الوسيلة التي يتم بها نقل الموروث الثقافي بين الأجيال فكل السمات التي تطبع سلوك أو مواقف أفراد مجتمع ما تمثل صورة لماضي المجتمع وجزء من ذاكرته، كما أن طرق التفكير والتصورات لدى الأفراد قد تكون منمطة بحيث تشكل المخيال الاجتماعي الذي يشترك فيه أفراد المجتمع لتقاطعهم في المكان والزمان والشعور، فتجمع الأفراد وتفاعلهم يفرز سننا اجتماعية تحدد علاقاتهم في شكل عادات وتقاليد وأعراف وظواهر اجتماعية، فظاهرة الممارسات العرشية موضوع بحثنا تمثل أحد الإفرازات التي أنتجها التجمع منذ زمن بعيد حيث تتم عملية إعادة إنتاجها باستمرار لهذا يتواصل تداولها وممارستها في عصرنا الحالي لذا سنتطرق لعملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها الجسر الذي وصل الماضي بالحاضر عن طريق إعادة إنتاج المواقف والاتجاهات ونماذج السلوك كموروث اجتماعي ثقافي.

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية:

تشتق التنشئة من الفعل نشأ، ونشأ الشيء نشأً ونشوءاً ونشأة بمعنى: حَدَثَ وتجدد، والصبي شبَّ ونما، يقال نشأت في بني فلان، ونشأ فلان نشأة حسنة ويقال نشأ الصبي أي رباه والنشأة تعني الإيجاد والتربية.¹ وكما ورد في لسان العرب في معنى تنشأت إلى حاجتي أي نهضت إليها ومشيت يقول الأعراب: فلان غادياً إذا ذهب لحاجته ونشأ الله الخلق، ابتداء خلقهم وفي معنى نشأ ينشأ نشوءاً ونشأة، ربا

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ص: 928

وشبّ والنشء هم أحداث الناس، ونشأ السحاب ارتفع وبدأ وذلك أول ما يبدأ تكوينه.¹ وقد ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن " التنشئة الاجتماعية socialisation هي العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة ".²

ومن أهمّ خصائص التنشئة الاجتماعية أنها عملية مستمرة طول الحياة فلا تقتصر على مرحلة الطفولة فقط بل تستمر في مراحل الشباب والرشد والشيخوخة وتقوم على التفاعل المتبادل بين الفرد والأعضاء المحيطين به، مثل أعضاء الأسرة أو جماعة الرفاق، وللتنشئة وظائف تؤديها لتطبيع الفرد وفق المعايير الاجتماعية، يصنّف مراد زعيمي ووظائف التنشئة الاجتماعية إلى صنفين هما أولاً من حيث الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها وثانياً من حيث ماهيتها:³

(أ) - وظائف التنشئة الاجتماعية من حيث أهدافها : هي عملية تشكيل السلوك الفردي (التطبيع) وإدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية وهي عملية تربية وتعليم وتنقيف وتنمية وتدريب على التوقع وهي عملية تشكيل مذهبي وكذلك هي عملية وقائية من الانحراف.

(ب) - وظائف التنشئة الاجتماعية من حيث ماهيتها: هي عملية حركية ومعقدة، ومستمرّة (خلال مرحلة الطفولة والشباب والرشد والشيخوخة). وهي عملية شاملة (تنشئة جسدية وعقلية وروحية ونفسية).

¹ ابن منظور ، مرجع سابق ، مادة نشأ

² عبد العزيز خواجه ، مرجع سابق ، ص: 13

³ مراد زعيمي ، مؤسسات التنشئة الاجتماعية .مديرية النشر جامعة باجي مختار- غنابة ، 2002 ، ص: 22

للتنشئة الاجتماعية خصوصية في المجتمع العربي المسلم، حيث يستمد المجتمع العربي قواعد وآداب التنشئة الاجتماعية من نصوص الشرع الإسلامي الذي اهتم بالفرد المسلم قبل ولادته باختيار الأبوين الصالحين والسليمين، وإعلان زواجهما لضمان حقوقه الاجتماعية، وحدد حقوقه وواجباته بعد ولادته وفي جميع مراحل حياته وحتى بعد موته، وقدم منهاجاً ونماذج عملية لتنشئته الجسمية والعقلية والروحية والنفسية بصورة متكاملة وفق الشريعة الإسلامية التي بإتباعها تجعله "يتمتع بالصحة الجسمية الخالية من العلل والأسقام والصحة النفسية الخالية من الاضطرابات والصراعات النفسية والصحة الاجتماعية الخالية من أي انحرافات أو اختلالات خلقية، فالتنشئة الاجتماعية على المنهج الإسلامي لا تقتصر على بعد دون آخر، بل هي شاملة لكل جوانب النمو العقلية والنفسية والبدنية والروحية بشكل متكامل ومتوازن"¹.

لم تترك الشريعة الإسلامية أي جانب من جوانب الأسرة كوحدة بنائية للمجتمع المسلم في مرحلة إنشائها وبعد تشكلها وأثناء تأديتها لمهامها في المجتمع إلا وجعلت له ضوابط وقواعد وآداب، حرصاً منها على بناء وحدة اجتماعية على أسس متينة، ووقايتها من الانحراف والتفكك. وذلك بتعلم المسلم والمسلمة ما له وما عليه من حقوق وواجبات داخل الأسرة وخارجها وذلك بتطبيق الأحكام المدونة في الآيات القرآنية والسنة النبوية.

تحتاج تنشئة الفرد إلى تجنيد كل طاقاته البدنية والروحية بشكل متوازن "الروح والجسد في الإنسان متلازمان تتم بهما الحياة ولا يمكن إنكار أحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخل الجسد حقاً ليوفي حقوق الروح، ولا

¹ - أنظر: شرقي رحيمة، أساليب التنشئة الأسرية وانعكاساتها على المراهق، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة بائنة، 2005، ص 86-92.

يجوز له أن يبخر الروح حقا ليوفي حقوق الجسد"¹، وتكون بداية التنشئة على مستوى الأسرة التي خصّها الشارع الحكيم بقواعد وآداب وأحكام مفصّلة في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في جميع مراحلها، أي قبل بنائها بطرح معايير اختيار الزوج أو الزوجة ومن أهم هذه المعايير الأخلاق الحسنة والتدين، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلّم "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه"² وقال "تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"³، وبعد تشكّلها ضبط التعامل بينهما بتحديد الحقوق والواجبات لكلّ منهما على الآخر، وأعطى صورة توضّح للمسلم الغاية التي يسعى كلا الزوجين إلى تحقيقها في قوله تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة"⁴، وأثناء تأديتها لمهامها الاجتماعية وخصوصا مهمّة التنشئة الأسرية من حيث نمط التنشئة فإنه يدعو إلى البدء بأسلوب الإقناع والترغيب بدل العقاب الجسدي والقسر، ويدعو إلى التوازن بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة بدل سحق الذات الفردية إذابتها في الجماعة وفرض الطاعة حتى لا تنشأ النزعات المعاكسة الهدامة كالأنانية والتسلّط.

(2) - مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

2.أ) - الأسرة والتنشئة الاجتماعية:

تعتبر الأسرة من أهمّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية ولها الأسبقية في ذلك لإنفرادها بالطفل في السنوات الخمس الأولى من حياته، أين تتشكّل لغته وامتائه

¹ - توفيق نبيل السالوطني، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه ، ط2، دار الشروق للطباعة والنشر، جدة، 1988، ص:155

² - حديث نبوي، أخرجه الترمذي (1085).

³ - حديث نبوي، أخرجه البخاري (5090)، ومسلم (1466).

⁴ - سورة الروم، الآية: 21

وسمات شخصيته "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..."¹. فالتنشئة الأسرية هي عملية تربية وتعليم للصغار، فهي "ضرب من ضروب التعلّم والتربية الاجتماعية تؤدّيه الأسرة بطريقة تمكّن الفرد من إحراز القبول والرضا الاجتماعي من لدن الآخرين وتمكّنه من اكتساب خبرات وتجارب جديدة تجعله ممثلًا حقيقيًا لكل الاجتماعي"²، ويتم تأثر التنشئة الأسرية على اتجاهات الطفل وتشكيل شخصيته، وغرس عوامل ضبط داخلية للسلوك وتوفير الجوّ الاجتماعي الملائم لتحقيق النضج النفسي، وتعليمه المعارف والمهارات والقيم التي تمكّنه من الاندماج في المجتمع، حيث "يفوق تأثير الأسرة أثر أيّ منظمة اجتماعية أخرى"³ ويرجع ذلك إلى الوهن الشديد الذي يولد به الإنسان واعتماده الكلي على والديه وحاجته إلى رعايتهما وسهولة تأثره بهما وقابليته للإيحاء والتعلّم وثقته بوالديه بسبب الحب المتبادل والعواطف المستفيضة داخل الأسرة "وحسب بلوم Blom يكتسب الطفل 33% من معارفه خلال السادسة ويحقق 75% من خبراته في الثالثة عشر"⁴.

تتخذ الأسرة لتنشئة أبنائها آليات يتمّ من خلالها اكتساب المعارف والمهارات والأدوار منها التقليد أو المحاكاة والملاحظة والتقمّص والضبط والثواب والعقاب... الخ، وبالتالي يتوقف نجاح التنشئة على جدية الوالدين ومستواهم الثقافي وتبنيهم للأساليب والآليات المناسبة في تنشئة أبنائهم لتحقيق النمو المتكامل والتكيف والحماية من الانحراف.

¹ - أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ط1، القاهرة، 1986، ص:290.

² Jonson · Harry . Sociology : A Systematic Introduction ، London ، Routledge and Kegan paul ، 1981 ، p.111.

³ - الجميلي خيري خليل وآخرون، المدخل في الممارسات المهنية في مجال الأسرة والطفولة، المكتب العلمي، الإسكندرية 1995، ص47

⁴ - عبد العزيز خواجه، مرجع سابق، ص:137.

التنشئة الأسرية تهدف إلى إكساب الطفل عقيدتها الدينية وثقافة مجتمعا وما تحمل من لغة ومعاني ورموز وقيم أخلاقية تحكم سلوكه وتوجه فكره، وتمكنه من التنبؤ باستجابات الآخرين من أجل التفاعل معهم بإيجابية. فهي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وعملية استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية. فالفرد ينظر إلى الإرث الثقافي من منظور أسرته، "ويتأثر بنوع الآمال التي تضعها الأسرة لمستقبلها ومستقبل أعضائها، وكثيرا ما تفرض آمالها ومثلها العليا على أطفالها، وكثيرا ما يكون هذا الفرض مصحوبا بانفعالات أكثر مما يوجد في واقع الثقافة".¹ وقد يكتسب الطفل من الأسرة قيم وعادات سيئة يمكنها أن تضر بمستقبله ومستقبل مجتمعه.

ففي دراسة لسعد الدين إبراهيم: حول التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي. بينت أن "التربية في الوطن العربي تعزز الاتجاهات التعصبية، فالتربية العربية ولا سيما على مستوى الأسرة تعزز القيم السلبية والأفكار الخاصة عن الفئات الاجتماعية والطائفية والعرقية وتعزز تصورات سلبية ونمطية عن الآخر، بصورة غير عقلانية"²

2.أ.1- التنشئة داخل الأسرة الجزائرية:

تعتبر العائلة الجزائرية إحدى أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية لما تتميز به من خصائص وقيم ومعايير ومواقف تتجلى في الحياة اليومية من خلال الممارسات والتفاعلات التي تحدث بين أعضائها، كما أن للماضي وجود دائم في توجيه هذه التفاعلات والممارسات سواء في الأسرة التقليدية أو الحديثة.

¹ علي(تعوينات)، دور الأسرة في تربية وتنشئة صغارها،المجلة الجزائرية للتربية،وزارة التربية، العدد الثالث، الجزائر، 1995، ص149

²- سعد الدين إبراهيم، التعصب والتحدي الجديد في الوطن العربي، ضمن الكتاب السنوي السادس للجمعية الكونية لتقدم الطفولة العربية،الأطفال والتعصب والتربية،احتمالات الانهيار الداخلي للثقافة العربية المعاصرة، الكويت1988-1999، ص195-209.

ففي الأسرة التقليدية يفرض نظام القرابة مشاركة كل أفراد العائلة من إخوة وأعمام وأجداد وأقارب في تربية وتوجيه الأطفال وفق المنظومة القيمية التي تشمل المحرمات والمسموحات والمعايير الموروثة والمنقولة عبر الأجيال المتعاقبة "فالأسرة الكبيرة تلقن الطفل القوانين والقواعد التي تقوم عليها حياته"¹، ففي المجتمع التقليدي يذوب الفرد في الجماعة ويعمل من أجلها ويسعى مضمحياً لبقاء هذه الجماعة فيتعلم منذ نعومة أظفاره "السلوكات الواجب القيام بها... وهذا لا يترك له المجال لبروز فرديته"².

السلطة الأبوية تجعل أفراد العائلة (الزوجة والأبناء) خاضعين لأوامره دون نقاش، لأنه هو المعيل للحاجات الأسرية والذي تعود إليه كل شؤونها، وتساعده القيم الدينية التي توجب طاعته وتدعم سلطته، ويسعى لتوريث هذه السلطة لأبنائه الذكور حسب السن، فالابن الأكبر يتطلع لممارسة السلطة على أعضاء العائلة عند غياب أبيه ويقوم بنفس دور الأب ويحضا بنفس المكانة التي حضي بها أبوه "يملك الأب الجزائري شعورا وراثيا لعملية السيطرة فهي متأصلة في الدم، والأب الذي لا يعرف كيف يحكم ليس برجل"³.

يساهم الجدّ والجدّة في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال نقلهما للتراث الشعبي المستمد من الحكم والأمثال الشعبية والقصص والحكايات التي تلقى على الأحفاد كنماذج يقتدى بها ومواقف موجهة للسلوك، لأنّ الطفل في هذه المرحلة "يقلد الحركات التي أمامه ويستمتع للأقوال والقصص والأمثال الشعبية... ويعرف النواهي التي تحددها الأسرة ويحضر الحفلات والأعراس فبفضل الأسرة يقتدي فكر الطفل

¹ - عائشة (قطب)، التحضر وتغيير بناء الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1993، ص123.

² -Nafissa (Zerdoumi) :Enfant d' hier،L'Education de l'enfant en milieu traditionnel algérien، Maspero، Paris،1970،p160

³ -Nafissa (Zerdoumi)op cit،p163.

...بذهنية الجماعة... إذ ترسخ فيه قواعد الأدب وحسن السلوك التي هي بمثابة القاعدة الأساسية للتربية.¹

تختلف التنشئة الاجتماعية في الأسرة الحديثة عما كانت عليه في الأسرة التقليدية نظرا للتغير الاجتماعي الذي أثر على حجم الأسرة وعلى وظائفها وخاصة بعد الاستقلال "سياسة التصنيع التي انتهجتها الجزائر منذ السبعينات أدت إلى بروز ظاهرة الهجرة الداخلية المكثفة من الأرياف إلى المدن قصد الرّقع من مستوى المعيشة، وهذه الظاهرة تنعكس أكثر ولو ظاهريا على نمط المعيشة"²، فبعد أن كان الاعتماد على الاقتصاد الزراعي العائلي أصبح الاعتماد على القدرات الفردية المعرفية والمهارات، وكسب الرزق عن طريق العمل المأجور وخروج المرأة للعمل، ما جعل العائلة تلجأ إلى الاهتمام أكثر بتعليم أبنائها وتكوينهم للحصول على مهنة تضمن لهم مستوى معيشي محترم فانتشر التعلّم وبرزت فعالية مؤسسات مؤثرة في الواقع الاجتماعي، منها المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام بمساهماتها في التنشئة الاجتماعية وتوجيهها للرأي العام واتخاذها كمنبع للقيم التي تتعدى إطار العائلة، "مع العلم أنّ القيم والرموز التي تبثّها هذه الوسائل تختلف عن التي اعتاد عليها الفرد في العائلة أو في البيئة التقليدية للمجتمع الجزائري وعن معطياته السوسيو ثقافية"³، ويلاحظ أنّ ارتفاع المستوى التعليمي للأبناء والأولياء أدّى إلى تغيير طبيعة العلاقات بين أفراد العائلة وتقلّص السلطة الأبوية داخل الأسرة.

2.أ.2-العوامل المؤثرة في التنشئة الأسرية: تعتبر الأسرة من أهم

المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي وتتفاعل مع بقية المؤسسات

¹ -Lden.p174.

² -Abdelghani Megherbi: Culture et personnalité Dans Le Société Algérienne De Massinissa a nos jours ENAL. OPU. Algérie. 1966.P139.

³ -Abdelghani Megherbi: Le miroir aux alouettes، ENAL، OPU، Algérie. 1985.P17.

البنائية فتتأثر وتؤثر فيها، وبما أن الأسرة هي حجر الزاوية في تنشئة الفرد وأساس أخلاقه وقيمه وخبراته ولما كان "المجتمع مكون من مجموعة أفراد فإننا نستطيع الاستنتاج بأن العائلة هي التي تقرر الصفات النوعية للسكان، هذه الصفات التي يُعتمد عليها في قياس تقدّم المجتمع ورفيّه الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي"¹، وتتأثر التنشئة الأسرية بالعوامل الثقافية وتباينها من مجتمع لآخر من حيث القيم والمعتقدات الدينية والمعايير والأعراف والتقاليد، كما تتأثر بالعوامل الاجتماعية كالعلاقات القرابية والتجاور والتلازم التي تعرضنا لها في الفصل السابق والتي تختلف في مداها تبعاً لحجم الأسرة ولنوع الوسط الاجتماعي ولطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة. إضافة إلى العوامل الاقتصادية التي بدورها تختلف باختلاف النشاطات الاقتصادية السائدة وعمليات الإنتاج والاستهلاك ونمط المعيشة.

أولاً) - الجانب الاجتماعي والثقافي: تتأثر التنشئة الأسرية بالعلاقات

الاجتماعية للأسرة والفرد على حد سواء حيث تختلف التنشئة في الأسرة الممتدة عن الأسرة البسيطة فوجود الجد والعم زوجاتهم وزوجة الأخ في العائلة يزيد من عدد الأفراد الذين يتلقى عنهم الطفل تربيته، كما أن ارتباط الأسرة بالأقارب يغيّر من نفسية الأبناء وأفكارهم، فارتبط الفرد بدوائره القرابية ومعرفته لنسبه ولشبكة المصاهرات التي تحدث في عائلته توسّع من علاقاته وهذا يختلف تماماً عن التنشئة في أسرة معزولة عن أقاربها، كما تختلف عملية التنشئة الأسرية في أساليبها وأهدافها حسب البناء الاجتماعي الذي تنتمي إليه الأسرة، ففي المجتمع التقليدي يتعرّف الفرد عن انتمائه القبلي ويقيم علاقات خاصة مع أبناء عشيرته الذين تربطهم به علاقات اجتماعية من تواصل وتلازم وتضامن ومصاهرة، وفي نفس الوقت يعامل الآخرين من العشائر والقبائل المجاورة بأسلوب مختلف تماماً تعلمه من

¹ - إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص: 58

نماذج السلوك والمواقف وأشكال ردود الفعل التي اكتسبها عن طريق التعلم الاجتماعي، فالمحيط الاجتماعي للأسرة يؤثر بشكل مباشر على أهداف التنشئة وغاياتها.

تتأثر عملية التنشئة بثقافة الأسرة وبالثقافة العامة للمجتمع، والثقافة هي التراث العام الذي ينحدر إلينا من أجيال سابقة ومتعاقبة وتشمل المعتقدات والتقاليد والعرف والقواعد الأخلاقية والدينية والقوانين والفنون والعلوم والمعارف والتكنولوجيا وسلوكات ومشاعر الأفراد والجماعات وعلاقاتهم وتمثلاتهم، ويعتبر **إميل دوركايم E. Durkeim** هو أول من استخدم مفهوم التنشئة الاجتماعية **Socialization**

بالمعنى التربوي، وهو أول من صوّغ الملامح العلمية لنظرية التنشئة الاجتماعية وربطها بالجانب الثقافي يقول دوركايم بصدده تعريفه لغاية التربية "إنّ الإنسان الذي تريد التربية أن تحقّقه فينا ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع".¹ فالتنشئة هي العملية التي يتم فيها ومن خلالها دمج ثقافة المجتمع في الفرد ودمج الفرد في ثقافة المجتمع، فتبدأ الأسرة منذ نعومة أظافر الطفل بإدماجه في المجتمع عن طرق تلقينه واجباته نحو الآخرين، كما تطالبه بأن يطابق سلوكه التقاليد والعرف والدين والسلوك الاجتماعي السائد المقبول فعند اصطحاب الأب لابنه للسوق يتعلّم منه كيفية التسوّق من بيع وشراء وأساليب التعامل مع الناس كما أنّ الجد عندما يرافقه الحفيد إلى المسجد فإنّه يتعلّم الكثير من الآداب والسلوك الخاص بالعبادة ويكتسب معلومات ومعارف مهمّة من خلال الحوار الدائر بين كبار السن، ويكتسب كذلك الثقافة الدينية للمجتمع، ويعرف موقعه في المجتمع ويجد بعض الإجابات عن الأسئلة الغيبية.

¹ - ناصر إبراهيم ، مرجع سابق، ص:34

وفي المجتمع التقليدي ينشأ الأبناء على نمط ثقافي معيّن يساهم في ترسيخه أفراد الأسرة والمجتمع من خلال تكرار التعامل مع نفس الأفراد وتلقّي نفس الرموز، حيث يتميّز بسيادة نمط واحد من التفكير وضيق الأفق والانتماء إلى عائلة مرتبطة سياسياً واقتصادياً وثقافياً بوحدات أوسع هي العشيرة أو القبيلة، فيتشكّل لدى الفرد وعي قبلي وترسم له حدود وأنماط معينة من السلوك وموقف معيّن من الآخر. والقيم التي تُعلّمها الأسرة التقليدية لأبنائها هي مفاهيم تختصّ باتجاهات وغايات تسعى إلى ترسيخها، وأهمّها التمسك بالماضي والخوف من التجديد والمحافظة على النظام والثقافة القديمة،" في كل مجتمع نظام يمثل قيماً ومصالح مناقضة لجماعات معيّنة من جهة، ونواة لتصور نظام آخر يمثل قيماً ومصالح مناقضة لجماعات أخرى مقابلة، من جهة ثانية"¹.

تتطوي القيم على مجموعة من الأسس أهمّها: أنها مجموعة من القوانين والمعايير والأحكام، ويتم اكتسابها عن طريق التفاعل بين الفرد ومجتمعه وتستخدم القيم كمعيار لضبط السلوك اللفظي وغير اللفظي، ويمكن الحكم من خلالها على أي مجتمع بمدى الالتزام بمبادئ وأهداف المجتمع لأنها من أهم مصادر اشتقاقها، ويتمثّل تلك القيم بتحقيق الأهداف "وتعتبر القيم والعادات الاجتماعية مظهران من مظاهر العقل الجمعي والسيطرة الاجتماعية فهما تعلمان على إدماج الفرد في المجموع، لتحقيق التوافق والتماسك وتحقيق الضبط والتنظيم الاجتماعي. وأنّ وسيلتها إلى ذلك ما يفرضانه من جزاء على من يخالفهما ويخرج على أوامرهما..."²

¹ - حلّيم بركات، مرجع سابق، ص 400.

² - فوزية دياب، مرجع سابق، ص 341-342.

تعدّ الأسرة التقليدية من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تحدّد لأبنائها ما ينبغي أن يكون في ظل المعايير السائدة وتدعمها بالحكايات والأساطير والأشعار والأمثال الشعبية ومن هذه القيم التي يكتسبها الفرد بالتنشئة الأسرية في مجتمعنا التقليدي المحافظ، قيم الطاعة وقيم الحياء والحشمة والسلمية وقيم الذوبان في الجماعة وعدم الخروج عنها، وقيم النّيف (مناصرة الأقارب والدفاع عنهم) وقيم الكرم والشجاعة وقيم العصبية القبليّة والتفاخر العائلي أي الفخر بالآباء والأجداد والاعتزاز بهم وادعاء الرّفعة والشرف (النسب الشريف) والسيادة الاجتماعية وقيم التضامن والتكافل والولاء التام للقبيلة أو العشيرة. والتعصّب للقبيلة في الأقوال والسلوكات وتشجيع القيم المحافظة التي تقاوم التجديد والتحديث. وتساهم الأمثال الشعبية والحكم الصادرة عن كبار السن في ترسيخ هذه القيم منها قولهم "خوك، خوك، لا يغرّك صاحبك" والمثل الشائع خاصة في المناسبات الانتخابية "حمارنا ولا عود الناس" أي شرارنا أفضل من خيار غيرنا، أي أنّ الترشح لمنصب سياسي يخضع لاعتبارات قبليّة فالمجالس المنتخبة ينتمي أعضاؤها عادة للقبيلة الأكثر عدداً، وينعكس ذلك على العدالة الاجتماعية، وما يترتب عن ذلك من إقصاء للآخرين وتصنيف اجتماعي محدد، قد تنشأ عنه طبقيّة وعدم التكافؤ وإعاقة للتكامل والاندماج الاجتماعي.

للأسرة دور كبيرة في بثّ روح المسؤولية واحترام القيم الاجتماعية في المجتمع التقليدي بتعويد الأبناء على احترام الأنظمة الاجتماعية ومعايير السلوك، فالتضامن والتعاون وحل الخلافات داخليا والمساهمة في الضبط الاجتماعي العام، وتعزيز العلاقات القرابية، والتركيز في تنشئة الأبناء على قيم الاحترام والتسامح والذوبان في الجماعة، كلّها واجبات على عاتق مؤسسة الأسرة من أجل المحافظة على هذا النسق والمتمثّل في النظام القبلي، يقول الباحث العربي **حليم بركات** "هناك على الأقل خمسة اتجاهات قيمية تتصل اتصالاً مباشراً بالحياة الأسرية والقبليّة

النزوع في الثقافة العربية نحو التشدد على القيم العضوية، أكثر مما على قيم الاستقلال الفردي والميل نحو الإتكالية على حساب الاعتماد على الذات والتمسك بحق الاختيار، والامتثال والقسوة، والتمسك بقيم الطاعة، والتشديد على العقاب أكثر من التشديد على الانصهار في الجماعة، وهو ما ينشأ عنه نزوع معاكس للتأكيد على الذات وتضخيمها وفرض سيطرة الرجل على المرأة والعزل بينهما في الوقت ذاته.¹

ثانياً) - الجانب الاقتصادي: يعتبر الجانب الاقتصادي من أهمّ " الأنشطة الإنسانية ولا شك أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنواحي الحياة الاجتماعية الأخرى".² والأسرة في المجتمعات الزراعية تعتبر وحدة اقتصادية واجتماعية في نفس الوقت، حيث تنتج كل ما تحتاج تقريباً أي في استقلال يكاد يكون تاماً. فالاقتصاد الريفي تحكمه الثروة الزراعية والحيوانية بصفة رئيسية ويتّصل عمل الأسرة في القرية اتصالاً مباشراً بإنتاج هذه الثروة، ويتميز بالبساطة والتعاون الملزم والجمعية والقناعة التي يرتبط مظهرها بالنزعة إلى المحافظة على القديم لأنه أثبت كفايته في تحقيق الأهداف المقصودة وتجنبّ التجديد كما يميّزه تقسيم العمل الذي يخضع للسن والجنس وكذلك المكانة الاجتماعية.

إذا كان النسق الاقتصادي يهدف إلى إشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية فتحقيقها يتطلب درجة معينة من التعاون المنهجي المنظم والاعتماد المتبادل بين أفراد المجتمع التقليدي على مستوى العائلة أو الوحدات الاجتماعية الأوسع كالبدات، ويساعدهم في ذلك التجانس في القدرة على أداء الأعمال كالحرث والبذر والحصاد والرعي والتسوق مما يسهّل العمل الجماعي وكلّها حرف ومهن متوارثة

¹ - عبد الحليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 641.

² - عبد العاطي السيد، محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص: 05

داخل الأسرة، كما أنّ التقارب في السكن والملكية المشاعة للأرض تدفعهم للتعاون والتلازم الدائم، ويزيد في التماسك عامل مهمّ وهو الزواج الداخلي الذي يقوي اللحمة ويمنع تقسيم الأرض، "فملكية الأرض عبارة عن حيازة جماعية أو عشائرية بالنسبة للقبائل وبطونها. وتتميز الحيازة عن طريق الوراثة أو عقود الزواج (...). فثبات الملكية في يد عائلة واحدة يتم عن طريق الوراثة، والحوش يحمل اسم جد العائلة، ويتوارثه الأبناء ثم الأحفاد."¹

يتولّى كبير العائلة تلبية احتياجات أفرادها ويقوم بكافة الالتزامات المادية والتعاملات المالية من بيع وشراء والتزامات مادية نحو الأقارب وزكاة واستثمار وغيرها، وتتم تنشئة أفراد العائلة على طاعته والانصياع لأوامره "العائلة تعدّ حجر الزاوية لتنشئة الفرد وأساس أخلاقه ومقاييسه وقيمه وخبراته بل وحتى تربيته، ومنه فهي أساس مؤهلاته العلمية والمهنية وبهذا تصبح العائلة وحدة قرابية تساهم في تحديد وقياس درجة تقدم المجتمع ورفيه الاقتصادي كوحدة مهمة داخل البناء الاجتماعي"²، تتولّى الأم الإشراف على شؤون البيت وتقسيم العمل بين بناتها وبين زوجات الأبناء.

قدّم العالم إميل دوركايم فكرة التضامن الآلي والعضوي للتفرقة بين المجتمعات البسيطة والمعقدة معتمدا على قاعدة تقسيم العمل فيكون التجانس حينما يكون العمل واحدا بالنسبة للجميع ويتطلب ذلك تضامنا آليا، أمّا في حالة اللاتجانس فإنّ الأفراد يتكاملون بقيامهم بأعمال مختلفة فهذا التعقيد يتطلب تضامنا عضويا، و"في مجتمع القبيلة الكلّ يعمل في الزراعة والرعي وانقسامهم ليس على أساس

¹ - عبدالعزيز راسمال، مرجع سابق، ص 123-124

² - إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 68

المهن والوظائف وإيما على أساس الوحدات القرابية المتميزة وهذا لا يعني عدم التجانس.¹

لقد انكمش دور الأسرة الاقتصادي في المجتمع الحديث فأصبحت وحدة استهلاكية غير منتجة، إضافة إلى الظروف التي تميّز الأوساط الحضرية كانتغال الوالدين بالعمل خارج البيت وانهماكهم في جلب المتطلبات المعيشية المتزايدة قد يفقد الأسرة قدرتها على عملية الضبط والتوجيه والمتابعة الجدية لتنشئة الأبناء، فلم يعد تأثيرها قويا نظرا لسيطرة مؤسسات أخرى على أفكار الطفل واتجاهاته، إضافة إلى تقلص السلطة الأبوية ونقص الزمن الذي يقضيه الطفل تحت رقابة الوالدين، فتغيّر نمط المعيشة والوضع الاقتصادي أثر بشكل قوي ومباشر على عملية التنشئة الأسرية.

2. ب) - المسجد والتنشئة الاجتماعية:

2. ب. 1) - دور المسجد في التنشئة الاجتماعية: المسجد مؤسسة ضرورية للحفاظ على وحدة المجتمع وتكامله وتوازنه وتقدمه وضرورية للفرد ليحيا المجتمع حياة طيبة وأمنة. يعتبر المسجد حلقة وصل بين الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى لما يقدمه من تعليم وتوجيه للنشاطات الاجتماعية والثقافية فالطفل بعد تنشئته على مستوى الأسرة ينتقل إلى أول مؤسسة تربوية بعد الأسرة وهي المسجد فتتسع آفاق معرفته وتعزز وتدعم القيم والسلوكات المناسبة التي تعلمها في إطار الأسرة المسلمة، فينشأ المسلم دون تناقض ويخرج إلى المجتمع محصنا وواعيا وقادرا على اختيار ما يناسبه فيستهلكه وما يضره فيتركه، فالمسجد أهم مؤسسة للتنشئة الاجتماعية بعد الأسرة ومكملا لها في عملية التنشئة، فينشأ الفرد في المسجد بعيدا عن التمييز محصنا بالعدل والمساواة.

¹ - محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص: 217

قيم العدل والمساواة التي اتصف بها المسلمون أبهرت الباحثين الغربيين إذ تقول الكاتبة الإنجليزية ساروجيني ناديو في كتاب (محاضرات ومقالات): "إنّ الدين الإسلامي كان الدين الأوّل الذي دعا إلى الديمقراطية، وعمل بمبادئها، فلا يرتفع صوت الأذان من منارة مسجد، إلّا ويأتي من يريد أن يعبد الله، فيجتمعون في صف واحد خمس مرات في اليوم ويركعون لله على صوت التكبير وتتجلى المساواة الإسلامية في أروع أشكالها، إنني شعرت مرّة بعد مرّة، بأنّ الإسلام بقوة الوحدة العملية يجمع أفراداً مختلفين من بني آدم، في سلك واحد من الأخوة"¹ ويقول المستشرق الإنجليزي روسكين جب، في كتابه (تجاه الإسلام): "لم يحرز مجتمع من المجتمعات البشرية نجاحاً مثل ما أحرزه الإسلام في إقرار المساواة بين الأجيال المختلفة بصرف النظر عن الطبقات البشرية، وتنوع الفرص وإمكانية العمل، لقد تجلّت من أوضاع الجالية الإسلامية في عدد من البلدان قدرة الإسلام على إذابة الاختلافات في الأجيال والتقاليد التي لا تزول على مر القرون، وعلى مدار التاريخ"².

2.ب.2)- أهداف التنشئة في المسجد: يهدف المسجد بالدرجة الأولى إلى إعداد المسلم الصالح من النواحي العقلية والروحية والنفسية، وهذه الأهداف يصنّفها الدكتور مراد زعيمي على النحو التالي:³

1- أهداف وقائية: وهي كل الأهداف التي تقي النشء من كل ما يعيق نموه السليم جسمياً وعقلياً وروحياً ونفسياً في طاعة الله.

¹ - عبد الكريم بن صنيّان العمري، الدور الأمني للمسجد، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 2/21 حتى 2/24 من عام 1425 هـ.

² - عبد الكريم بن صنيّان العمري، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ - مراد زعيمي، المرجع السابق، ص126.

2- أهداف علاجية: وهي كل الأهداف التي تعمل على تصحيح وتقويم الانحراف الذي يكون قد اكتسبه المسلم من خلال المجتمع.

3- أهداف إنشائية: وهي كل الأهداف التي تتعلق بغرس العقيدة الإسلامية والقيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية والعبادات الإسلامية والتدريب عليها فهما وعلمًا وممارسة.

2.ب.3- وسائل التنشئة الاجتماعية في المسجد: ولتحقيق أهداف المسجد الوقائية والعلاجية والإنشائية تملك هذه المؤسسة عدّة وسائل تستخدمها نوجزها فيما يلي:

أ- صلاة الجماعة: يؤدي المسلمون الصلاة في صف واحد وجنبا إلى جنب وينعكس ذلك على الحياة الاجتماعية للفرد حيث تقيه من العزلة الاجتماعية والتفوق. ب- حلقات تحفيظ القرآن الكريم: المسلم يتوجّه في طفولته إلى الكتاب ليتعلّم الكتابة والقراءة وحفظ آيات القرآن قبل دخوله المدرسة الابتدائية، فتلك المرحلة تسهل اندماجه.

ج- الخطب والمحاضرات: فقد كان النبي معلّمًا لأصحابه في المسجد وخلفه أصحابه وورثهم العلماء والأئمة من بعدهم في تعليم المسلمين أصناف العلوم والوعظ والإرشاد.

د - القبلة: كل المسلمين في أنحاء الأرض يتوجّهون في صلاتهم نحو القبلة وكل مساجدهم كذلك وحين يدفن الميت يوجّه نحوها وتعبر عن ارتباط بالمكان، فهي تمثّل إحدى الرموز التي تعبّر عن وحدة الموقف والمصير لدى أفراد الأمة الإسلامية وتمنع تفرّقهم.

هـ) - صندوق الزكاة: تجسد الزكاة مبدأ التكافل والأخوة في الدين بدل العلاقات والروابط القرابية، وفي المسجد يتم تعليم فقه الزكاة والحثّ على إخراجها وتحديد وشروط جمعها وتوزيعها، وقد أنشأت في العصر الحالي داخل المساجد الجزائرية صناديق لجمع الزكاة لربط المحتاجين بعموم المسلمين وبالمؤسسات الرسمية.

2.ب.4) - المسجد وظاهرة الصراع: إنّ ظاهرة الصراع قديمة قدم المجتمعات البشرية، وهي نتيجة للتنافس الذي يعتبر طبيعياً في البشر، إذ يتكوّن المجتمع من فئات متنافسة تحاول كل منها إثبات وجودها والحفاظ على مرتبتها ومكانها ضمن الفضاء الاجتماعي، وتسعى لاكتساب السيطرة والهيمنة والامتداد والتوسّع على حساب منافسيها.

أولاً) - المسجد و الصراع السياسي:

نظراً لتمتّع مؤسسة المسجد بالسلطة الدينية المطلقة في المجتمع المسلم فإنّ الأحداث التاريخية أثبتت أنّ الفاعلين الاجتماعيين وبسبب نقص الوازع الديني فقد أصبحت تضع ضمن استراتيجياتها وأهدافها كسب هذه السلطة واستغلال هذا الوسط الديني لخدمة أغراضها وتسخير هذه المؤسسات الاجتماعية لخدمة مصالحها ومن أجل كسب المصداقية والقدرة على النفوذ والسيادة والسيطرة على الفضاءات الأخرى.

لم يكن المسجد في يوم من أيام تاريخ هذه الأمة بمعزل عن السياسة، وقد تظن الاستعمار الأوربي الذي غزى المجتمعات العربية الإسلامية إلى أهمية المسجد، فكان من أولوياته السيطرة عليها، لأنّها كانت مصدر المقاومة ومكان اجتماع المسلمين ومدرستهم، ولذلك قام بتضييق الخناق عليها وهدم بعضها وتحويل

بعضها إلى كنائس وإسطبلات لخيوله، وغلقها وعطل وظائفها وصادر أوقافها وسجن أئمتها وهجرهم وجعل وظيفة المسجد تقتصر على تأدية الصلاة فقط، فالمساجد التي كانت مصدرا للتوعية حوصرت واتهمت بنشر الفوضى والتطرف، ووظفها لمصلحته باستغلال الموالين له في نشر الفكر الخرافي وأفرغ الخطاب المسجدي من محتواه وشجع التفرقة والخلاف بين المسلمين، كما تم توظيفها في زمن الانفتاح السياسي من قبل الأحزاب الإسلامية واستعملت كوسيلة للاستقطاب السياسي فتحوّلت إلى طرف فاعل الصراع السياسي الذي انعكست آثاره على أمن ووحدة المجتمعات، كما لعبت المساجد دورا بارزا فيما يعرف بأحداث الربيع العربي التغييرية التي مست بعض الدول العربية كمصر وليبيا وسوريا واليمن، فقد كان المسجد منطلقا للاحتجاجات الشعبية وملاذا للجرحى والمصابين ومكانا لإعادة تنظيم الصفوف، وكانت صلاة الجمعة موعدا لتجديد الشعارات وشحذ واستنهاض الهمم، ما دفع الأنظمة الحاكمة إلى تقليص نشاطها أو تجميد رسالتها ووصفت ب:"الجمود الذي أصاب رسالة المسجد، خلال القرن الحالي، والذي جعل رسالته تقتصر على الجانب التقليدي فقط ألا وهو إقامة شعائر الصلاة"¹، وقد ساهمت المساجد بشكل أساسي في إعادة الأمن والوثام والاستقرار في المجتمع الجزائري بعد سنوات العنف التي كادت تعصف بالجزائر ومؤسساتها.

ثانيا) - المسجد والصراع الطائفي:

يكمن الصراع بين الطوائف في التعصب الديني أو المذهبي فلا تتنازل فئة عن رأيها لصالح الأخرى بل يتعدى التعصب إلى رفض الآخر وكرهيته، لا لسبب سوى أنّ بينهما خلافا في مسائل دينية، فالطائفية هي انتماء ديني بالدرجة الأولى، وعرف التعصب بأنه "حالة خاصة من التصلب الفكري أو الجمود العقائدي حيث

¹ علي محمد مختار، مرجع سابق، ص 104.

يجسد اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات أو طوائف أخرى ويكشف المتعصب عن خضوع كبير لسلطة الجماعة المنتمي إليها، مع نبذ للجماعات الأخرى¹ ومن هنا يقع الانفصال بين الطوائف والجماعات وينتشر العداء، فلا يتساكنون ولا يصلون مع بعضهم في مسجد واحد ولا يتم بينهم التعامل إلا في حدود ضيقة.

والتعصب الديني هو "حالة من التزمّت والغلو في الحماس، والتمسك الضيق الأفق بعقيدة أو فكرة دينية، مما يؤدي بالاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين ومحاربتها والصراع ضدها وضدّ من يحملونها، وهي حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي تدفع إلى سلوكية تتصف بالرّعونة والتطرف والبعد عن العقل والاستهانة بالآخرين ومعتقداتهم، وكثيرا ما يؤدي التعصب الديني إلى شق وحدة الأمة، وإنكار الحقوق الاجتماعية والسياسية للفئات الأخرى، وهدم البنى الاجتماعية".² ولم يسلم المسجد من الصراع الطائفي بل أصبح طرفا فيه، فلكل طائفة مسجدها فهذا مسجد للشيعة وذاك مسجد أهل السنة و مسجد إباضي وآخر مالكي وهكذا ... وقد أدت هذه الطائفية في بعض الدول العربية إلى صراع دامي وحروب طويلة أدت إلى هدم المساجد على المصلين وتفجيرها، ولم يعد المسجد مكان عبادة وأمن بل أصبح طرفا في الصراع بين أبناء الدين الواحد بتوظيفه للخطاب المسجدي الداعي إلى العنف والانتقام، ففي العراق وسوريا واليمن ومصر تقصف المساجد وتهدم بالصواريخ والبراميل المتفجرة ويقتل العلماء والمصلين، وفي الجزائر تمثل منطقة غرداية وأحداثها الدموية في السنوات الأخيرة شكل آخر من أشكال العنف الطائفي، فاحتواء الطائفية للمساجد يخلف سنويا آلاف القتلى والجرحى من المسلمين ويؤثر سلبا على وحدة المجتمع وأمنه.

¹ عزت سيد إسماعيل ، سيكولوجيا التطرف والإرهاب، حوليات كلية الأدب، الكويت، الحولية 16 ، 1996، ص30.

² عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة ، بيروت، ت، ص768.

ثالثاً) - المسجد والصراع القبلي:

الصراع القبلي ليس أقلّ شأنًا من الصراع الطائفي، فعوض أن يتعصّب المرء لمذهبه الديني، يتعصّب لقبيلته أو عشيرته، والقبليّة هي انتماء اجتماعي، وينتج عنه محاولة سيطرة أبناء العشيرة أو القبيلة على منافسيها، ولقد عرف المجتمع العربي في الجاهلية ظاهرة القبليّة، حيث جعلت منه مجتمع حروب يسوده التعصّب والظلم والصراع وفيه تسيطر القبائل القويّة على الضعيفة. "اكتظت بلاد العرب قديماً بالوحدات السياسية التي عرفت بالقبائل التي التصق ضمنها الأفراد، حيث لم تعرف العرب نظام الدولة السياسي، وخلت كذلك من التوافق في اللغة والجنس، قبل مجيء الإسلام إليها¹، ولما جاء الإسلام تغيّر المجتمع القبلي المتصارع وتحول إلى أمة واحدة متآخية ومتسامحة، لا يتعصّبون إلاّ لدينهم، بفضل الشعائر الإسلامية وعلى رأسها صلاة الجماعة داخل المسجد.

فقد جمع المسجد الفرقاء والأعداء الذين كانوا يتقاتلون في الجاهلية، وبإسلامهم أصبحوا إخوة في الدين متوادّين ومتحابّين وأنساهم أحقادهم وما كانوا عليه في جاهليتهم وفي نفس الوقت أصبح عداؤهم ومحاربتهم ضد قبائلهم وعشائرهم التي بقيت على جاهليتها ومن أهمّ المعارك التي أثبتت الولاء للدين بدل القبيلة هي معركة بدر، والتي سقط فيها شعار القبليّة، وانتصر فيها المسلمون بقيادة الرسول القرشي، على قبيلة قريش بقيادة كبارها الذين قتل بعضهم على يد المسلمين من بني عمومتهم ومن قبائل أخرى، فلم يعد هنا اعتبار للانتماء القبلي بل تغيّرت المعايير، ومنها الانتماء والولاء لجماعة المسلمين، وقد ضمّهم المسجد الذي كان في بداية الدّعوة يمثّل مركز القيادة، ويتمّ فيه إعداد المسلم الصّالح الذي يصلّي ويتعلّم ويتدرّب

¹ - أنظر، حسن علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية، القاهرة، مطبعة المعرفة، ب ت ص:

للدفاع عن دين الله وليس عن قبيلة أو عشيرة، وفيه يعقد قرانه وفيه يقف ممتثلاً للقضاء، وفيه يقضي وقت فراغه أي أن المسجد كل شيء في حياة المسلم¹

وبابتعاد الأمة الإسلامية عن دينها الذي كان محور الحياة الاجتماعية، دخلت تحت طائلة التخلف والتبعية، وعادت المجتمعات إلى قبليتها عسى أن تضمن لأفرادها أمنهم وتحمي هويتها وخصوصياتها الثقافية وبذلك استرجعت مخلفات ثقافتها القديمة، التي من مظاهرها التعصب والانغلاق والولاء للقبيلة بدل الولاء للدولة الوطنية أو للأمة، فترتب عن ذلك أشكال جديدة للتنافس والصراع والاستقطاب، منها إنشاء مسجد القبيلة الذي عادة ما يسمّى باسمها (مسجد بني فلان ... مسجد الفلانيين) ويسيطر عليه أبناؤها، دون اعتبار لعمومية هذه المؤسسة الدينية الاجتماعية، وبالتالي تحولت بعض المساجد إلى فضاء للتنافس والصراع بين الانتماءات القبليّة المتصارعة.

2.ج) - المدرسة والتنشئة الاجتماعية:

تعمل المدرسة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية على تعليم الأبناء أسس التفاعل وأساليب الكلام والمواقف وردود الفعل المختلفة وغرس قيم اجتماعية ومدنية وأخلاقية وتكسبه معايير وقواعد التفكير وتنقل للنشء المعارف المتعلقة باللغة والكتابة والتاريخ وأساليب الحوار وتحوّله إلى إنسان اجتماعي متكيف مع أهداف وغايات المنظومة التربوية يعبر عنها إميل دوركايم ب " الفعل الذي تمارسه الأجيال المتعاقبة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية، وهي تقوم بإثارة وتنمية مجموعة من الحالات الجسدية والذهنية والأخلاقية لدى الطفل، وحسبما يطلبها المجتمع السياسي برمته، والوسط الخاص الذي تنتمي إليه² فهي بذلك عملية تطبيع

¹ - علي محمد مختار، مرجع سابق، ص36.

² - Emil Durkheim . Education et sociologie. Paris : P.U.F.4édition.1980.P51 .

اجتماعي ليندمج الفرد ويتكيف ليكتسب عضويته داخل الجماعة التي ينتمي إليها ولتجانس أفكاره ويتطابق سلوكه مع نظام الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والممارسات والمواقف المختلفة، تختلف المدرسة عن مؤسسات التنشئة الأخرى في كونها مختصة في عملية التنشئة الاجتماعية وأنشأت من أجلها دون أن تقرنها بوظيفة أخرى، في الفضاء المدرسي يتعلم الطفل القوانين والانضباط والواجبات والحقوق ويتعرف على الأدوار والمراكز ويكتسب ثقافة جديدة ومتنوعة بتفاعله في فضاءها مع جماعة الرفاق والمعلمين والمرافق.

للمدرسة دور فاعل في زعزعة النظم والبنى التقليدية على اعتبار أنها من مكونات المجتمع الحديث الذي يعطي فرصة لتساوي الجنسين ووضعها جنبا إلى جنب في مضمار المنافسة وضمان حقوق التفوق لكل منهما وبذلك يفقد الذكور تميزهم وتعاليمهم المغروس في أذهانهم بفعل التنشئة الأسرية، ومن جهة أخرى يتعرض المتمدرس لمواقف تربوية تجعله ينفصل على محيطه الاجتماعي ويعتمد على نفسه في الامتحانات والمسابقات، فيتخلص تدريجيا من عقدة الاتكالية والاعتماد على الجماعة و يركن لقدراته الشخصية وهي أول خطوة في إطار الفردانية، كما أن المدرسة تنتج جيلا متميزا من حيث القدرات والمهارات والتخصصات وبالتالي تفرض التكامل والتراتب الاجتماعي وتقسيم العمل وفق الوظائف والمستويات العلمية.

ساهم التطور في مجال التربية والتعليم العالي في إحداث تحولات عميقة في التنظيم والبناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري وخاصة في المدن الكبيرة بحيث تطورت الأفكار نحو الجوانب المادية للحياة، وتغيرت الممارسات الثقافية والاجتماعية بفعل التطور الاقتصادي وتكاثر أعداد المتعلمين وزيادة عدد الوظائف والخدمات وخروج المرأة للعمل ما أدى إلى تخلي بعض المؤسسات مثل الأسرة عن

جزء من وظائفها لصالح مؤسسات جديدة مثل دور الحضانة ورياض الأطفال واضطرت لاستعمال المطاعم والنقل الحضري والاتصالات لتحقيق أهدافها، هذه الظروف جعلت عملية التغيير تمس نمط المعيشة وقواعد تقسيم العمل والنظام الأبوي عموماً، وهو ما أثر على بنية المجتمع وقيمه بحيث تحررت الأسرة من القيود والالتزامات الاجتماعية واستحدثت عادات وتقاليد تعتمد أكثر على المصالح وتقلص من العلاقات الاجتماعية والروابط القرابية، لكن الأوساط الريفية والقرى والمدن الداخلية رغم انتشار التعليم والجامعات ما تزال السمات التقليدية تطبع الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع.

2.د- وسائل الإعلام والتنشئة الاجتماعية:

تمثل وسائل الإعلام إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية أنشأتها الدولة لتتقيد المجتمع وتعريفه بترائه القديم والحديث وربطه بثقافات الشعوب وبمستجدات الأحداث حتى يستجيب للتغيير والتطور والنمو الطبيعي وتسعى لتكيف الفرد مع ما يسطره النظام وما يبيته من رسائل إعلامية في الإذاعة والتلفزيون والمسرح ودور السينما لتوجيه فكره وسلوكه ليستجيب لأهداف وغايات المجتمع ويشبع حاجاته النفسية ويدعم اتجاهات الايجابية ويعزز القيم والمعتقدات الأصيلة ويحقق التوافق والاندماج، ويتصدى للإغراءات التي تحملها ثقافة العولمة عبر وسائل الإعلام الخاصة، فوسائل الإعلام الوطنية تعمل على مستويين أولهما ربط الفرد بترائه الثقافي وإثرائه بأشكال فنية وإبداعية متجددة، وثانيهما تعمل كمصفاة ثقافية تسمح بتمرير ما هو مفيد للمجتمع وتقي الفرد من استهلاك النفايات الثقافية المستوردة، وتجب عن التساؤلات وتفسر الأحداث باستغلال مختصين وباحثين لتوجيه الرأي العام وإثراء معارفه، إلا أن بعض وسائل الإعلام المحلية في بعض الحالات تسلك طريقاً عكسياً بسبب نقص الخبرة وحب التنافس على السبق الإعلامي فتكون أداة

لبث الفتنة وللتفرقة وإحياء النعرات، وبشكل غير مباشر تسوق في بعض موادها الإعلامية لبعث العروشية والطائفية.

(3) - نظريات التنشئة الاجتماعية:

للنظرية العلمية دور أساسي في أيّ بحث علمي أو اجتماعي نظرا لما تقدّمه من تفسيرات علمية وتحليلات منطقية، وما تحدده من مسارات وأطر ومناهج تتناسب مع الموضوع المدروس وتسهّل البحث فيه وتوصل إلى النتائج بجهد أقلّ وزمن أقصر. والنظرية هي "نسق فكري استنباطي متنسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة يحوي إطارا تصوريا ومفاهيم وقضايا نظرية توضّح العلاقات بين الوقائع وتنظيمها بطريقة دالّة وذات معنى كما أنّها ذات بعد إمبريقي"¹، ولتفسير وفهم عملية التنشئة التي يسلطها المجتمع على الأفراد نستعرض عدة آراء ونظريات أنتجها باحثون منتمون لمدارس واتجاهات مختلفة.

لقد حاول العديد من العلماء تحليل الصيرورة البنائية للتنشئة الاجتماعية وقدّموا في ذلك أبحاثا متعدّدة محاولين تحليل عملية التنشئة الاجتماعية من جوانبها المختلفة ومن بين هذه الاتجاهات نجد الاتجاه السلوكي والنفسي والاجتماعي.

(3.أ) - النظرية السلوكية (نظرية التعلّم الاجتماعي): اهتمت النظرية السلوكية

بموضوع التنشئة الاجتماعية وقدّمت تفسيرات متنوعة بخصوص تعلّم الأطفال في وسطهم الاجتماعي حيث يتمّ تعلّم نماذج السلوك والقيم والقواعد والرموز، فحسب وجهة نظر **ثورندايك Thorndike** فنظريته تقوم على فكرة أنّ عملية التعلّم تتم عن طريق "المحاولة والخطأ" (الاختيار والربط)، فالكائن يرتاح للحركة الناجحة فيثبتها ولا يرتاح للحركة الفاشلة مما يحذفها، والكائن يتعلّم لا بالتفكير ولكن بالمحاولة

¹ صلاح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2002 ص: 43

المؤدية إلى النجاح أو الفشل"¹، ومن وجهة نظر أخرى يقوم التعلّم على منعكس شرطي، فبتكرار ربط المثير بالاستجابة تتم عملية التعلّم وقد استخدم العالم **بافلوف PAVLOV** هذا المفهوم (التعلّم الشرطي) في العديد من أبحاثه على الحيوان حيث بنى **بافلوف** عن طريق الترويض والتدريب في عضوية الجهاز العصبي الفيزيولوجي في الحيوان منعكسا أسماه المنعكس الشرطي، ويرى **بافلوف** أنّ التعلّم ظاهرة فيزيولوجية تتبني على أساس ارتباط شرطي بين المثير الاصطناعي والاستجابة الطبيعية عن طريق الجهاز العصبي... وقد ربط بين التعلّم و الدافعية ويعتبر أوّل من أشار إلى العلاقة بين الاستجابة ومثيرات المحيط.

أمّا "سكينر" فقد جاء بـ: "الاشراط الإجرائي" و التعلّم عنده يعني التغيّر في السلوك واكتساب الخبرة وتصميم انساق العادات تحت تأثير قانون التواتر والتجدد ويرى أنّ "تقديم المعزّز يثبت السلوك ويضمن استمرار يته والارتباط بين سلوك معين ومعزّزه يسمّى إشرطا إجرائيا، ويرى **لتولمان** أنّ أساس التعلّم قصدي ويرتبط بعناصر المجال التي تنقسم إلى عوامل مسببة للسلوك (مثيرات حوافز، وراثية، خبرات، نضج) وعوامل متعلقة بالسلوك في حد ذاته (الاتجاه، الكمية الكافية) وعوامل وسيطة بينهما (قدرات عقلية، عمليات نفسية) وهي التي تفعلها وقد سمّاها الطاقة الكامنة...تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلّم تتضمن تغيرا للسلوك وتعديلا فيه أمام خبرات معينة، كما أنّ مؤسسات التنشئة تستخدم بالضرورة أساليب التعلّم بقصد أو بغير قصد، ومن جهة أخرى أيضا تخضع التنشئة لنفس قواعد التعلّم من تعزيز وعقاب وتعميم وتمييز وغيرها"².

¹ عبدالعزيز خواجه، مرجع سابق، ص 73

² - المرجع نفسه، ص 74

من خلال آراء هؤلاء الباحثين نجد أنّ التعلّم الاجتماعي يتم باستخدام الملاحظة والتقييم، فيتعلّم الفرد من مجتمعه السلوكات المختلفة وخاصة من طرف أفراد الأسرة الملازمين له، وكلما تكرر السلوك أو الموقف أمامه تعزّز لديه قبوله أو رفضه حسب النتائج المترتبة عن ذلك السلوك أو الموقف، فالبيئة الاجتماعية تلعب دوراً مهماً في عملية التعلّم لأنّ الفرد يتبع النماذج الاجتماعية الموجودة في محيطه الاجتماعي مستعملاً المحاكاة والتقليد، فيحاول التكيف ليتماثل مع عناصر مجموعته الاجتماعية في السلوك والعقيدة والموقف فيندمج ويحقق التوافق والانسجام.

3.ب) - النظريات النفسية: هناك مساهمات عديدة للنظرية النفسية في فهم صيرورة التنشئة الاجتماعية وعلى رأسها مساهمة التحليل النفسي وما أكدّه فرويد في أبحاثه وكذا أنصار المدرسة النفسية الثقافية.

أولاً- التنشئة الاجتماعية حسب التحليل النفسي: لقد ساهم التحليل النفسي في تفسير التنشئة الاجتماعية ويتزعم هذه النظرية العالم النفسي فرويد Freud الذي يرى أنّ "مصدر التنشئة الاجتماعية ناتج عن "الأنا الأعلى" الذي يتطور بتقصّ الولد لدور أحد والديه من جنسه قصد تجاوز عقدة "أديب" عند الذكور وعقدة "ألكتر" عند الإناث... ويتشكل الجهاز النفسي عند الفرد من مجموعة غرائز جنسية وعدوانية تمثّل "الهو" من جهة ومجموع القيم والأنظمة الاجتماعية التي تمثّل "الأنا الأعلى" من جهة أخرى والضمير جزء منها، ومن "الأنا" الذي هو محاولة التوازن بينهما، فالهو يمثّل الحالة الفطرية في حين يمثّل الأنا الأعلى الجانب الاجتماعي الثقافي وما يحمله من قيم وعادات جمعية للمجتمع وعن طريق الاحتكاك بين الهو والأنا و الأنا الأعلى ويتدخل الأنا تتم عملية التنشئة الاجتماعية، فبالفاعل بين العضوي والثقافي والاجتماعي عند الفرد يتكوّن الفرد اجتماعياً ويأخذ مكانته في

الجماعة"¹. إنَّ هذه الأركان الثلاثة في ميزان التحليل النفسي مستقرّة نسبياً تشكّل الشخصية وتراقب صيرورتها وتفاعل هذه الأركان يحدّد السلوك وينمذج الشخصية، هذه الأخيرة التي تُعدّ من أعقد المفاهيم في علم النفس لأنّه يشمل على كلّ المظاهر الفيزيائية والانفعالية والعقلية والأخلاقية التي تتفاعل وتتكامل عند فرد ما يعيش في وسط اجتماعي معيّن.

ثانياً- مساهمة النظرية النفسية الثقافية:

التنشئة الاجتماعية في هذه النظرية مرتبطة بالثقافة، وعن طريق التنشئة يدمج الفرد في مجتمعه وثقافته التي تعتبر عامل مشترك بينه وبين أفراد مجتمعه. ومن روادها روث بندكت **R. Benedict** الذي يرى أنّ أفراد المجتمع مطبوعون بشكل ثقافتهم نتيجة الطبيعة شديدة الليونة التي يملكونها بطبعهم، فهم منمطون وفقاً للشكل النموذجي الذي يفرضه المجتمع الذي ولدوا فيه ونشؤوا فيه... وقد قام أبراهام كاردينار **Abraham Kardiner** بتطوير "مفهوم (الشخصية القاعدية) الذي يضمّ مجموع وسائل التكيف عند الفرد والمشاركة مع كلّ الأفراد الآخرين في مجتمع معيّن... ويعتقد رالف لينتون **Ralph Linton** أنّ المجتمعات مكوّنة بشكل لا يمكنها التعبير عن ثقافتها إلاّ عن طريق الأفراد الذين يكوّنونها ولا يمكن تخليد هذه الثقافة إلاّ بتكوين هؤلاء الأفراد"²، فالنظرية الثقافية تعطي أهمية كبيرة للتنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة الأولى أين يبدأ الطفل تشكيل شخصيته، ويكتسب عناصر الثقافة من لغة وقيم ونماذج للسلوك التي يشترك فيها الأفراد المحيطين به.

3.ج- التنشئة الاجتماعية في البنائية الوظيفية: ينظر أنصار هذا الاتجاه

إلى أنّ المجتمع ينقسم إلى أنساق فرعية متكاملة هي النسق الاجتماعي والنسق

¹ عبدالعزيز خواجه، مرجع سابق، ص 64

² - المرجع نفسه، ص 84.85

الثقافي ونسق الشخصية تشترك هذه الأنساق في وجودها الدائم في الفعل الاجتماعي، والتنشئة الاجتماعية عندهم هي وظيفة لا يمكن للمجتمع أن يستغني عنها لبنائه واستمراره في الحياة ومن أهم روادها و مؤسسها تالكوت بارسونز T. Parsons، حيث تشكّل التنشئة الاجتماعية لديه جزءا واسعا ومعقداً من تحليله الوظيفي للأسرة، وينطلق في معالجته لعملية التنشئة الاجتماعية من تحديد مفهومها أولاً ثم وضعها في سياق النظرية البنائية الوظيفية ونظرته هنا هي نظرة ثنائية حيث تتضمن مفهوم التنشئة الاجتماعية معنيين مترابطين¹:

- أنّ التنشئة هي التمثّل الداخلي للثقافة التي تقدّمها الأسرة الصغيرة لأفرادها.

- التنشئة الاجتماعية تقوم بوظيفة إعداد الشخصية للفرد ليأخذ دورا مستقلا في المجتمع هذه الوظيفة يمارسها الأفراد القائمين على التنشئة بصورة عامة.

فهنا التنشئة الاجتماعية متضمّنة في مفهومي الثقافة والشخصية أو هي عملية واحدة لوجهين مختلفين، فالمجتمع بتمسّكه بالثقافة المشتركة يساهم في تنشئة أفراده على وحدة الشخصية، وقد أسماه العالم دوركايم "(الضمير الجمعي) الذي يتكون من مجموع العواطف والمعتقدات المشتركة بين أعضاء المجتمع ... والفرد ليس حرا في تكوين شخصيته، ولكن المجتمع هو من يحدد معالم الشخصية"²، ووظيفة التنشئة الاجتماعية هي بالدرجة الأولى مسؤولية الأسرة الأساسية في جميع الثقافات حسب بارسونز، وأنّ الأسرة النووية قد تخصصت بشدّة في إنجاز هذه الوظيفة، والأسرة هي النسق المفتوح الذي يترك المجال للطفل كي يتعرّف إلى النسق الخارجي من نافذة الأب والأم الذين يعملان على نقل ثقافة المجتمع وترسيخها في ذات الطفل كي يعيش حياة سوية بالمجتمع ويحافظ على الأنماط النظامية القائمة،

¹ - سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، 192، ص:22

² - علي ليلي، النظرية الاجتماعية المعاصرة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1991، ص:73.

لكنّ الأسرة مرتبطة بالبناء الاجتماعي وهو بدوره يؤثر على اتجاهات الأسرة في عملية التنشئة ونقلها لثقافة المجتمع الكلي أو نقل الثقافة التحتية (الفرعية) اهتم العالم بارسونز بالفعل الاجتماعي واعتبره وحدة التحليل وتتكون وحدة الفعل الصغرى من الفاعل والهدف أو الغاية والوسائل الممكنة لحدوث الفعل، كما يرى أنّ هذا الفعل يخضع للبيئة التي يتواجد فيها الفاعل ومجموع العوامل المادية والاجتماعية التي تحدد له الاختيارات المتاحة حسب قدراته واستعداداته، أي أنّ الفرد مقيد من طرف النسق الاجتماعي، وهذا النسق يرتكز على قيم ومعايير (نسق ثقافي) وإذا كان الفرد في حياته اليومية يسعى إلى الحصول على أكبر قدر من الإشباع (نسق الشخصية) فإنّ ذلك يلزمه بالدخول في تفاعل مع الآخرين (نسق عضوي) وبتكرار ذلك التفاعل يتشكل في هذه البيئة قواعد ومعايير اجتماعية يلتزم بها الجميع كل حسب مركزه¹.

ومن جهة أخرى لقد عمل تالكوت بارسونز Talcott Parsons على التوفيق بين تحليلات دوركهايم وفرويد. ويرى أنّ العائلة وهي أوّل من يقوم بعملية الاستشراك، إنّ مفاهيم الاستشراك هذه تفترض أولوية المجتمع على الفرد، كما تفترض أنّ الاستشراك ينتج عن ضغط يمارسه المجتمع على الفرد. يمكن فهم الاستشراك، عند بارسونز على أنه تكييف حقيقي، ويبدو الفرد ككائن غير مستقل وسلوكه ليس سوى إعادة إنتاج نماذج مكتسبة خلال مرحلة الطفولة وكما بيّن بعض المعلقين فإنّ الاستشراك هو نوع من الترويض².

3.د) - نظرية بيار بوديو و باسرون ، P.Bourdieu. Passeron :

يؤكدان على أنّ الأسرة تقوم بنقل نوع خاص من الرأسمال الثقافي والتراث الأثيني

¹ - إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هاربرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، عدد 244، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1999، ص 66-67.

² - دوني كوش، ترجمة: قاسم مقداد، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص: 57-58

(Ethnos) لأبنائها بشكل مباشر أو غير مباشر، إذ يشكلان بنية الاستعدادات المكتسبة التي تؤهل الفرد وتيسر له الارتقاء الاجتماعي وفق الرأسمال الذي يمتلكه ولا يمكن تجاوزه ، وبذلك يمارس عليه نوعا من العنف الرمزي، والإنسان ككائن اجتماعي لا يفهم إلا من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينتجها مع محيطه الاجتماعي المتمثل في الأسرة أو الوحدات الأكبر منها، أي حسب الظروف المادية والثقافية والرمزية الموجودة في الأصل الاجتماعي الذي يعيش داخله تقوم هذه النظرية على الصراع الطبقي في المجتمع والذي يتم من خلاله هيمنة طبقة اجتماعية على أخرى وجعلها تعتاد على هذه الهيمنة وتعتبرها طبيعية ويستهلك هذا التوارث للمواقع بإعادة إنتاج الرأسمال الثقافي لكل طبقة في صراع تنافسي غير متجانس يكرّس قبول شرعية الطبقة المسيطرة على الطبقة المسيطر عليها عن طريق العنف الرمزي وتتم كل هذه العملية بالمرور من خلال مفهوم التطبع أو الأبيتوس Habitus¹، وقد ركّز بورديو على الاستعدادات الأولية وهي المكتسبة ضمن المؤسسة العائلية والتي وصفها بالأكثر استمرارا وتأثيرا على الاستعدادات المكتسبة الأخرى. ويتمثل دورها في القيام بإعادة الإنتاج الاجتماعي sociale.Reproduction أي استمرارية الفئة أو الطبقة وتغيير المكانة الاجتماعية، فالاستعدادات المكتسبة تسعى إلى إعادة إنتاج المنطق الموضوعي للظروف لكن بإجراء عليه عملية التغيير التي هي عبارة عن آلة تغيير تجعله يعيد إنتاج الظروف الاجتماعية² وقد استخدم بورديو في نظريته عدّة مفاهيم منها الرأسمال والأبيتوس والحقل.

¹ - عبدالعزيز خواجه ، مرجع سابق ،ص89-90

² -Alan(Accardo) ،sociologie de Bourdieu ،ed·Mascaret·bourdieu·1986·p69

أولاً- مفهوم الرأسمال (**capital**): يعد مفهوم الرأسمال من المفاهيم الشائعة في العلوم الاقتصادية غير أنّ بيار بورديو وظّفه في إطار نظريته السوسولوجية المتمثلة في "البنوية الوراثية" (Structuralisme génétique) بحيث يستعمل بورديو مفهوم الرأسمال كأداة يقارب بها ويدرك من خلالها وضعية المجموعات الاجتماعية في علاقاتها المتبادلة والمختلفة بينها بصفة عمودية نتيجة حجم رساميلها أي رأسمالها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والديني... إلخ فالاستعدادات المكتسبة التي يتأثر بها الفرد، والثقافة الفرعية، يشكلان معا فضاء الحقل الاجتماعي. وقد حلّ بهذه المفاهيم الانجازات الأكاديمية التي حققها طلبته في مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ويتجلى ذلك في ثلاثة مظاهر رئيسية هي:¹

1- المظهر المندمج état incorporé: يمثل هذا المظهر الجانب الذاتي للفرد وما تحمله من استعدادات مكتسبة من محيطه العائلي والاجتماعي بصفة عامة في بعدها الثقافي ويكفي أن يمتلك الفرد وسائل الاقتراب من الشيء الثقافي لكي يمتلك هذه الثقافة.

2- المظهر المشياً état Objectif : ويظهر هذا الجانب في تلك الرموز المرتبطة بالثقافة أو الدلالة عليها والتي تعتبر من الناحية الرمزية رمزا للطبقات الاجتماعية أو رمزا للأصول الاجتماعية لكل فئة، فهي تستثمر كل طاقاتها المتراكمة عبر الزمن من أجل توريثها لأفرادها وغرس ميكانيزمات الحفاظ عليها بين الأجيال، لهذا فإن الرأسمال الثقافي المشياً في بعده المادي والرمزي قابل للتوارث والانتقال إلى الأجيال اللاحقة، فالعائلة تقوم بتنشئة الأجيال في هذا الجو الثقافي والاستثماري للمحافظة عليه لأنه يمثل مكانتها الاجتماعية.

¹ - Pierre Bourdieu 'Les trios états du capital culturel', actes de recherche en science sociales N°30, Paris, 1979, pp3_6

3-المظهر المؤسساتي: يمثل هذا المظهر الألقاب والشهادات التي تعطي الشرعية للرأسمال الثقافي ليتحول إلى سلطة اجتماعية، تتسم بقوة إجرائية وبمشروعية مؤسساتية تحظى باعتراف الآخرين، بهدف بلوغ السلطة أي التمايز والسيطرة على الفئات الاجتماعية الأخرى وهذا وفق استراتيجيات قد تكون في منطقتي خفي ومعلن، من أجل بناء أو إعادة بناء الوجود الاجتماعي للفئة الاجتماعية .

والرأسمال الذي يهمننا هنا هو ما يستخدم في عملية التنشئة الاجتماعية للرأسمال الرمزي (symbolique capital) الذي هو مجموع الرموز التي يختص بها الكائن الاجتماعي سواء كان أسرة أو مجتمع فكل مجتمع رموزه بل هي جوهر الاختلاف بين المجتمعات ويعني الرمز ما هو شكلي وظاهري مجرد وقابل للملاحظة إلا أنه قد يحمل في طياته دلالات خفية مختلفة للحقيقة الظاهرة ولذلك فالرمز الاجتماعي لا يجد دلالاته إلا من طرف أعضاء الجماعة الاجتماعية نفسها، والتي تظهر في أساليب الاتصال والتبادلات والعلاقات الاجتماعية المرمزة والتي تعتبر كرأسمال تملكه الفئة الاجتماعية. إلا أن كل رأسمال مهما كانت الصورة التي يتخذها يمارس عنفا رمزيا لمجرد أن يعترف به (الرضا الاجتماعي) وبالأخص بين العائلات أو الفئات الاجتماعية "إذ يطفو في أشكال تتمظهر في السمعة والصمت والوجاهة والرغبة... إلخ، التي عندما تضم ويعرف بها شخص ويعترف الآخرون له بها تشكل نوعا من الدعم لصاحبها يتمثل في المصادقية والاعتبار والشرف"¹، فتوليد هذه السلطة الرمزية يمرّ عبر تحويل اجتماعي بالاستثمار في شكل رساميل، التي هي عبارة عن طاقات تولّد مزايا اجتماعية ورمزية، عملية التحويل هذه تقع في صلب العلاقات الاجتماعية الصراعية، لفرض أنماط الرؤية والأحكام الثقافية

¹ - محمد صبور، المعرفة والفلسفة في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص46

فالسُلطة الرمزية "هي قدرة شبه سحرية تمكّن من بلوغ ما يعادل ما تمكّن منه القوة (الطبيعية أو الاقتصادية) بفضل قدرتها على التعبئة"¹.

ثانيا - مفهوم الأبيتوس: أو التطبّع يرى بورديو أنّ الأبيتوسات هي "نسق من الترتيبات الدائمة والمتغيرة المواضع والبنى المبنية المهيأة للعمل كبنى تبنى، بمعنى أنّها مبادئ موجّهة ومنظمة للسلوكيات والتصورات، أو هو نسق من التنظيمات أو الترتيبات المرتبطة بمسار اجتماعي معيّن (فالعامل ابن العامل الأصل يكون له أبيتوس عامل تقليدي في حين أنّ العامل ابن الفلاح يمكن أن يكون له أبيتوس البورجوازي الصغير."²

ثالثا - مفهوم الحقل: وهو "فضاء اجتماعي يتحرّك فيه الفرد وتحدث فيه شتّى التفاعلات الاجتماعية يحتلّه الفاعلون المنخرطون في الصراع، والمزودون كفاية بأحد أنواع الرأسمال المختلفة، مما يجعلهم قادرين على السيطرة على الحقل المعني هذه الوضعية تمنح لمن يحتلّها نوع من السلطة، وفضاء الحقل يتّصف بثنائية الحركة أو الاستقرار والتغيّر أو الديمومة وهو فضاء من اللعب ولاعبون يؤمنون بالمكافئات التي يمنحها ويلاحقونها بلا فتور، وفي حالة الديمومة والاستقرار توزّع الأدوار وتورث الأمكنة، رغم تغيير الأشخاص واستبدال الرهانات"³، ويبقى الرهان دائما لصالح الفئة المسيطرة من خلال أشكال الأبيتوسات المختلفة، وفي هذا السياق "تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية بيوغرافية لدمج التنظيمات الاجتماعية المكتسبة

¹ - بيار بورديو وباسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص122

² - عبدالعزيز خواجه، مرجع سابق، ص90.

³ - رميلي رضا، الوضعية الاجتماعية للأسرة وأثرها على التحصيل الدراسي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006، ص85.

...فالتنشئة الاجتماعية تضمن اندماج "أبيتوسات" الطبقة وتنتج الانتماء الطبقي للأفراد كل هذا بإعادة إنتاج الطبقة.¹

3.هـ) - التنشئة الاجتماعية في ضوء التفاعلية الرمزية: يرى أصحاب هذه

النظرية أنّ عملية التنشئة الاجتماعية تستمرّ مدى الحياة وأنّ دور الوالدين والأجداد والأعمام والمعلّمين في عملية التفاعل بالنسبة للأطفال والراشدين معاً مهمّ جداً في التنشئة الاجتماعية، وإلى جانب الحاجات الداخلية والدوافع باعتبارها مصدر للطاقة، فإنّ التفاعل مع الآخرين والمعاني والرموز، له أهميّة في حياة الأفراد وسلوكهم فالتنشئة الاجتماعية من هذا المنطلق لا تعتمد كثيراً على الدوافع والحاجات أو العمليات اللا شعورية أو الخصائص الفطرية أو البيولوجية وإنما تعتمد أكثر على العمليات التفاعلية وعلى المعاني المستمدة للذات أو للآخرين.²

من أهم رواد هذه النظرية: جورج هربيرت ميد Mead،H،G الذي يعتبر أنّ التنشئة الاجتماعية هي "عملية تفاعل أوّلاً مع "الآخر ذي الدلالة" ثم مع "الآخر العام" فالطفل في المرحلة الأولى يعيد إنتاج داخل أعباه سلوكيات محددة ثم في مرحلة ثانية يمكنه وهو يلعب وحده إبداع الدور الذي يختاره والتعبير عنه كما يفهمه وإذا كان يلعب لعبة تتضمن مجموعة من الأفراد عليه أن يحترم القواعد المفروضة والمشاركة من الآخرين"³.

كما تنطلق التفاعلية الرمزية في معالجاتها لموضوع التنشئة والأسرة من تحليل السلوك الإنساني باعتباره نسقاً مغلقاً من التفاعلات الاجتماعية وأنّ التفاعل الاجتماعي عملية تتم بين بني الإنسان الذين يتعاملون مع الأشياء على أساس

¹ - عبدالعزيز خواجه، مرجع سابق، ص95

² - سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ص237

³ - عبدالعزيز خواجه، المرجع السابق، ص99-98

معانيها، فالفرد "يتحول إلى كائن اجتماعي بعدما يخضع لمؤشرات عملية التفاعل الاجتماعي التي تحصل بينه وبين أسرته عبر التنشئة الأسرية والاجتماعية التي بها يتعلم ويكتسب دوره وأدوار الآخرين وتصوراتهم".¹

3.و)- الانتقادات: تتميز عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية معقدة ورغم كثرة الدراسات والأبحاث وتغطيتها للجوانب المختلفة للإنسان وللتنشئة ما زالت النظريات المطروحة تعاني من القصور نظرا للانتقادات التي تعرضت لها من طرف العلماء الباحثين والمختصين، فالانتقادات التي وجهت للنظرية السلوكية تقول أن للحيوان استجابة آلية، أما الإنسان فقد وهبه الله تعالى حرية الإرادة فيمكنه تعديل الاستجابة أو رفضها، فالصائم مثلا رغم إثارة برؤية الطعام أو شم رائحته لكنه يمتنع عن تناوله ، وقد يستجيب عكس المثير تماما بإرادة واعية وعقل مدرك²، والسلوكيين يعاملون الفرد وكأنه إنسان آلي، لهذا تنبّه بعض السلوكيين إلى الأخذ بعين الاعتبار المؤثرات الخارجية والوراثية. ولقد وجهت انتقادات عدة إلى أنصار مدرسة التحليل النفسي وخاصة " فيما يتعلق بأهمية مراحل النمو الأولى في الطفولة بالنسبة لتوافق الشخصية لأنّ أكثر ما ذكره فرويد وأنصاره في هذا الصدد كان متعلقا بحالات مرضية لا يمكن أن تكون دليلا على ما يحدث بالفعل بالنسبة للغالبية العظمى من المجتمع"³. أما النظرية الثقافية فقد ركزت كثيرا على الشخصية القاعدية ومرحلة الطفولة المبكرة في عملية التنشئة، لكن الدراسات أثبتت أنّ عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة في المجتمعات الحديثة مستمرة ومعرضة للتغيير نتيجة انتماء الفرد إلى جماعات مختلفة ونتيجة انفتاح

¹ - معن خليل عمر، مرجع سابق ، ص:37.

² - علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 2002 ، ص:65

³ - سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، مرجع سابق، ص202

الأفراد والجماعات على الثقافات المتعددة بفضل المؤسسات الاجتماعية المستحدثة والعبارة للحدود السياسية والثقافية.

أما بالنسبة للبنائية الوظيفية فقد تمّ نقد مفهوم **بارسونز** إذ يرى البعض أنّ "مفهوم **بارسونز** مفرط في اجتماعيته للإنسان وهو يركز بشكل أحادي على الظرفية **Conditionnement** المجردة فقط"¹، إضافة إلى المماثلة بين المجتمع وعضوية الكائن الحي والعلاقات الوظيفية الدائمة داخله والتكامل وحالة التوازن، فهذه النظرة تقلل أو تنفي ظاهرة الصراع والتغير داخل المجتمع.

وبالرغم من اعتماد أغلبية النظريات المذكورة على دراسات وأبحاث مخبرية واستعملها لمناهج ووسائل علمية دقيقة، إلا أنّ كل منها يركّز على جانب واحد فقط. سلوكي أو نفسي أو اجتماعي، ونحن نعلم أنّ للفرد أبعاد متعددة ومتشابكة فلا يمكن فصل هذه الأبعاد عن بعضها أثناء الدراسة، والتفسيرات هنا تصبح جزئية وقاصرة. وبالنسبة لبحثنا الذي ندرس فيه عملية التنشئة داخل الأوساط التقليدية المتأثرة بالنظام القبلي، والتي تسعى من خلال نقلها للموروث الثقافي وترسيخها لبعض الممارسات إلى تكريس سمات ذلك النظام وتعيد إنتاجه، فإننا نرى أنّ كل النظريات المذكورة لامست موضوعنا بدرجات مختلفة، وأهمّها نظرية التعلّم الاجتماعي بتركيزها على البيئة الاجتماعية وما تحمل من مثيرات ورموز وتفاعل مع الأفراد ويحدث التعلّم باستخدام الملاحظة والمعارف والخبرات المترakمة وأشكال التعزيز، فالطفل يتعلّم من أفراد أسرته وقرابته أبجديات الحياة الاجتماعية ويساهمون في تكوين شخصيته ومواقفه ضمن إطار ثقافي يفرضه البناء الاجتماعي بما يحمل من قوانين وأعراف تنظيمية تسمح ببقاء واستمرارية أنساقه، وتليها مقارنة عالم الاجتماع **بيار بورديو** من حيث طرحه لفكرة إعادة إنتاج البنى الاجتماعية وتمييزاتها الطبقيّة وفق موروث

¹ - عبدالعزيز خواجه ، مرجع سابق، ص82.

الرأسمال عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية ومحاولة الفئة المسيطرة استغلال كل الإمكانيات كالمجال والرموز للمحافظة على التميز، فمن النتائج التي توصل إليها الدكتور رشيد بوسعادة في أطروحته: "إن الرأسمال الديني يوظف لتحقيق مطالب اجتماعية سياسية اقتصادية بغض النظر عن محتواه الروحي"¹.

4- آليات وأساليب التنشئة الاجتماعية:

4.أ- آليات التنشئة الاجتماعية: حتى تحقق التنشئة الاجتماعية أهدافها تتطلب مناخ اجتماعي مناسب وسليم بحيث تتوفر العناصر الفاعلة وتكون مؤهلة لتأدية هذه الوظيفة ففي المجتمع الجزائري يتم تربية الزوجين وتأهيلهما من خلال غرس عوامل الضبط الداخلية وتنمية ضمير الفرد الذي يمثل وعيا داخليا لدى الفرد حيث يوجّه سلوكه ويضبط مواقفه "من المسلم به اجتماعيا أن الضمير غير فطري، فقد يكون صوتا ضعيفا أو ساكنا داخل الفرد، ولكنه يشتد في ضوء تحديات الجماعة لمعنى الصواب والخطأ، وينمو عند الفرد بتمثله الداخلي لقيم الجماعة ومعاييرها"² وبعد الزواج يتم تنشئة الأسرة النووية وأبنائها في الوقت نفسه في إطار العائلة الكبيرة، بحيث يتعلم الوالدان الفتیان من الأجداد والأقارب أسس وقواعد الأسرة ومعايير التفاعل حتى يتطلع كل من الزوجين بدوره ويشغل مركزه لتفادي الاضطراب والتفكك الأسري، ثم يتعلمان طرق وآليات تنشئة الأبناء ميدانيا بحيث تبقى الأسرة الزوجية تحت رعاية ومتابعة العائلة الكبيرة مدة زمنية حتى تضمن نجاحها ومن آليات التنشئة الاجتماعية عموما والتي تستفيد منها كل الأطراف منها ما هو مباشر كالضبط ومنها ما هو غير مباشر كالتقليد.

¹ - رشيد بوسعادة، مرجع سابق، ص342

² - عبدالهادي عفيفي، الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، د-ت، ص153.

أولاً: الضبط : وهو عملية مستمرة وهادفة مباشرة يؤديها الكبار تجاه الصغار وفق مبدأ التراتب والطاعة الذي يُخضع الصغير لطاعة الكبير، بحيث تبدأ متى يكون الطفل مدركاً داخل الأسرة أو في محيطها بحيث يقوم السلوك ويضبط القول والفعل على قواعد النسق القيمي، من خلال المراقبة المستمرة والتقويم، فيتدرب الطفل على طريقة الكلام وآداب الطعام وأسلوب التعامل مع مختلف الفئات حسب العمر والجنس ودرجة القرابة وتختلف عملية الضبط في مجتمعنا التقليدي بين الذكر والأنثى من حيث ضبط حركات الجسم واللباس وتحديد مجالات التفاعل، وعملية الضبط تكون مدعمة بالثواب والعقاب بحيث ينعم الطفل بالشكر والثناء عند امتثاله للمعايير والقيم، ويتعرض للعقاب البدني والتوبيخ عن السلوك السلبي وتجاوز حدود المنهيات.

تُعرف بعض الأحياء السكنية في المدن والقرى بالتجمعات القرابية حيث يتعرف الأبناء على أقاربهم من خلال تلازم الأقارب وتفاعلهم المستمر داخل محيط الحي ويعمل الوالدين على تعريف الأبناء بأصولهم وقد يكتشفون أقاربهم من خلال اللقب العائلي، كما أن هذا المناخ الاجتماعي الذي يميزه الشعور بالمصير المشترك بسبب دوام التلازم وتراكم الأحداث المشتركة والتشارك في نفس الفضاء كالمسجد والشارع يجعل الروابط الاجتماعية تزداد متانة وتدعمها التعاليم الدينية التي تحث على صلة الرحم والإحسان للأقارب والجيران هذا النسق في وسط مغلق يفرز ثقافة مشتركة تترجم إلى آلية للتنشئة الاجتماعية تفعل العلاقات الأولية وتطبع الفرد على الاندماج والانسجام مع القيم والمعايير، هذا الانتماء للجماعة الأولية ينتج عنه تبعات والتزامات اجتماعية وسياسية.

ثانياً: التقليد: وهو آلية غير مباشرة في التنشئة الاجتماعية، فقد يحاكي الطفل السلوكيات من فعل وقول تلقائياً نتيجة التفاعل مع المحيط الاجتماعي يوماً يحتويه

من نماذج للسلوك فعلية التفاعل" يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها¹، وقد ينتقي سلوكات يقلدها انطلاقاً من خياله أي من الصور الذهنية التي يشكلها عند تلقيه لقصص الأجداد بحيث يلعب الجانب الرمزي هنا دوراً مهماً في تشكيل الاتجاهات والمواقف وقواعد الشخصية وإعادة إنتاج العادات والتقاليد.

يتابع الأطفال سلوكات أعضاء الأسرة ويقلدونها باستمرار على اعتقاد أنها مقبولة اجتماعياً، لهذا تلقى مسؤولية كبيرة على الأسرة في ضبط سلوكات أعضائها أمام الأبناء، فقد يقلد الطفل السلوكات السلبية كمارسة (العنف، التدخين، التعصب) لأنّ الطفل يقلد أباه ويعتبره كنموذج مثالي للقوة والقدرة ويتطلع ليرث مركزه وسلوكاته وكذلك البنت تقلد أمها وتتقمص شخصيتها أثناء اللعب حيث يتدرب الأطفال داخل جماعة الرفاق على مختلف الأدوار كالقيادة والأمومة أين يكون الطفل منسجماً مع الأقران ومتحرراً من قيود الكبار، تقول الباحثة Marta Antunes Maia "يؤسس المراهقون على سبيل المثال فيما بينهم علاقات مشفرة، وطقوس (جسدية، رمزية، لغوية...) تركز على جعلهم يدخلون مع أمثالهم من نفس السن، ومدى تعارفهم، وأيضاً مجموعة انتماءاتهم، التي تتكون وظيفياً مع تبعيتهم الاجتماعية والثقافية"².

4.ب) - أساليب التنشئة الاجتماعية: وهي الطرق التي يتم بها تنشئة الأبناء بحيث تتأثر تنشئة الطفل بالطريقة أو الأسلوب وبنسبها، فهناك نوعين من التنشئة كل منهما تطبق أساليب تربوية خاصة بها.

¹ - سلمى محمد حمص، إقبال محمد البشير، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ب ت، ص 73

² - أنظر: زيان محمد، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2012 ص: 161.

الأولى تسلطية: تتميز بالشدّة والتعنيف واستعمال العقاب الجسدي والمعنوي ولا تترك للمتعلّم مجال للمناقشة أو إبداء الرأي، والثانية ديمقراطية خالية من أشكال العنف وتقوم على الاحترام والمودة والإقناع، وثالثة تتميز بالتسيب حيث ينشأ مدللاً وليس لتربيته ضوابط.

يعتبر المجتمع الجزائري التقليدي ذو سلطة أبوية، حيث تتسم عملية التربية بشدّة الضبط وسلطة القيم حيث يخضع الطفل لأسلوب تنشئة يغلب عليه طابع التسلط والتخويف والعقاب وخاصة من طرف الأب أو الأخ، فبنشأ ممتثلاً لتأدية الدور المسطّر له من طرف العائلة أو المجموعة التي ينتمي إليها، فبنشأ مكرهاً عن ممارسة سلوكات معينة وقد يتصنع الامتثال للضوابط والقيم ويلجأ للكذب لتبرير سلوكاته ويترصد زوال التسلط ليتخلى عنها، وبذلك يعيش الفرد ازدواجية تُظهر الامتثال للقواعد والانسجام مع القيم والمعايير وتخفي الانحراف والتمرد.

الثانية مرنة: تعرّض المجتمع الجزائري الحديث للتغير والتحديث في عدة مجالات، وخاصة منها المتعلقة بعملية التنشئة كنمط المعيشة والعلاقات الفردية نظراً لتأثرها بمجموعة من العوامل أهمّها التطور الذي مس بنية الأسرة ومستواها الاقتصادي والثقافي وخروج المرأة للعمل إضافة للتغير الذي أصاب منظومات التربية والإعلام والسياسة والتطور التكنولوجي في مجال الإعلام والاتصال وعامل العولمة وما أفرزته من وعي ومثاقفة، فتربية الفرد في هذا المناخ يميزها الطابع الديمقراطي بعد تقلص دور الأب، ففي المجتمع الحديث تعاني بعض الأوساط الاجتماعية ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة وخاصة حينما يصيب الأسرة خلل وظيفي عند غياب أحد الأبوين أو كلاهما حيث يتعرض الأفراد إلى حالات التشرد والجنوح بسبب عدم التوجيه والضبط، وعادة ما تكون هذه الأوساط مصدراً لكثير من الأمراض الاجتماعية كالجريمة

والدعارة وتعاطي المخدرات، وبتفانها تنتقل إلى الأوساط الاجتماعية الأخرى وتنتشر كوباء اجتماعي يشكل عائقاً للتنمية وتحدياً لهيئات المجتمع الحديث وخاصة منها الأمنية والتنظيمية ومؤسسات إعادة التربية.

5- الأبعاد التربوية للممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية:

يعيش الفرد كعنصر يؤثر في البيئة الاجتماعية التي يدخل في تركيبها وتتأثر شخصيته ومواقفه واتجاهاته بمكوناتها، على اعتبار أن التنشئة عملية مستمرة عن طريق التفاعل والتقليد بين أفرادها، حيث يتم إعادة إنتاج الممارسات التي كانت تحدث في المجتمع التقليدي وبالتالي إحياء العادات والتقاليد القديمة في العصر الحاضر حيث يمثل الفرد لها وبيتها كالتضامن والتعاون والزواج الداخلي والتعصب للعشيرة أو العرش والانقياد للجماعة، وإحياء المناسبات المتعلقة بحياة الفرد والعائلة وتنظيم المهرجانات السنوية المتعلقة بالعرش التي عادة ما تكون مرتبطة بتوقيت ومكان معين يلتزم الأفراد بها.

تتحول العادات بفعل ترسيخها عن طريق التنشئة الاجتماعية إلى قوانين تقليدية وطقوس تتطلب الانصياع والاحترام والخضوع لقدسيتها، كما أن من خصائص التربية في المجتمع التقليدي احترام الأجداد وتبجيلهم وتصديق كراماتهم وبالتالي يتم تأكيد الولاء والانتماء للقبيلة (العرش) والرضوخ والالتزام للجماعة القرابية فينشأ الفرد متشرباً ومتمثلاً للقيم والمعايير الاجتماعية ومحاكياً لنماذج السلوك الكامنة في الممارسات الاجتماعية الثقافية ومحافظة على استمرارية النسق عن طريق التمسك بنمط المعيشة الرعوي والزراعي والمحافظة على السمات العامة كالأزياء والأكلات الشعبية والألعاب، حيث يعاد إنتاجها بنفس الصيغة وتتوارث عبر عشرات الأجيال وقد تنقل رمزيتها في شكل صور فنية معبرة يتم تداولها في المناسبات الاجتماعية والثقافية كالرقص والشعر والغناء والأمثال والحكم

وبهذه الوسائل يعاد إنتاج المجتمع التقليدي بخصائصه الثقافية والسياسية المرتبطة بالقديم، في عصر المجتمع الحديث الذي لم يتحقق انتقاله للحدثة على غرار المجتمعات المعاصرة المتسمة بالديمقراطية وقد أشار إلى ذلك الباحث هشام شرابي في تحليله لأسباب تخلف المجتمع العربي بقوله " والنظام القائم في المجتمع العربي اليوم ليس نظاما تقليديا بالمعنى التراثي، كما أنه ليس معاصرا بالمعنى الحدائوي، بل هو خليط غير متمازج من القديم والحديث، من التراثي والمعاصر، نظام غريب يختلف عن أي نظام آخر"¹، وهو ما يفسر دخول غالبية المجتمعات العربية في نفق العنف والافتتال بسبب إحياء النعرات الطائفية والقبلية وهدمت المؤسسات والبيروقراطيات الحديثة، ومن هنا نستخلص الدور المهم لتتسنة الفرد في هذه المجتمعات وعجزه على تجاوز التناقض وفقدان هويته وتمسكه بنزعات تسلطية تعصبية تستند للقيم الأبوية والعلاقات ذات الطابع العرشي والطائفي والعرقي.

6- العرشية كثقافة سياسية في المجتمع الجزائري:

تعدّ الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية كالتضامن والتكافل والتلازم في الأوساط الاجتماعية المغلقة كالعائلات أو العشائر عوامل تسهم في تثبيت واستمرارية ظاهرة الممارسات العرشية، ففي هذه الأوساط التي تُشعر الفرد بغياب الدولة، قد تتبث العصبية القبلية في ذهنه وتتمو نتيجة اعتماد الفرد باستمرار على قرابته الفاعلين (من لديهم نفوذ في الدولة) كوساطة لتأمين حاجياته المختلفة (منصب شغل، سكن اجتماعي، قرض بنكي... الخ) يقول د. حلیم بركات في هذا الصدد "فيما تحنل الجماعات الوسطية بين الفرد والمجتمع ككل (القبيلة، الطائفة، الفئة، القرية، المجتمع المحلي،... الخ) مركزا مرموقا في

¹ - هشام شرابي، المجتمع الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1993، ص:15

حياة العرب الاجتماعية، فلا تستطيع المؤسسات العامة التي تمثل المجتمع (الدولة مثلا) أن تصل إلى الأفراد إلا من خلال هذه الجماعات التقليدية (...). بكلام آخر فيما تتوسط التنظيمات الحديثة المهنية في المجتمعات الصناعية بين الفرد والمجتمع متمثلا بمؤسساته العامة، نجد أنّ الجماعات التقليدية هي التي تتوسط بين الفرد والمجتمع، من هنا نظام الوساطة¹

والتعصب قد يكون نتيجة الشعور الفطري الذي يحمله الفرد تجاه قرابته وهي العاطفة والنصرة التي تدفع الفرد إلى نصرته ذويه سواء عند المطالبة أو الدفاع، هذه الرابطة دموية طبيعية كما يصفها العلامة ابن خلدون "وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر"²، لكن هذه الرابطة الدموية الطبيعية لا تلبث حتى تتحول إلى رابطة اجتماعية نتيجة امتداد النسب وتوسّعه عن طريق التحالفات والولاءات فالجهة أو الطائفة أو العرق أو المصلحة كلها تعبر عن الانتساب للعرش كإطار سياسي رمزي، فالقرابة تصبح اجتماعية أكثر منها دموية، وبذلك تتغلغل في نفسية كل فرد حيث يستحضر القبيلة(العرش) في شكل استجابات وردود أفعال شعورية ولاشعورية تعبر عن وجود الأنا الجماعي أو ما يسمى بالضمير الجمعي، وكلما زادت الممارسات الاجتماعية ذات الطابع القرابي والاعتمادية المتبادلة بين أبناء الجهة أو العرش، تزداد قوة الضمير الجمعي لدى الفرد في الواقع الاجتماعي وزاد وعيه بأهميتها، بسبب تضاعف حاجات الفرد وضرورة اعتماده على ذويه ومعارفهم ليتسنى له إشباعها، وبالتالي يتشكل مناخ عائلي حميمي قرابي في الحي أو القرية كصورة ثقافية تعكسها ممارسة العادات والتقاليد والقيم والمعايير التقليدية حيث يلتزم بها الجميع ويجلّونها ويتوارثونها جيل بعد جيل. يعتبر نمط المعيشة المعتمد على الرعي والزراعة من بين أهم

¹ - أنظر محمد بن يوب، مرجع سابق، ص:379

² - عبدالرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص:594

عناصر الثقافة الاجتماعية التقليدية المنتجة للوعي العصبي، لأنها تفرض طابعا ثقافيا يميزه محور الشعور حول الولاء والانتماء للقبيلة، وجمع الجهود لتحقيق الاكتفاء والأمن الغذائي والاستعداد لتغطية العجز الاقتصادي للقبيلة عن طريق لزوم الجماعة والالتفاف حول شيوخها وطاعتهم في السلم والحرب، ونتيجة لعدم انتقال مجتمعنا إلى طور الصناعة والتصنيع بقي الفرد محافظا على نفس العلاقات القديمة المرتبطة بالقرية والريف أين تمارس نشاطات الرعي والزراعة وتسويق منتجاتهما، فيخضع الفرد لقيمتها وعاداتها ويمتثل لقواعدها وأعرافها ويستثمر مواردها الأساسية ويحافظ على حقوقه ومنها حق استغلال الأرض العرشية، هذا النمط من العيش يفرض على الفرد التمسك بعصبية ويجدها ويسير وفق منهج العروشية وما تملئ عليه أعرافها وقيمتها.

تألفت الممارسات العرشية مع التحديث الذي طال مجالات عديدة في الدولة وذلك باحتلال القبيلة(العرش) للفضاءات المستحدثة في الإدارات والمؤسسات العمومية في شكل شبكة من التضامنيات القبلية كأطر وهياكل غير رسمية تتماشى مع التراتب الإداري عموديا من خلال المناصب التي يشغلها أبناء المنطقة أو العرش حيث تسخر لخدمة مصالحهم الخاصة على عكس عامة المواطنين الذين تصطدم طلباتهم بشروط قانونية يصعب تحقيقها، وتنتشر تلك الشبكة أفقيا في جميع القطاعات والمؤسسات العمومية، ولذلك فمن المسلم به في ثقافتنا المحلية أن القانون يختفي أمام شبكة التضامنيات القرابية العصبوية Les Solidarités et parentales et claniques وبالتالي هناك سياسة منتهجة لقبنة الإدارة العمومية في الجزائر، ومن هذا المنطلق تسعى المجموعات العصبوية لتعميم ثقافة التنافس الخفي وتجنيد وتوظيف كل القوى من أجل كسب الرهانات الانتخابية واكتساح كل الفضاءات للظفر بالمناصب الحساسة.

خلاصة الفصل:

تجمع الأفراد في رقعة ما وتفاعلهم يفرز سننا اجتماعية تنظم علاقاتهم وتحدد خصوصيتهم في شكل عادات وتقاليد وأعراف يتمسك بها أعضاء الجماعة ويمارسونها وينقلونها إلى أبنائهم عن طريق التلقين ويرسخونها باستخدام الثواب والعقاب وعن طريق التقليد والمحاكاة للمواقف ونماذج السلوك، وكل هذا يتم داخل مؤسسات اجتماعية أهمها الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام، إنها عملية التنشئة الاجتماعية التي بواسطتها يحافظ المجتمع على استمرار بيته من خلال إعادة إنتاج ممارساته الاجتماعية والثقافية.

تعتبر الأسرة والقرابة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فعملية التنشئة من المهمات الأساسية للأسرة وخاصة في المراحل الأولى من العمر، فلا تهتم بتوفير المتطلبات البيولوجية لنمو الفرد ورعايته فقط، بل تسعى إلى تشكيل السلوك الفردي وتطبيع اجتماعيا من خلال إدخال ثقافة المجتمع في بناء شخصية الفرد ليصبح امتدادا لسلفه بتشربته لتعاليم الدين والقيم والأخلاق والعادات الاجتماعية التي نشأ عليها أجداده، والتي تمثل عناصر هويته.

يؤثر في التنشئة الأسرية عدة عوامل منها الجانب الاجتماعي للأسرة من حيث حجمها وسكنها وعلاقات أفرادها بعضهم ببعض داخل الفضاء الاجتماعي، والجانب الثقافي المتعلق بعملية التعلم والتوعية والتربية على القيم والمعايير والعادات، أما الجانب الاقتصادي فيخص نمط معيشة الأسرة ونوعية الإنتاج ووسائله والذي بدوره يعتبر عاملا محفزا على ارتباط الأسرة بذويها وتنشئة الأبناء على نفس النمط المعيشي للمحافظة على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، فكلها عناصر تساهم في تشكيل مواقف الأفراد واتجاهاتهم، وتحدد علاقاتهم بالآخرين.

يعتبر نمط المعيشة المعتمد على الرعي والزراعة من بين أهم عناصر الثقافة الاجتماعية التقليدية، حيث تفرض طابعا ثقافيا يميزه محور الشعور حول الولاء والانتماء للقبيلة، وتعدّ الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية كالتضامن والتكافل والتلازم والتناصر في الأوساط الاجتماعية المغلقة كالتجمعات السكنية القبلية في القرى وبعض المدن عوامل تسهم في إعادة إنتاج المجتمع التقليدي بكل سماته، ففي هذه الأوساط التي تُشعر الفرد بالتفوق داخل المجموعة العشائرية أو القبلية، وقد تنبت العصبية القبلية في ذهنه وتنمو نتيجة اعتماد الفرد باستمرار على قرابته رغم وجود المؤسسات.

تتحول العادات الاجتماعية بفعل ترسيخها عن طريق التنشئة الاجتماعية إلى قوانين تقليدية تتطلب الانصياع والاحترام والخضوع لها، كما أن من خصائص التربية في المجتمع التقليدي احترام الأجداد وتبجيلهم وتصديق كراماتهم وإحياء ذكراهم عن طريق المشاركة في المهرجانات السنوية المرتبطة بجد القبيلة وبالتالي يتم تأكيد الولاء والانتماء للقبيلة (العرش) والرضوخ والالتزام للجماعة القرابية، فينشأ الفرد متشربا ومتمثلا للقيم والمعايير الاجتماعية ومحاكيا لنماذج السلوك الكامنة في الممارسات الاجتماعية الثقافية ومحافظا على استمرارية النسق القبلي عن طريق التمسك بنمط المعيشة الرعوي والزراعي والمحافظة على السمات العامة ومن هذه السمات التعامل بالمعايير المستندة للعروشية في الفضاءات العامة وداخل المؤسسات الرسمية وفي المناسبات الاجتماعية والوطنية.

الفصل الثالث: الممارسة السياسية وعلاقتها بالاجتماعي

تمهيد:

- 1- مظاهر التحديث السياسي في الجزائر.
- 2- المرجعيات السوسيولوجية للسلطة السياسية في الجزائر
- 3- واقع الممارسة السياسية في الجزائر
- 4- علاقة المجتمع بالدولة
- 5- العوامل المؤثرة في السلوك الانتخابي
- 6- العرشية كمحدد للسلوك الانتخابي

خلاصة الفصل

الفصل الثالث: الممارسة السياسية وعلاقتها بالاجتماعي

تمهيد:

للحديث عن الممارسة السياسية كسلوك طبيعي فرضه التطور والتنظيم الاجتماعي الحديث المتأثر بمسارات التحديث وإفرازاتها في المجتمعات الغربية، كان لزاما علينا توظيف بعض المفاهيم المتعلقة بالسلطة والمجتمع المدني والسياسية الحديثة وتوضيح أساليبها وقواعدها التنظيمية، ثم الانتقال إلى الواقع السياسي وكيفية ممارسة السلطة في المجتمع الجزائري والعوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية المساهمة في تشكيل وعي الأفراد وتنشئتهم السياسية، وسنبداً بكشف مظاهر الحداثة السياسية في الجزائر.

1- مظاهر التحديث السياسي في الجزائر:

كغيره من المجتمعات العربية تأثر المجتمع الجزائري بالحضارة الغربية التي انتقلت مجتمعاتها من النظم السياسية الإقطاعية والاستبدادية الكنسية إلى نظام الاقتصاد الحر والمجتمع المدني وانتهجت الديمقراطية كمرجعية سياسية تقوم على قيم المواطنة والاستقلالية وحرية الرأي والتسامح والتجانس بحيث تتبنى علاقات قائمة على المصلحة العامة تتجاوز الروابط القرابية التقليدية، وتكفلت بتنشئة وتوجيه الأفراد وتوعيتهم سياسياً وثقافياً عن طريق مؤسسات وتنظيمات متنوعة منتشرة في الوسط الاجتماعي منها تنظيمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية ومؤسسات اجتماعية متنوعة في التربية والصحة والأمن والخدمات وسنشير لبعضها على سبيل المقارنة مع ما هو تقليدي لنكشف عن مدى التغير الحاصل على مستوى الأفكار والهياكل والممارسات.

أ - الأحزاب السياسية: يعتبر الحزب السياسي وسيلة حديثة تستغلها جماعة من الناس لهم أهداف سياسية وإيديولوجية مشتركة كإطار تنظيمي من أجل الوصول إلى السلطة عن طريق انتخاب ممثلين يشكلون مجالس تقوم على تسيير نشاطات مسطرة في البرامج التنموية ومتابعة وتنفيذ المشاريع المختلفة، حيث تشكل الأحزاب السياسية أهم آليات المشاركة السياسية وتعد من أهم أدوات التنشئة السياسية، ويصفها بيردو Burdeau بأنها: "كل تجمع من الأشخاص يؤمنون ببعض الأفكار السياسية ويعملون على انتصارها وتحقيقها، من خلال جمع أكبر عدد ممكن من المواطنين حولها والسعي للوصول إلى السلطة أو التأثير فيها"¹، ولكل حزب مبادئ تنظيمية وفكرية واجتماعية يؤمن بها ويخضع لها وللحزب نظامه الداخلي الذي يتحكم فيه وبرنامج يفرغ فيه خلاصة أفكاره وتوجهاته الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي يعمل على ترجمتها على أرض الواقع بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم أو المشاركة فيه²، تعمل الأحزاب في إطار تنافسي وفق مبدأ الديمقراطية والتداول على السلطة عن طريق عملية الاقتراع التي ترجع فيها السيادة الشعب، ولقد انتهجت الجزائر التعددية السياسية بعد أحداث أكتوبر 1988م حتى تجاوز عدد الأحزاب فيه ستون حزبا سياسيا.

ب - التنظيمات النقابية: هي هيئات تنظيمية طوعية مستقلة تتواجد في الأوساط العمالية تناضل بالطرق السلمية للدفاع عن حقوق العمال وتسعى لتحسين أوضاعهم وتتفاوض مع الهيئات المستخدمة لتحقيق العدل والمساواة وتحد من الفوارق الاجتماعية، وتقوم على مبدأ حرية الانتساب والانتماء وتعتبر كجماعة ضاغطة

¹ -Jean charlot، Les partis politiques، Librairie Armand colin 103، boulevard saint Michel، Paris 1976،p48 .

² - زواوي موفق، الظاهرة الحزبية في الجزائر بعد فترة 1988، أطروحة دكتوراه في الانثروبولوجيا، جامعة ابوبكر بلقايد بتلمسان، 2011/2010، ص:22

تضمن التوازنات وكفضاء لممارسة الحقوق النقابية وللدفاع عنها، وقد هيأت الجزائر الظروف القانونية والمادية للعمل النقابي وأنشئت اتحادات ونقابات حرة في الأوساط العمالية كتعبير عن الانفتاح والحدثة.

ج - الحركة الجموعية: هي تعبير عن إشراك المجتمع المدني في مساعدة السلطة كوسيط مستقل بين أفراد المجتمع والدولة بجميع قطاعاتها في الصحة والتربية والبيئة والمجال الاقتصادي والديني والثقافي وتنظيم المجتمع حتى يتحقق التكامل بين القوى الاجتماعية والسلطات وتمكن من حصر المشكلات وإيجاد الحلول لمجابهتها كالفقر والامية والأمراض المستعصية والمزمنة وتقديم الرعاية الاجتماعية لبعض الفئات وترقية البيئة الطبيعية والاجتماعية وتشجيع التنوع الثقافي، وقد سمحت ظروف التطور والانفتاح بتكون مئات الجمعيات المدعومة من طرف الدولة ماديا ومعنويا وقانونيا في جميع المجالات وشملت جميع فئات المجتمع.

د - المؤسسات الإعلامية والتربوية: وفّرت الدول الحديثة الإعلام بشتى أشكاله كحق مضمون للمواطن وكوسيلة للترفيه والاتصال والتنشئة الاجتماعية حيث يتم غرس وترسيخ قيم الديمقراطية والتسامح والتعددية الفكرية والسياسية والمواطنة، وقبول الاختلاف والتنوع بين الذات والأخر وإدارة الخلاف بوسائل سلمية في ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والصراع السلمي مع الالتزام بالمحاسبة العامة والشفافية، أدى التطور السريع الديناميكي للتنظيمات والهيئات المذكورة إلى خلق جو جديد يتسم بالحركية والتغيير والاندماج الاجتماعي، وأدت عوامل العولمة إلى التطور السريع في هذا المجال.

تعد وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية والمؤسسات المنتجة للمعرفة كالمعاهد والجامعات والأطر الثقافية هيئات ساهمت في التحول الديمقراطي بتشكيل أو ظهور تعددية في القوى الاجتماعية والسياسية، ولعبت دورا مهما في زيادة مطالب توسيع

قاعدة المشاركة السياسية للتعبير عن توجهاتها وحققت هيئات المجتمع المدني مبتغاها في الدول الغربية عن طريق التحولات الجذرية التي مست وعي الفرد وسلوكه وضمنت الحقوق والحريات الأساسية وبالتالي الاستقرار الاجتماعي والسياسي، مما جعل الديمقراطية والمواطنة والعدالة المنشودة تتجلى في التداول على السلطة حيث تمر بشكل سلس خال من الاضطراب، إضافة إلى حرية التعبير وفعالية المنظمات غير الحكومية في سلطة القرار، ومشاركة الأفراد في صنع السياسات العامة، وخضوع الممارسات الاقتصادية والثقافية والسياسية للشفافية والحوار والمنافسة الحرة والمراقبة.

إنّ ممارسة الديمقراطية والمواطنة وغيرها من القيم مرتبط بوجودها راسخة في الثقافة العامة والوعي الاجتماعي، فالمجتمعات العربية التي ضلت فيها عملية التحول بعيدة المنال نتيجة بعدها عن تلك القيم فغالبية الدول العربية حديثة الاستقلال ولم تتمكن بعد من ترسيخ القيم الثقافية والسياسية المتعلقة بالدولة الحديثة في وعي الفرد والمخيل الاجتماعي المشترك، وعجز الدولة والهيئات التابعة لها على تجاوز وصايتها وتخوفها من الديمقراطية وما تفضي إليه من تغيير في النخب وديناميكية العمل السياسي، ومن جهة أخرى يتمسك الفاعلون الاجتماعيون بالموروث التقليدي والنظام القبلي الانقسامى وممارساته التعصبية التي أفضت إلى الجمود السياسي وغياب الثقة بين الفرد والدولة، وهو ما جعل القوى المجتمعية تتراجع إلى الخلف وتعيد إنتاج العرشية والجهوية، يقول برهان غليون: "إنّ الدولة الحديثة (العربية) التي طبقت نفس الصيغ الإدارية والقانونية واستلهمت نفس القيم القومية والعقلانية والبيروقراطية السارية المفعول في الغرب، لم تنتج لحمة وطنية ولا إدارة قومية... وإن القيم والإيديولوجيات والعقائديت الحديثة الليبرالية والماركسية الوجودية والمثالية والمادية التي حلت محل القيم التقليدية أو دفعتها إلى الخلف، لم تتجل كثيرا

عما كانت تؤسس له قيم "السلفية" في أكثر صورها تأخرا وانحطاطا، أي القيم القبلية والعشائرية والطائفية¹.

هـ - **ثقافة المجتمع المدني:** ويشير مصطلح المجتمع المدني إلى (مجتمع المدينة) للدلالة على الانتقال من الريف التقليدي الذي تسوده الحياة البسيطة والعلاقات العشائرية إلى المدينة حيث الحياة المتحضرة أكثر تعقيدا والعلاقات تعاقدية خاضعة لمبدأ تقسيم العمل على أساس تبادل المنافع بين الأفراد وضمور الروابط الأولية والقبلية لصالح المواطنة والانتماء للمجتمع العام والمشاركة في تنظيماته المختلفة تطوعيا لخدمة الصالح العام والتي تعرف بكونها "شبكة الاتحادات الطوعية التكوينية والتي تبدو مستقلة عن الدولة والجماعات الأولية، ولكنها في الوقت الذي تعمل فيه على احتواء الانقسامات الاجتماعية وتشكيل منطقة عازلة بين الدولة والمجتمع فإنها تعمل في إطار ربطها بالدولة وسلطتها"²، وهذه التنظيمات لا تعارض الدولة (السلطة) بل تدعمها من خلال نشاطاتها التطوعية وتوجيهها للأفراد، فقد عمدت الجزائر وخاصة بعد فترة التسعينات إلى فتح المجال أمام المواطنين لتشكيل جمعيات متنوعة غير حكومية في إطار المجتمع المدني.

2- مرجعيات الممارسة السياسية في الجزائر:

تعتبر الممارسة السياسية مظهر من مظاهر الحداثة في المجتمع حينما تشرف عليها السلطة السياسية على أساس التمثيل والتناوب، ولدراسة وتحليل الظواهر المتعلقة بالسياسية والسلطة بمختلف أشكالها ومراتبها فلا يمكننا فصلها عن الاجتماعي لأنه

¹ - برهان غليون، اغتيال العقل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990، ص:212

² - متروك الفالح، المجتمع المدني والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسة مقارنة في ضوء تعريف المدن، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص:27

مصدر الثقافة السياسية ومكان احتضانها، إلى جانب تأثيره في صيرورتها التاريخية التي نفسر من خلالها مدى التطور والتغيير.

إنّ الدولة في الجزائر منذ نشأتها بعد الاستقلال تأثرت بأيديولوجيات اجتماعية تقليدية ووطنية ثورية راسخة في المخيال الاجتماعي قبل الثورة، تقوم على تقديس الجماعة على حساب الفرد وتلغي المعرضة والصراع داخل النسيج الاجتماعي وتقّس الزعامة والكاريزما وهي أقرب إلى العنف من أي معالجة سلمية بديلة، وبالتالي فهي أيديولوجية إقصائية متعصبة عنيفة ترفض المشاركة والحوار ولا تقبل المنافسة المبنية على التعددية، وهو ما يفسر حالة الركود السياسي ووجود سلطة مركزية قوية مغلقة مشكلة من زمر تستمد سلطتها من قوتها داخل المؤسسة العسكرية.

والصراع على السلطة والمناصب لا يعود إلى التباين في البرامج والرؤى الأيديولوجية بل يعود إلى التناقض بين الشخصيات الفاعلة، والممارسة السياسية واتخاذ القرارات المتعلقة بها تتم خارج الأطر النظامية القانونية، ما أدى إلى غموض في تحديد مصدر القرار بسبب شخصته العلاقات السياسية، وارتكاز السلطة على تجمعات عمودية ذات العلاقة الزبونية وإقطاعيات مسيرة من طرف زمر، بدل العلاقات الأفقية المتمثلة في مكونات المجتمع ومؤسساته، هذا المناخ جعل المواطن يلجأ إلى الشبكات ذات المنطق الزبائني لحماية نفسه أو إشباع حاجياته المستعصية، بدل لجوئه إلى سلطة القانون، " الثقافة التقليدية مجرد-رمزيا- الأفراد من طاقاتهم، وتدمجهم في منظومة من التبعية الاجتماعية، وتعمل على إضعاف كل مؤسسة مؤهلة لجعلهم مستقلين، وينتج عن هذا: أن الأفراد يجدون صعوبة لكي يصبحوا

مواطنين وخاضعين للدولة¹ هذا الواقع يعكس صورة الثقافة السياسية التقليدية التي تبلورت في الوعي الجمعي وساهمت في تشكيلها عناصر تعتبر كمرجعيات سوسيولوجية تمثل خلفية للممارسة السياسية في الجزائر.

2. أ- المرجعية الاجتماعية والممارسة السياسية في الجزائر:

لا زالت البنى الاجتماعية التقليدية كالعشيرة والقبيلة تؤدي دورها بشكل فاعل في العملية السياسية رغم غيابها هيكلية نتيجة صدمات تعرضت لها عبر التاريخ وعوامل متعددة منها الوجود الاستعماري وعوامل التحديث التي انتهجتها الدولة الوطنية بعد الاستقلال والتطور التكنولوجي وانتشار التعليم، لكن هناك عوامل مقابلة تعمل على إحياء الممارسات العرشية وانبعاثها من جديد، منها فشل الدولة في تحقيق الممارسة الديمقراطية والمجتمع المدني والحريات التي تتغنى بها في خطاباتها، بل توجد كهياكل لا تتجاوز طابعها الشكلي، وفشلها في تحقيق المجتمع الصناعي المعتمد على تقسيم العمل والتعقيد والخاضع لمنطق المنافسة الحرة واقتصاد السوق، فإقتصادنا معتمد كلياً على الريع النفطي ونمط المعيشة العام بقي رعوياً زراعياً بسيطاً تحكمه الأعراف التقليدية، وعدم تمكن الدولة من تشكيل الوعي الجمعي الذي يناسب التطور والتحضر المادي الحاصل في جميع الميادين وترسيخ قيمه ومعاييرها عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فبقيت القيم والعادات والتقاليد التقليدية القبلية هي السائدة تبلور الوعي الجمعي وتوجه السلوك الفردي وفق منطق العصبية القبلية والجهوية والطائفية والإثنية ما أدى إلى قبلنة المؤسسات الرسمية والفضاءات العامة، كما تم " تشكيل شبكات تضامن غير رسمية على هامش المجتمع الرسمي مقتبسة من التقاليد تستجيب لمتطلبات عالم اليوم، هذا المجتمع الذي يبني تدريجياً

¹ -Medhar Slimane، L'échec des systèmes politiques en Algérie، ed chehab، Alger، 1999، p183

في الباطن، وعادة دون عنف يعبر في نفس الوقت على الارتباط بأشكال الحياة الجماعية التقليدية ورفض المشروع التحديثي - الفردياتي¹.

ما دامت التنشئة الأولية للفرد تتم داخل العائلة وريثة النظام القبلي المتفكك بسبب الاستعمار هذه الوحدة التي حافظت على البنية التقليدية ونسقتها الثقافي ونظامها السياسي رغم ضيق حدودها، حيث تشكلت تجمعات عائلية قرابية خاضعة للقيم والتقاليد القبلية وعلى رأسها السلطة الأبوية والعلاقات والروابط القرابية ووحدة النسب والعرش كتنظيم هو ملاذ الفرد وسنده لإشباع حاجاته المختلفة، فإن الواقع الاجتماعي السياسي داخل الأسرة يعكس التنظيم السياسي للمجتمع، فالعلاقات العائلية هي بمثابة أرضية لمجمل التفاعلات الاجتماعية والمهنية والسياسية، وبالتالي تكتسب السلطة شرعية تبني قيم الأبوية والوصاية على المجتمع والتعصب للرأي وتصفية الخصوم ورفض الحوار ولا تخضع للقوانين التنظيمية بل تقفز عليها رافضة للقواعد الديمقراطية على اعتبار أن السلطة مسؤولة عن تنظيم ومراقبة مختلف التفاعلات والإشراف الكامل على توزيع مداخل الريع الطاقوي على الفئات الاجتماعية التي تفتقد للاستقلالية المالية، يقول عبد العزيز قباني في هذا الصدد "حق السلطة تراتبي، من الأب رب الأسرة إلى رئيس الدولة، لأن حرمة صاحب السلطة وحصانته مستمدة من لاوعي الناس، من كونه يرمز إلى الأب، ما يجعل أصحاب السلطة أقنعة لصاحبها الأصلي، ألا وهو الأب في الأسرة، الغير متساوي مع أفراد أسرته"²، وهو ما يؤكد رفض الثقافة التقليدية للتنافس الحر ولا تسمح بالتداول على السلطة بالشكل الديمقراطي ولا تخضع للقانون وتستهمل كل الوسائل حتى العنيفة منها للحفاظ على المنصب والسلطة، وما يؤكد ذلك هو حدوث اشتباكات دامية في بعض مناطق

¹ - أنظر محمد بن يوب، مرجع سابق، ص 368

² - عبدالعزيز قباني، العصبية (بنية المجتمع العربي)، منشورات دار الآفاق، بيروت، ط1، 1997، ص: 71

الوطن بين أبناء العشائر والقبائل أثناء الانتخابات المحلية وبعد ظهور النتائج حيث ترفض من طرف بعضهم وتوصف بالتزوير وتحيز الإدارة، فالعرشية تمثل رأسمال رمزي ثقافي ومرجعية قوية لها تأثيرها على ممارسة السلطة السياسية في الجزائر حيث تستطيع اختراق الأحزاب السياسية وتتهيكّل داخلها على شكل تنظيمات غير رسمية وتتحكم في قراراتها وفي مخرجاتها " للعيش والتحرك عبر الشبكات العلائقية، ينخرط الفاعلون الاجتماعيون في النظام المهيمن، ويترددون على مضمارات اجتماعية غير رسمية وتنافسية"¹، يستغل الفاعلون الفئات القادمة من الريف والتي عادة ما تشكل تجمعات قرابية تحيي العلاقات والروابط الأولية وتنتشر ثقافة العروشية في فضاء المدينة مما يجبر الآخرين على الدفاع والمقاومة لإثبات وجودهم عن طريق توعية وسلوكات مقابلة ومواقف معاكسة كلها تخضع لمنطق العرشية، هذا الواقع الذي يميزه الانشطار والانقسامية وتقابل الأضداد لحصول التوازن، سيتغير في أي لحظة إلى عكسه وهو الانصهار وذلك في حالة حدوث خطر خارجي حسب منطق العرشية، وهو العامل الذي أظهر المجتمع الجزائري كجسد واحد في الثورة التحريرية ضد الوجود الأجنبي.

2. ب- المرجعية التاريخية والممارسة السياسية في الجزائر:

أدت التراكمات والأحداث التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري منذ فترة الاحتلال الروماني فالنوميدي ثم البيزنطي وأخيرا الفرنسي إلى تشكيل ثقافة تولدت من التواجد الاستعماري بلورة الوعي الجمعي وأثرت على طبيعة الإنسان الجزائري، وتعد كأساس لتفسير وتبرير التطور والتغير الحاصل على مستويات الفرد والجماعة والدولة على اعتبار أن الحاضر سليل الماضي، فلنفهم ونبرر ما آلت إليه ممارسات مجتمعنا السياسية في عصرنا الحالي لا بد أن ننظر في أصولها

¹ -Medhar Slimane، op cit، p :11

والعوامل المؤثرة فيها وصيرورتها التاريخية، فالوجود الاستعماري المستمر كنقيض ثقافي سياسي أدى إلى تشكيل الشخصية الثورية والزعامة الساعية للتحرر من جهة والمحافظة على هويتها وموروثها الثقافي ووحدتها الوطنية ولحمتها الاجتماعية وانسجامها السياسي من جهة أخرى، رغم المتناقضات التي تحملها بنيتها القبلية والاثنية، فالمجتمع الجزائري في الظروف الصعبة يستمد وحدته من مقومات أبويته وقيمها حيث يخضع أعضاؤه إلى مبدأ الأخوة فيظهر المجتمع كعائلة واحدة لا يحتاج تسييرها إلى قوانين، هذه الأيديولوجية ترسخت في ثقافة المجتمع الجزائري على اختلاف أطرافه بفعل وحدة الدين والمصير المشترك عبر تاريخها الطويل، هذه الوحدة ألغت الصراع داخل النسيج الاجتماعي، وهو ما يفسر تشكل بنية وطنية قوية أثناء الثورة التحريرية تجاوزت التعددية الاثنية والجهوية بفضل رأسمال ثقافي رمزي واحد ساهم في تبني قيم الوطنية، حتى أن أعضاء جيش التحرير في الثورة كانوا يلقَّبون ب(الخواة) هذه الأخوة تعبر عن الثقة التامة والعاطفة العائلية الحميمة والالتزام بالمصلحة المشتركة الوطنية والشعور الدائم بالانتماء إلى الأسرة الواحدة وهي الأسرة الثورية، وأبوية هذه الأسرة تلزم الأبناء بطاعة وتقديس الأب القائد وتمنع الأعضاء من معارضته أو التآليب ضده.

استمرت شرعية الثورة كمصدر للسلطة بعد الاستقلال دعمتها الوطنية وأكسبتها الشرعية رغم انتهاء الثورة التي أوجدتها، واستمر العمل السياسي ضمن الحزب الواحد هو حزب جبهة التحرير رغم انتهاء مهمته بانتهاء الاحتلال، وبالتالي استغلّت الوطنية كإستراتيجية سياسية لتبرير شرعية الانفراد بالحكم وكل مخالف للنخبة الحاكمة يعد مخالفا لمبادئ الثورة وأهدافها، وعمل النظام السياسي على دعم خيارات التي تفرض الرأي الأحادي وتمنع التعددية وحرية الرأي، وقامت بتأسيس منظمات واتحادات تابعة للحزب الواحد الغرض منها إشراك فئات المجتمع وحثهم على

التعبئة أو التنشئة السياسية لعموم الأفراد وتمير الخطاب من أجل تكوين جيل مساند للنظام وسياساته، وأصبحت بذلك الممارسة السياسية تكمن في تغيير الأشخاص من خلال استحقاقات وانتخابات شكلية دون التعرض لنقد البرامج والسياسات العامة، ومن جهة أخرى فالتاريخ الثوري أعطى للجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير مهمة الحفاظ على الاستقلال الوطني والوحدة الشعبية والسيادة ومن خلال تحكمه في العملية السياسية والتدخل الدوري في تصحيح المسار السياسي وذلك بمنع التناقضات في هرم السلطة والتعددية السياسية، ومنح امتيازات سياسية واجتماعية لجماعات معينة بحكم مشاركتهم في الثورة وكل عمل سياسي خلال تلك الفترة كان مبررا باسم الشرعية الثورية، هذه الممارسات أنتجت الأحقاد والضغائن والتطرف والعنف "مما يبرر تدخل الجيش لوضع حد لكل هذا، بالانقلاب واستلام السلطة، وتصبح الديكتاتورية العسكرية وسيلة خلاص، من فوضى صراعات ديكتاتورية العصبية الحزبية"¹.

في هذه البيئة السياسية الأحادية تفاعلت الممارسات العرشية مع الحزب الواحد واخرقت قنواته وتمفصلاته بتموقع أعضائها داخله ومكنت من نمو وانتشار شبكة التضامنيات القرابية والجهوية داخل قنواته هدفها تحقيق المصالح الفئوية والجهوية واستغلال المناصب والتحكم في المخرجات المتنوعة عن طريق التحكم في توجيه المشاريع التنموية وتوزيع الثروة الوطنية، وكان لها نفس الإستراتيجية السياسية عبر الأحزاب السياسية بعد زمن التعددية، هذه التعددية التي أفضت في بدايتها إلى عشرية سوداء من العنف الدامي ما جعل المرجعية التاريخية توظف من جديد لإقصاء وحل بعض الأحزاب والجمعيات التي كانت من أسباب حدوث الصراع السياسي.

¹ - عبدالعزيز قباني، مرجع سابق، ص: 87

2.ج- المرجعية الدينية والممارسة السياسية في المجتمع الجزائري:

يمثل الدين أضخم موروث ثقافي في الذاكرة الشعبية للمجتمع الجزائري، فالتراث الديني يشمل جميع مناحي الحياة الجماعية والفردية، غني بالأحكام والتجارب المتنوعة التي تشكل مرتكزات في السياسة والاقتصاد والاجتماع سبقت أرقى التجارب المعاصرة، فالتراث له مدلوله في الخطاب العربي المعاصر، حيث يعد كمرجعية ثرية موثوقة يستند إليها، عكس الدول الأوروبية التي تجاوزت مسألة التراث إلى العلم والعقلانية، ففي رأي الجابري التراث الديني والعمل السياسي " عبارة تنتمي إلى إشكالية خاصة عربية"¹ فالدين الإسلامي مثل عامل وحدة للقبائل والائتبات المتناقضة في المجتمع الجزائري حيث تقاطعت مبادئه وقواعده مع العادات والتقاليد والأعراف القبلية التي يتشربها الفرد أثناء تنشئته الاجتماعية على مستوى العائلة، فيخرج إلى الوسط الاجتماعي المفتوح متمثلاً وممثلاً لها عن طريق التفاعل المناسب مع الممنوعات والمسموحات الاجتماعية ومنسجماً معها بشكل طبيعي دون ضغط ومساهما في الضبط الاجتماعي بأداء مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ترتبط الممارسات في الحياة اليومية من الأقوال والأفعال بنظام صارم وثابت من التصورات ونماذج السلوك سابق لوجود الفرد و الجماعة، مرتسم في الذاكرة الجماعية يتم تداوله وتبليغه شفويا كرأس مال ثقافي رمزي يهيكل مخيال الأفراد الجماعي ويوجه سلوكهم ويضبط المواقف انطلاقاً من النظر في ذلك الموروث الغني بالتجارب والأحكام ضمن إطار (قالوا اللولين...، بكري كانوا...، الشرع يقول...) فيصبح بذلك الموروث الثقافي الديني مرجع أساسي مقدس يعتمد عليه ويستمد منه شرعية المواقف والسلوكيات تتخذها الجماعة كنظام اجتماعي تبنيه مطلق

¹ - محمد عابد الجابري، التراث والعمل السياسي، مجلة الثقافة، العدد 79، 1980، الجزائر، ص: 96

ولا مشروط ونموذج مثالي كامل متمتع بالمصادقية والقدرة على الاستمرارية، معبرا عن الهوية الدينية والانتماء التاريخي الاجتماعي.

لقد تم توظيف البعد الديني في الثورة التحريرية بشكل أساسي كشحنة أيديولوجية ومرجعية دينية تزيل كل أشكال الصراع والتعدد، وتمس جميع المكونات المجتمعية على اختلافها وتتاقضها (بدو وحضر، عرب وبربر، اندماجين ورافضين) وتضمن الشمولية وخطية الاتجاه في مجابهة الآخر (العدو، النصراني، الرومي، الكافر) عن طريق الجهاد والاستشهاد، وسمحت بقبول الشروط التنظيمية لجيش التحرير وأخضعت التشكيلات السياسية المتباينة إلى الوحدة تحت لواء واحد والولاء لجبهة التحرير كحزب يحمل على عاتقه تنظيم العمل السياسي بطرق حديثة وتوجيه الثورة نحو هدف الاستقلال الوطني والسير في مضمار التطور والتغيير تبعاً لمتطلبات المرحلة وتكيفاً مع المستجدات الإقليمية والدولية والسماح بتداول المصطلحات السياسية الحديثة ك(الدبلوماسية والوطنية والحزب والقيادة السياسية...) كمؤشر للمرونة وتعبيراً عن الشمولية واحتواء التعدد، ومن أبرز القواعد الدينية التي تم توظيفها في الثورة التحريرية وسر نجاحها، الصدق ومراقبة الخالق، ولزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج على الحاكم والالتزام بالأوامر، وطاعة القائد ودرء الفتنة وتوظيف الخطاب الديني في الجانب العسكري لتحقيق التسابق والنصر وقبول التضحية والاستشهاد.

كان للدين تأثير كبير على الممارسات الاجتماعية والسياسية بعد استقلال الجزائر بحكم انتماء النخب السياسية إلى أيديولوجيا الحركة الوطنية التي ربطت الدين بالسلطة من أجل تبرير شرعيتها وتبنت شعار (الإسلام دين الدولة) الذي دعم خطابها السياسي ووظفت الدين في تجنيد الأفراد لإنجاح المشاريع التنموية وتبرير بعض قراراتها واختياراتها كالاختيار الاشتراكي مثلاً، بهذا الصدد يقول د. عبد الباقي

الهرماسي: "الظاهرة الدينية يمكن أن تمثل إحدى آليات النظام السائد فتثبته وتضفي عليه شرعية البقاء والاستمرار"¹ فعن طريق إنشاء وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تم التحكم في المؤسسات الدينية وإطاراتها وتوجيه الخطاب الديني لأهداف ومصالح الدولة، وتوظيف الدين في تنشئة الأفراد على قيم محددة كالوطنية والتسامح وحب الوطن لتعزيز الاستقرار ووقديسية بناء الوطن، دون التطرق لبعض المسائل كالسياسة، لكن نشاط الأصوليون في فترة ما قبل الثمانينات في المدارس والمساجد وبعض الفضاءات بشكل غير رسمي ساهم في توعية الأفراد في إطار ما يسمى الإسلام السياسي كرسالة عالمية تتجاوز الانتماءات الأولية القبلية والاثنية والوطنية إلى الانتماء العام للأمة الإسلامية وربط الفرد المسلم بما يحدث في بعض المجتمعات الإسلامية، وإثارة قضايا الأمة كقضية المسجد الأقصى والغزو الثقافي واضطهاد المسلمين، وتوعية الفرد المسلم بانتمائه الحضاري وواجباته نحو إخوانه وقضاياهم مما أدى إلى تجنيد بعضهم لمساندة إخوانهم والقتال معهم في دول أخرى كأفغانستان والشيشان والعراق والدخول في منظمات وجماعات قتالية ذات بعد عالمي لمحاربة القوى الغربية، وساعد في نشر هذا الوعي الانفتاح الإعلامي والانفتاح السياسي في بعض الدول.

تأثرت الجزائر برياح التغيير وفتحت أبواب التعددية الحزبية ودخلت في مرحلة الإصلاحات السياسية بعد الأزمة الاقتصادية والسياسية التي ولدت أحداث أكتوبر 1988، فظهرت على إثرها أحزاب متعددة المرجعيات دينية وأخرى علمانية وبعضها جهوية وتم تدعيم التعددية السياسية بحزمة من القوانين والتشريعات التي تسمح بحرية التعبير وترسخ مبادئ الديمقراطية، وقد دخل المجتمع الجزائري في مرحلة جديدة من الديناميكية السياسية وانفتح على مختلف البرامج السياسية وتناسى

¹ - محمد عبد الباقي الهرماسي، الدولة والنظام في المغرب، المستقبل العربي، م.د.و.ع، العدد 52، 1983، ص 93

الفرد الجزائري انتماءاته الأولية إلى حد كبير بفضل النشاط السريع لمختلف
الفعاليات السياسية المتباينة أظهرت تجربة الجزائر الرائدة في الديمقراطية، والتفت
غالبية المجتمع حول المشروع الإسلامي باعتباره عنصر أساسي فاعل يعبر عن
هوية المجتمع الجزائري وبديل للفساد، وقد مكنّ حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ من
الفوز في الانتخابات المحلية والبرلمانية، هذه الانتخابات عكست تجرّد الفرد
الجزائري من انتماءاته الأولية وقضت على القبليّة والطائفية بشكل ملموس.

حادثة التجربة الديمقراطية أدت إلى حدوث تصادم بين القوى الاجتماعية في
الجزائر فالخطاب اللاذع والعنيف لزعماء الجبهة دفع بالسلطة العسكرية لإلغاء
المسار الديمقراطي ثم دخول الجزائر في نفق العنف والعنف المضاد حصد مئات
الآلاف من الضحايا خلال عشرية سميت بالعشرية السوداء، تحولّ خلالها الإسلام
السياسي إلى مصدر للعنف والإرهاب وفي نفس الوقت فقد المجتمع ثقته في السلطة
والتشكيلات السياسية على اختلاف توجهاتها، بعد أن كشف شكلية برامجها وشكلية
الاقتراع السياسي وتمحور العملية السياسية برمتها حول شخصيات أو زمر معينة
وظفت الدين لمحاربة الأصولية عن طريق إحياء الطرق الصوفية ودعم الزوايا ماليا
وتغطية نشاطاتها إعلاميا للتأثير في بنية الوعي الديني، واعتبار الخرافات
والأساطير والممارسات الطقوسية موروث ثقافي شعبي يجب الحفاظ عليه وإعادة
إنتاجه، لأنها تعبر عن تقديس شيخ القبيلة وتمثل عنصر من الهوية الوطنية،
والملاحظ أن للزاوية علاقة بالطريقة الصوفية والعائلة التي تتبناها، مما جعل
الانتماءات التقليدية القبليّة والجهوية تُبعث من جديد، وتُعدُّ أصدق انتماء عند الفرد
الجزائري لأنها مرتبطة بالقرابة والنسب والمصالح المشتركة بين الأفراد وممثليهم
في المجالس المنتخبة.

3- واقع الممارسة السياسية في الجزائر:

استطاعت المجتمعات الغربية أن تبني مؤسسات سياسية مستقرة تخضع لقوانين ومبادئ الديمقراطية حققت الاستقرار السياسي، مما جعل التنافس حقيقي حول نشاطات الأحزاب وبرامجها وإيديولوجياتها واستراتيجياتها لحل المشكلات وتحقيق رفاهية المجتمعات وتطورها وانصهرت مجتمعاتها في بوتقة العمل، عكس مجتمعات العالم الثالث التي استولت فيها شخصيات أو عائلات على المؤسسة السياسية وتحولت العملية السياسية والانتخابات فيها إلى ممارسة شكلية ولا يتم فيها التغيير إلا عن طريق القوة والعنف وهيمنة المؤسسة العسكرية على العملية السياسية، فرغم أحداث الربيع العربي التي خلفت ملايين الضحايا والمشردين استمر الصراع على السلطة سنين عديدة ولم يتوقف العنف ولم تجد المجتمعات العربية بعد الطريق لحل أزماتها السياسية ولم تستطع التخلص من خلفيات الصراع المتمحور حول الشخصيات بدل التنافس الديمقراطي السلمي بين البرامج والأيديولوجيات، يرى الهواري عدي " أن السلطات القائمة في دول العالم الثالث، حتى وإن كانت تقع ضمن استمرارية القيم الأيديولوجية السائدة، بحاجة لممارسة الضغط كي تحافظ على نفسها وذلك بسبب الصراع الميكانيكي من أجل السلطة، وأقصد بهذا الأخير المنافسة التي خضع لها الأفراد، وذلك ليس لكي يقوموا بتغيير الأساسيات الأيديولوجية للسلطة القائمة، بل فقط من أجل تغيير الأفراد الحائزين لها، لأن الأبطال يعتقدون أنهم أكثر قدرة على تسيير الجماعة"¹.

لا يشذ المجتمع الجزائري عن هذه القاعدة كونه من العالم الثالث والعربي، فرغم الشعارات والهياكل والنظم الإدارية الحديثة، فإن الممارسة السياسية تبقى شكلية لا تعبر عن تغييرات حقيقية في البرامج والأطروحات والأفكار بقدر ما تعبر عن

¹ - الهواري عدي، لماذا فشلت الجزائر في الانتقال إلى الديمقراطية، جريدة الوقت، العدد 12 فبراير 1994

تكريس الأحادية وإخضاع المجتمع واستغلال العلاقات الشخصية والقبلية والجهوية والمصلحة كأساس للارتقاء السياسي واستعمال القوانين الظرفية والعنف للمحافظة على المناصب من طرف السلطة طبقا للنظرة الخلدونية، لأن ثقافة النخبة السياسية لم تعترف بالتعددية، واعتبرت المنافسين أعداء يجب إزاحتهم أو تصفيتهم، وبالتالي فإن الممارسة السياسية الحديثة والمعتمدة على النهج الديمقراطي المستورد من المجتمعات الغربية بعيدة المنال في بلدان العالم الثالث ومنها الجزائر نظرا لسيطرة الثقافة السياسية التقليدية على مستوى السلطة والأحزاب السياسية، فكلتاها تمارس داخلها سياسة الهيمنة والزعامة وإقصاء المنافس ورفض التعدد، حيث تسعى السلطة لانتشئة أفراد المجتمع سياسيا وفق أيديولوجيتها بتمرير خطاب سياسي موجه عن طريق مؤسسات التعليم والمساجد ووسائل الإعلام والمنظمات الجماهيرية لبناء المخيلة الجماعية بهدف إنتاج وإعادة إنتاج نفس نموذج السلطة المتميزة بالبطولة والشرعية الثورية وتكريس تبعية المجتمع.

ثقافة الزعامة في المجتمع الجزائري منتشرة في ذهنية الفاعلين السياسيين، فكل رئيس حزب أو مجلس تمتلكه الزعامة والبطولة كشيخ قبيلة لا يخضع إلا لقانونه الخاص رغم وجود قوانين ودستور، واستنادا لواقع الممارسة السياسية تسعى الزمر أو الشخصيات السياسية لتدعيم مركزها والمحافظة على مكتسباتها كوسائل من خلال تقوية شبكة علاقاتها العمودية على مستوى القمة من جهة وكسب القاعدة الشعبية من خلال تفعيل الروابط القرابية والجهوية وتوظيفها في المناسبات الانتخابية من جهة أخرى، بدل العلاقات الأفقية المبنية على القدرات الفردية ومبدأ التداول على السلطة والعمل المؤسساتي واحترام القوانين وتكريس التكاملية والاعتماد المتبادل بين تنظيمات المجتمع المدني، وبذلك أصبحت العرشية من أبرز القوى التي يتشبث بها الفاعلون كوسيلة ناجعة في الممارسة السياسية غايتها الارتقاء السياسي

في إطار مساندة النظام القائم، سواء في فترة الأحادية الحزبية أو فترة التعددية، بل زادت حدتها بعد فترة المصالحة الوطنية حيث فُقدت الثقة من جدوى التغيير السياسي وساد العزوف عن المشاركة السياسية لغياب الإثارة والجدية، فكثير من المثقفين يمتنعون عن المشاركة السياسية والتصويت، فنسبة المشاركة الانتخابية انخفضت في بعض المناسبات الانتخابية إلى أقل من 30% وتحولت الأحزاب السياسية التي تسمي نفسها معارضة إلى شركاء مساندون ليضمنوا قربهم من السلطة ويعطونها الشرعية، وعلى مستوى القاعدة يستغلون عامل العرشية والمال لكسب مقاعد في المجالس المنتخبة وبقائهم في جماعة النخبة السياسية.

4- علاقة المجتمع بالدولة:

ارتبط بناء الكيان السياسي في الجزائر بوجود الاستعمار والخيار الثوري الذي يستدعي إستراتيجية إحياء الهوية الثقافية المناهضة لإيديولوجية المستعمر، وبذلك حصل الالتحام والإجماع حول المشروع النضالي، فاكتملت القيادة السياسية شرعية التمثيل والاستمرارية، وتمكنت من بناء جهاز سلطوي مركزي مستقر، تحول بعد الاستقلال إلى مؤسسة سياسية وطنية تتحكم في صياغة المجتمع وتنميته وفرض آليات تحديثه انطلاقاً من المشروع التاريخية المستمدة من الثورة، وأعطتها صفة الأبوية وسمحت لها بالتحكم في جميع نشاطات المجتمع الاقتصادية والثقافية والسياسية كسياسة تمنع التعدد والتنافس والصراع داخل النسيج الاجتماعي، فأصبحت الدولة أو المؤسسة السياسية هي التي تنتج المجتمع وتنشئه وفق استراتيجياتها وإيديولوجيتها بدل أن يكون المجتمع على تنوعه واختلاف مكوناته هو مصدر للطبقة السياسية.

4.أ- المجال الاقتصادي: بعد الاستقلال اختارت الدولة النهج الاشتراكي ضمن قيادة عسكرية واعتمدت على إيديولوجيا القطاع الاقتصادي العمومي الذي بموجبه تشكلت مؤسسات اقتصادية عمومية تسييرها مركزي، وبالتالي لم تخضع للمنافسة والاستقلالية ويتجلى ذلك في نظام الملكية العمومي ونظام السوق المغلق وتجميد العملة ودعم المواد الاستهلاكية والسياسة الاقتصادية المركزية المبنية على جباية المحروقات، وهيمنة الدولة على التجارة الخارجية والمشاريع التنموية، وبذلك ارتبط المستوى الاقتصادي للمجتمع مباشرة بأداء الحكومة وسياستها الاقتصادية، يرى عدي الهواري أن " ليس للدولة أهداف اقتصادية في حد ذاتها، بقدر ما لها أهداف سياسية، لا يمكن بلوغها إلا من خلال تنمية اقتصادية"¹، فتطبيق السياسة الاقتصادية بهذا الشكل منع الاستقلالية والتناقض الذي يستدعي التنافس، ورسخ الأحادية وكبت الاختلاف وأمم الصراع مما أثر سلبا على نمو الوعي الديمقراطي وممارسة الحقوق والواجبات، وفسح المجال أمام انتشار الفساد الإداري والاختلاس والرشوة والمحسوبية والتعصب وأضعف الولاء للسلطة وعزز الانتماءات الأولية العشائرية والجهوية وهي عوامل مهدت لانفجار أحداث العنف في أكتوبر 1988 وما تلاها من مشكلات اجتماعية، وتغييرات مست القطاع الاقتصادي والسياسي من بينها حل وانهيار بعض المؤسسات الاقتصادية العمومية وتسريح العمال وخضوع المجتمع الجزائري لسياسة صندوق النقد الدولي، ثم دخوله في أزمة متعددة الأبعاد لعشرينيتين من الزمن أدت إلى تحطم العلاقة بين الدولة والمجتمع.

4.ب- المجال السياسي: تميزت مرحلة التسعينات باختيار الدولة للمقاربة الأمنية كحل للمحافظة على مؤسسات الدولة وذلك بتطبيق حالة الحصار وقانون الطوارئ، واستلم الجيش كل السلطات وأعاد التجربة الديمقراطية إلى مهدها مبررا ذلك بأولوية

¹ -La houari Addi، L'impasse du Populisme(Algérie : Collectivité politique et Etat en construction) ENAL-Alger-1990، p :151

الأمن والاستقرار مما وسع الهوة بين الدولة والمجتمع، وفي مرحلة قادمة تم تنشيط الممارسة السياسية بدخول تشكيل سياسي جديد يضم عناصر النخبة السياسية كتجمع يتبنى شعار الديمقراطية لردم الفجوة بين الدولة والمجتمع، والاعتراف بأن الشعب هو مصدر السلطة وله الحق في المشاركة فيها من خلال أطر التمثيل والاستحقاق التي تقوي من مسار التحول الديمقراطي، فإرادة النخبة السياسية كانت رافضة لمبدأ التداول السلمي على السلطة إلا أن اعترافها بالانتخابات وبشكل دوري كان يسير وفق موجة التحول الديمقراطي الحاصلة في العالم في محاولة لإرضاء الجهات الغربية¹، كما دفعت السلطة السياسية بالمجتمع إلى تكوين عدد كبير جمعيات المجتمع المدني وأحزاب سياسية أخرى غير دينية وغير جهوية، وبالتالي ليس لها عمق اجتماعي غير مرتبطة بمجالها الثقافي، بحيث تكون شكلية وعاجزة عن أداء وظائفها ولا تؤثر في الساحة السياسية، مما يعني في نظر المجتمع أنها امتداد للمؤسسة السياسية حيث تعكس وتطبق مشاريعها وليست كوسيط فعلي مستقل يفصل بين الدولة ومختلف البنى الاجتماعية.

تحكمت السلطة في الوضع الأمني واستقرت سياسيا واقتصاديا بعد ارتفاع قيمة النفط في الأسواق العالمية، وعلى إثر هذا التطور أعطت الدولة للجانب الاجتماعي حيزا كبيرا من اهتماماتها، وطبقت مشاريع متنوعة لاسترجاع مكانتها الدولية وضمان استقرارها بنشر ثقافة السلم الاجتماعي بين أفراد جيل الشباب الذي يمثل غالبية المجتمع والذي يشكل قاعدة شعبية مثقفة ومنفتحة على العالم وساهمت في توعيتها الأزمة متعددة الأوجه وتأثيرات العولمة والتطور السريع لوسائل الإعلام والاتصال، حيث تغيرت الأفكار والذهنيات وانعكس ذلك على طبيعة العلاقة بين الفرد والدولة بحيث لم يصبح للمجال السياسي أولوية، فأصبح الفرد بمتطلبات

¹ - عبدالنور ناجي، المؤثرات السياسية التي أدت إلى عدم تطوير نظم انتخابية في ظل التحول الديمقراطي، دفاثر السياسة والقانون، أبريل 2011، ص335

معيشته المتزايدة يمثل ضغطاً على المؤسسة السياسية باعتماده الكلي على مؤسسات الدولة وتعدد حاجياته ومشكلاته كالسكن والشغل والترفيه، وهو ما وصفه برهان غليون بالمرض الاجتماعي بقوله "اعتماد المجتمع على الدولة نوع من المرض الحقيقي، حتى لا يكاد الوالد يطلب من الدولة التدخل لحل صراعاته مع أعضاء أسرته، فمع انخلاع الأفراد من السلطات الوسيطة المنظمة، يصبح الطلب على الدولة قويا، إذا لم نقل لا نهائيا، إن المجتمع من دون دولة أصبح عاجزا عن القيام بأي شيء، نعني عن القيام بأي مبادرة"¹ مما فرض عليها تغييرات جذرية في المجال الاقتصادي وعلى رأسها الخصخصة وتطبيق إصلاحات اقتصادية واجتماعية ملموسة، لكن الجانب السياسي بقي مقيدا بالقوانين والتشريعات التي تحد من مشاركة أفراد المجتمع في صنع السياسة العامة وممارسة الديمقراطية.

4.ج) - المجال الثقافي: من الناحية الثقافية استغلت السلطة السياسية بعد الاستقلال عناصر الهوية الوطنية والرموز الثقافية من لغة ودين وتراث لتوحيد المجتمع الجزائري وتحقيق توازنه والتفافه حول مشروعها السياسي باعتبارها الممثل والحامي الوحيد لمقدرات المجتمع وتراثه الثقافي، ووظفت هذه العناصر كوسيلة دفاع ضد أي مناهض أو معارض من الداخل أو الخارج، وتحولت مؤسسات التنشئة الاجتماعية من مدارس ومساجد ووسائل إعلام ومنظمات جماهيرية ودور ثقافة كأدوات لقبولية المجتمع وصياغته وفق أيديولوجية وأطروحة النخبة السياسية آنذاك، من خلال تحكم الدولة في الخطاب الديني وإخضاع المنظومة التربوية للقرار السياسي والإنتاج الفكري للمراقبة، هذا الضغط ولد مع الوقت حركات وانتماءات تحت وطنية تعمل بشكل غير رسمي.

¹ - أنظر مجمد مدان، الأصول السوسيو- تاريخية للسلطة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2008/2007، ص: 275

تشبثت القيادة السياسية بالعربية كلغة رسمية في التعليم والتواصل الاجتماعي، لكونها إحدى عناصر الهوية الوطنية المعبرة عن الانتماء والامتداد العربي الإسلامي، أمام الفرنسية التي تعد لغة المستعمر، لكن التناقض يكمن في أن قطاع التربية ينتهج التعريب أما التعليم الجامعي ومعاهد التكوين المتخصصة في التكنولوجيا والتسيير والإدارة والمحروقات بقي مفرنسا مما حرم غالبية المتعلمين من أتمام تعليمهم الجامعي لاصطدامهم بمشكل اللغة، وسمح لفئات أخرى وأبناء جهات معينة ممن كانت ظروفهم متكيفة مع تعلم الفرنسية أن تستفيد من هذه الوضعية وتستولي على المناصب الحساسة في الدولة وإدارة مؤسساتها العمومية، وهذا ما رسخ التمايز وأثر على التراتب الاجتماعي بين المنقذين في المجتمع الجزائري، وهي حالة من عدة حالات تبرز مظاهر الجهوية التي يعاني منها مجتمعنا الجزائري.

5- العوامل المؤثرة في الممارسة السياسية:

يتأثر السلوك السياسي بمجموعة من العوامل منها المتعلقة بثقافة المجتمع ومنها المتعلقة بالنظام السياسي، وسنوجز بعضا بهدف إبراز مبررات الوضع الحالي.

5. أ- الثقافة السياسية المحلية: تعتبر الثقافة السياسية جزء من الثقافة العامة للمجتمع وتتمثل في جملة المعارف التي يراكمها الفرد في المجال السياسي ويبنى عليها أفكاره ومعتقداته السياسية ومواقفه وانتماءاته، وتنتقل بين الأفراد والأجيال عن طريق عملية التنشئة، فالتفكير السياسي والقيم والمعتقدات السياسية يكتسبها الفرد من خلال التنشئة السياسية، وتختلف ثقافة الأفراد السياسية باختلاف العمر والمجال الجغرافي والفضاء الذي يقضي فيه الفرد أوقاته، فيختلف الوعي السياسي للشيوخ عن الشباب وسكان المناطق الساحلية والحضرية عن المناطق الصحراوية والريفية،

وتختلف حسب الممارسة والمشاركة السياسية، فتقافة طبقة النخبة تتميز عن ثقافة طبقة الجماهير، وبذلك تختلف المواقف السياسية للأفراد باختلاف ثقافتهم في هذا المجال وهو ما أسماه "غاريل إلموند وزميله بوويل" بالفئة الإدراكية في الثقافة السياسية، وقد استطاع هذان العالمان تصنيف أنماط الثقافة السياسية إلى ثلاثة نماذج هي: الثقافة الهامشية وثقافة الخضوع وثقافة المشاركة¹.

النتيجة الاجتماعية والسياسية في المجتمع التقليدي المستندة في كثير من الأحيان إلى القيم والمعايير والأعراف التقليدية، وتمثل العادات والتقاليد قاعدة مهمة في التنظيم والضبط الاجتماعي، وبذلك تجعل الفرد غير متمتع بالاستقلالية عن عائلته أو عشيرته، خاضعا لسلطة الجماعة التي تنتمي بدورها لتكوين أكبر وهو القبيلة ولا تخرج عن قراراتها، ولم تكن القبيلة منغلقة على نفسها بل كانت لبنة في بناء الحضارة الإسلامية العريقة وتخضع لمبادئ الإسلام وقواعده وتسعى لرفع رايته وتوسيع رقعة دولته، وبذلك كانت الوحدات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها في شكل دوائر متحدة المركز، خاضعة لسلطة تنظيمية مركزية، وكل دائرة تعيش على هامش الدائرة الأصغر منها وتابعة لها من المحيط نحو المركز " فمفهوم الثقافة السياسية يؤدي إلى إعادة إنتاج بناء النماذج القومية التقليدية"².

يمثل الدين عنصر مهم في تقوية هذا البناء، لأن الخروج عن الحاكم في الثقافة الإسلامية من المحرمات، ومن الناحية الاجتماعية تلزم الأعراف القبلية الأفراد بالانصياع للقادة القبليين بحكم العصبية القبلية، وهو ما يفسر خضوع المجتمعات العربية الإسلامية وتبعيتها الطبيعية للسلطة أو النظام السياسي، مما يسهل على السلطة التحكم في أفراد المجتمع التقليدي من خلال سيطرتها على قياداته القبلية، بعد

¹ - جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص: 156-157.

² - جان ماري دانكان، المرجع نفسه، ص: 160.

أن صبغت خطاباتها بشعارات وطنية ودينية تؤكد الاحترام والانتماء للحضارة العربية الإسلامية، واكتسبت شرعيتها من تبني بطولات المجتمع وثوراته، كما حدث في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال حيث استعملت الشرعية الثورية كمصدر للسلطة.

تقتصر ثقافة المشاركة السياسية المتمثلة في السعي للانخراط في الأحزاب السياسية وإثراء برامجها وحضور المؤتمرات والندوات الحزبية وتتبع أخبار النشاطات الحزبية في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى، وتتشيط الحملات الانتخابية، على عدد قليل من الأفراد في المجتمع الجزائري، وقد يرجع ذلك إلى الواقع الاجتماعي والسياسي الذي آلت إليه المجتمعات العربية من تدهور وانفراد السلطة وبيروقراطياتها وتحكمها في مفاصل العمليات السياسية وزيف نتائجها من خلال تضخيم النسب المعلنة لنتائج الانتخابات الرئاسية والتي عادة تقترب من 99%، وعدم الجدية في الانتقال إلى المنافسة السياسية الحرة وتطبيق القواعد الديمقراطية، فافتتح أفراد المجتمع بأن الممارسة السياسية ما هي إلا لعبة يستفيد من ورائها أفراد النخبة السياسية، ما أدى إلى عزوف غالبية أفراد المجتمع عن المشاركة السياسية والتصويت يوم الانتخاب، وصرف اهتمامهم لمتطلبات المعيشة التي تعد تحدياً لغالبية فئات المجتمع على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية.

ولما أصبحت الممارسة السياسية وسيلة للاسترزاق واعتلاء المناصب التي تتحكم في توزيع المنافع على أفراد المجتمع (سكنات، مناصب شغل، مساعدات اجتماعية، دعم مالي، قروض...)، صار كثير من السماسرة وجماعات الضغط (جماعة المصالح) يستغلون المجال السياسي لاستثماره في تحقيق أهدافهم الخاصة، وفي نفس الوقت ينشطون الممارسة السياسية ويوجهون السلوك الانتخابي، فبعضهم يعقدون مع فئات من المجتمع صفقات يتعهدون بتحقيقها بعد الفوز بالانتخابات، ويستغلون المال

والعرشية كمحرك للفعل السياسي ويختارون الشخصيات الفاعلة ذات الثقل القبلي لترأس قوائمهم الانتخابية ويتم تنشيط حملاتها عن طريق توظيف العصبية والرموز القبلية في الحقل السياسي، وهذا كله على حساب النزاهة والشفافية والديمقراطية.

5. ب- البناء والتنظيم الاجتماعي المحلي: يتمثل في مجموع الوحدات (الأسرة - العائلة - الفرقة - العشيرة - العرش) والتي تؤدي وظيفة التنشئة الاجتماعية الأولية عامة والتوعية السياسية بالخصوص، ففي مجتمعنا التقليدي يشكل البناء الاجتماعي نمطا خاصا من العلاقات الإنسانية والاجتماعية وشكلا منفردا من التنظيم الاجتماعي والسياسي داخل الجماعة وبين الجماعات المتجاورة، تحكمه قواعد وأعراف أثبتت نجا عتها خلال تاريخنا الغني بالأحداث السياسية.

ففي عصر البيروقراطيات والقوانين التنظيمية الحديثة ما زال الأفراد يحتكمون للعرف المحلي المنبثق عن التنظيم القبلي بدل القانون في التعامل مع المشكلات العائلية من زواج وطلاق وحتى المشكلات التي تقع بين الفئات القبلية كالدييات والتعاملات التي تخص الأرض العرشية وتسيير الأسواق الأسبوعية، ولم تكن هذه التنظيمات الاجتماعية التقليدية بمعزل عن السلطة المركزية بل كانت في كل مرحلة تاريخية تتفاعل معها بشكل أو بآخر، وكثيرا ما تتداخل ممارساتها المختلفة وأفكارها مع قوانين ودساتير المؤسسة السياسية الحديثة، وتتقارب مع تنظيماتها الحزبية والنقابية، متخذة منها هياكل تسيير في قنواتها بهدف السيطرة على مخرجاتها، وبذلك تظهر القبيلة خاضعة ممتثلة للقوانين ومشاركة غير مستقلة ولا مناقضة للتنظيم السياسي، وفي نفس الوقت مستغلة إياه كهيكل تستند إليه وتمموا داخله خاصة عن طريق تموقع أفرادها في المناصب الناتجة عن الانتخابات المحلية والوطنية.

5. ج- البيئة السياسية: تطلب التحول الديمقراطي في الجزائر إصلاحات طالت عدة قطاعات من أجل توفير بيئة سياسية ديمقراطية تطبعها المصادقية والشفافية

وتدفع أفراد المجتمع للمشاركة والمبادرة السياسية، هذه الإصلاحات مست القطاع الإداري عن طريق تغيير التشريعات والقوانين التنظيمية (الإصلاحات الدستورية) بما يتماشى مع عملية التحول المذكورة، ومست الأفراد بتثقيفهم وتوعيتهم عن طريق تطوير البرامج التربوية والإعلامية الموجهة لفئات المجتمع، ومست المؤسسات والهيئات بإنشاء الأحزاب السياسية والمنظمات وجمعيات المجتمع المدني والمجالس التمثيلية كمجلس الأمة والبرلمان، وتم الانفتاح على مختلف الحساسيات الاجتماعية وتبني مبادئ الديمقراطية، حيث سمحت بتكوين نقابات حرة وجمعيات حقوقية وحركات سياسية وثقافية، وعملت على إشراك المجتمع بمختلف توجهاته في صنع السياسة التي تخضع لمبدأ المنافسة العادلة ومعيار الشفافية، على غرار ما يحدث في الدول الغربية، وتدعيمها بحرية الصحافة التي تعد كمؤشر يقيس درجة تطبيق الديمقراطية.

خلفا للمرحلة السابقة التي تميزت بالأحادية الحزبية وهيمنة الدولة على مختلف المؤسسات والنشاطات، فالإعلام مثلا كان أحادي تابع للسلطة يبرر قراراتها ويمرر خطاباتها التعبوية، وأصبح بعد إصدار قانون الإعلام سنة 1990 حرا ومتوعا، يعرض المناقشات والحوارات ويرصد الآراء المتباينة ويغطي الانتخابات ويفضح الانتهاكات والفساد، هذه البيئة التي طبعت فترة الانفتاح السياسي انعكست على توعية المجتمع سياسيا بزيادة الاهتمام بالجانب السياسي ومتابعة نشاطاته ورفع مستوى المشاركة السياسية لفئات المجتمع الجزائري.

لم يدم المشروع الديمقراطي طويلا، بسبب الانحراف عن المسار و تعكر البيئة السياسية نتيجة تصادم الكتل السياسية وتوقيف المسار الانتخابي في جانفي 1992 من طرف المؤسسة العسكرية بعد نجاح الجبهة الإسلامية للإنقاذ وحصولها على غالبية الأصوات في انتخابات وصفت بالنزيهة والشفافة، في سابقة لتطبيق

الديمقراطية لم تعرفها أي دولة عربية، وكان لهذا الانحراف السياسي انعكاسات خطيرة منها انتشار العنف والاغتيالات والمجازر والقتل العشوائي، واضطراب ساد النظام السياسي عموماً، هذا المناخ نجم عنه تطبيق حالة الطوارئ التي قيدت الحريات وقلّصت الحقوق السياسية لدواعي الحفاظ على الأمن والاستقرار وكبحت نمو الروح المدنية بإقصائها لشريحة عريضة من المجتمع من المشاركة السياسية، وأقرت بحل الحزب الفائز وإقصاء التيار الإسلامي من العمل السياسي، في نفس الوقت أقرت بإنشاء حزب جديد يضم التيار المعاكس، هذا الأخير تطور بسرعة ليمثل الواجهة السياسية للنظام السياسي، وفي تلك الفترة لعبت الإدارة دوراً بارزاً في تردي الأوضاع وتفشي أمراض اجتماعية كالعنف والرشوة والمحسوبية والتعصب القبلي والجهوي، مما أدى إلى فقدان ثقة المواطن من النخبة وشركائها، ورغم سير الانتخابات دورياً وتجديد النظام السياسي واستعادة الاستقرار الأمني بقيت البيئة السياسية متأثرة بالمرحلة السابقة.

استطاعت الأحزاب السياسية في العشرية الأخيرة أن تعيد ديناميكية المشاركة الشعبية للبيئة السياسية بتوظيفها لعدة عناصر منشطة منها المعطى القبلي كمعطى سوسيلوجي توظيفاً سياسياً ونقلت النظام القبلي إلى حليف رسمي في الانتخابات، بعد أن اكتشفت انطواء المجتمع داخل أطره التقليدية التي كانت ملاذه في فترة العشرية السوداء، عندما فشلت الدولة في توفير الأمن وتوفير متطلبات المعيشة وأصبحت غالبية المجتمع على حافة الفقر، حيث لعبت القرابة والقبليّة في تلك الفترة دوراً بارزاً في التضامن والتكافل الاجتماعي وتجديد أبناء العرش لصد الاعتداءات الإرهابية، وتطورت الأفعال التضامنية الاجتماعية تدريجياً إلى تكوين كيانات اجتماعية مستقلة تكتسح الفضاء العمومي وتنتشر في الإدارة والمؤسسات، وهي حالة تكشف عن "تشكيل شبكات تضامن غير رسمية على هامش المجتمع الرسمي مقتبسة

من التقاليد، تستجيب لمتطلبات عالم اليوم، هذا المجتمع الذي يبني تدريجيا في الباطن، وعادة دون عنف يعبر في نفس الوقت على الارتباط بأشكال الحياة الجماعية التقليدية ورفض المشروع التحديثي-الفردنياتي"¹.

تحوّلت المصالح الخاصة إلى مبدأ في التعامل وذهنية توجه الفعل الاجتماعي والسياسي في مجتمعنا، ومما لا شك فيه أن هذا المنطق المؤسس على الإقصاء يؤثر على نزاهة وشفافية المنافسة السياسية ويترتب عنه إعادة إنتاج نفس النمط من العلاقات المصلحية على حساب المصلحة الوطنية العامة، وهو ما وصل إليه د. محمد عبدالباقي الهرماسي في تحليله للنظام السياسي الجزائري حيث يرى أن " سلطة الدولة لا تبدوا وكأنها عامل جماعي وموحد متجه نحو التغيير وذلك خلافا للانطباع الذي تحاول أن تعطيه، إن النظام السياسي يبدوا وكأنه مجال تحرك قوى متعددة، ومسرح للصراعات بين مجموعات وأفراد ذوي مصالح متباينة يحاول كل منها توجيه الدولة باتجاه تلك المصالح"²، وبالتالي تزداد المسافة بين النظام السياسي ومكونات المجتمع المدني، وهذه البيئة السياسية شكلت وسطا ضحلا تنمو وتنشط داخله تكوينات سياسية طفيلية تحت وطنية (قبلية ، طائفية ، جهوية) وبالتالي تزداد القطيعة مع الديمقراطية وهذه البيئة الانقسامية تعيش ضمنها غالبية المجتمعات العربية في عصرنا الحالي.

6 - العرشية كمحدد للسلوك الانتخابي:

يتطلب تطبيق الديمقراطية على النموذج الغربي القيام بعملية الانتخابات كسلوك حديث في الممارسة السياسية، وينشأ عن هذه العملية مؤسسات وطنية قيادية مشكلة

¹ -Ferguène Ameziane, (Recherche Identitaire et Etat-Nation)·Revue Insanyat·in Mémoire et histoire (CRASC ·N° 3 Hiver · Oran·1997·pp149 -150.

² - محمد عبدالباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، م. د. و.ع. بيروت ، 1988، ص:77.

من أعضاء يمثلون وينو بون عن مختلف فئات المجتمع، منتظمون في مجالس شعبية على مختلف المستويات الإدارية (البلدية ، الولاية ، الوطنية)، وهذه العملية تكرر مبدأ حكم الشعب لنفسه في إطار التنافس السلمي على السلطة بين تنظيمات سياسية متمثلة في الأحزاب والنقابات العمالية، وبممارسة الفرد (المواطن) لحقه في الانتخاب بالإدلاء بصوته في الانتخابات يكون قد عين ممثلين له في هذه المجالس والهيئات بشكل دوري، بالتالي إنتاج مؤسسات ذات طابع عمومي تتطلع لبناء دولة وطنية حديثة تستند قوانينها لمبدأ المساواة بين أفراد المجتمع وتحقق تكافؤ الفرص وحل المشكلات التي تعرقل تطور المجتمع عامة وتعيق تنميته لتعود الفائدة على جميع الفئات دون تمييز.

اعتمدت غالبية النخب الحاكمة الطابع الجمهوري للحكم وعلى الخيار الديمقراطي، للقضاء على النظام التقليدي القبلي في المجتمعات العربية وعملت على إشراك أفراد المجتمع في التنافس لممارسة القيادة على مستوى المجالس المنتخبة من خلال انتمائهم لهيئات حزبية ونقابية تخضع لقوانين تنظيمية حديثة، وقد تفاعل أفراد المجتمع الجزائري مع الممارسة السياسية الحديثة بشكل إيجابي وانضموا إلى مختلف التشكيلات السياسية وأظهروا اهتمامهم بالانتخابات وخاصة منها المحلية وانسجموا مع شروطها وقوانينها سواء في فترة الحزب الواحد أو في عهد التعددية السياسية.

يُبرز تحليل الانتخابات من الجانب السوسيولوجي تزامن بعض الممارسات الاجتماعية مع الاستحقاقات الانتخابية وخاصة منها المحلية، حيث يتدخل الأعيان بمساعدة أصحاب النفوذ في الإدارة والهيئات الحزبية والسماسة السياسيين لفرض أسماء معينة في القوائم الانتخابية كما تترافق فترة الانتخابات مع الولائم التي يقيمها المرشحون للانتخابات ويدعون إليها ذويهم وحلفائهم لتجنيدهم وجمعهم على موقف

واحد يوم التصويت، وهكذا تتم الصفقة والتعاقد بين المرشح وبنو عمومته أو جهته مع تدخل الوسطاء والأعيان الذين يصوتون عليه ولهم عليه أن يحقق حاجاتهم عند تقلده المنصب السياسي، وبالتالي تغيب الديمقراطية وتسود العروشية ويعلوا الولاء للقبيلة والعشيرة على حساب الولاء للحزب والدولة، يقول إبراهيم سعدي بهذا الصدد: "فعاطفة الصداقة وعاطفة الانتماء إلى الجهة الواحدة وعاطفة الاشتراك في الطائفة وعاطفة الرابطة الدموية وغيرها من العواطف التي من هذا القبيل تمارس مفعولها وتأثيرها وهيمنتها على السلوك العربي في مختلف الأصعدة الاجتماعية والسياسية ... وهو الأمر الذي يحول دون قيام مجتمع يسوده مبدأ المواطنة ويعلوا فيه القانون على الأشخاص"¹، فهذا الواقع يجعل السلوك الانتخابي مرتبط بقناعات الأفراد واتجاهاتهم وعلاقتهم بالوسط الاجتماعي، ومتعلق بحاجاتهم ودوافعهم النفسية والاجتماعية.

¹ - أنظر محمد بن يوب ، مرجع سابق، ص: 356

خلاصة الفصل:

كغيره من المجتمعات العربية تأثر المجتمع الجزائري بالحضارة الغربية وأنظمتها وخاصة بعد فشل الحزب الواحد في ترقية المجتمع وسقوطه في أزمة متعددة الأوجه مما دفع النخبة الحاكمة للدفع بالمجتمع إلى خيار تشكيل مجتمع مدني وانتهاج الديمقراطية كمبدأ سياسي للحصول على السلطة وحكم جمهوري يقوم على سيادة القانون وقيم المواطنة والعدل وحرية الرأي والتسامح وتبني علاقات قائمة على المصلحة العامة تتجاوز الروابط القرابية التقليدية والجهوية والعرقية والمذهبية، وأنشأ مؤسسات وهيئات المجتمع المدني ليشارك الكل في تسيير الدولة حكام ومحكومين ومن هذه المؤسسات الأحزاب السياسية والنقابات ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام الحرة وغيرها وكيف القوانين وعدل الدستور وأجرى انتخابات تعددية ديمقراطية، لكن هذا الانتقال لم يكتمل فواقع الممارسة السياسية كرس تناقض المصالح وفصل بين الدولة والمجتمع وأسقط اللكل في مستنقع العنف والتقتيل عشوية كاملة بسبب تأثره بأيديولوجيات اجتماعية تقليدية ووطنية ثورية راسخة في المخيال الاجتماعي قبل الثورة، تقوم على تقديس الجماعة على حساب الفرد وتلغي المعارضة والتنافس السلمي داخل النسيج الاجتماعي وتقدس الزعامة والكاريزما وهي أقرب إلى العنف من أي معالجة سلمية بديلة، وبالتالي فهي أيديولوجية إقصائية متعصبة عنيفة ترفض المشاركة والحوار ولا تقبل المنافسة المبنية على التعددية، وهو ما يفسر حالة الركود السياسي ووجود سلطة مركزية قوية مغلقة مشكلة من زمر تستمد سلطتها من قوتها داخل المؤسسة العسكرية.

فالممارسة السياسية تتأثر بعدة عوامل منها على سبيل الحصر الثقافة السياسية المحلية والبيئة السياسية وهيكلها وقوانينها والبناء الاجتماعي ذا الطبيعة الانقسامية الذي ركزنا عليه في بحثنا يشكل عقبة أمام التحول الديمقراطي المنشودة.

التحقيق

الميداني

للدراسته

الفصل الرابع

الإجراءات العمليّة للدراسة

1- مجالات الدراسة

1.1 - المجال المكاني للبحث

أ- الخصائص الجغرافية

ب- الخصائص الطبيعية

2.1 - المجال الزمّني للبحث

أ- المرحلة الاستطلاعية والنظرية

ب- مرحلة العمل الميداني

3.1 - المجال البشري للبحث

أ - الخصائص الاجتماعية

ب- التركيبة العرشيّة

2- الأدوات المنهجية للدراسة

1.2 - العيّنة وخصائصها

2.2 - التقنيات المستعملة

3- صعوبات الدراسة

الفصل الرابع: الإجراءات العملية للدراسة

1- مجالات الدراسة:

1.1- المجال المكاني للبحث:

1.1.1(أ)- الخصائص الجغرافية لولاية الجلفة: تقع ولاية الجلفة تجاه الجزائر العاصمة من الجهة الجنوبية حيث تتوسط المناطق الداخلية بمحاذاة سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، وتعتبر بوابة الصحراء على الطريق الوطني رقم: 01 وهي محصورة بين خطي عرض 33° و 37° وبين خطي طول 2° و 8°، تبعد عن العاصمة بحوالي 300 كم. حدودها كالتالي:

- من الشمال ولايتي المديّة وتيسمسيلت.

- من الجنوب كل من الولايات ورقلة و غرداية و واد سوف.

- من الشرق ولايتي المسيلة وبسكرة .

- من الغرب ولايتي الأغواط وتيهرت.

تتربّع ولاية الجلفة على مساحة قدرها 32.256.35 كم²، أي تحتلّ نسبة 1,36% من المساحة الكلية للوطن. وتضمّ 36 بلدية تمّ إنشاؤها إثر التقسيم الإداري لسنة 1974م، من ضمنها 12 دائرة هي: الجلفة، عين وسارة، مسعد، حاسي ببح، دار الشيوخ، الشارف، الإدريسية، عين الإبل، فيض البطمة، حد الصحاري، سيدي لعجال، البيرين .

1 - الموسوعة الحرة WWW. DJELFA. INFO بتاريخ 07\8\2012، على الساعة 11:14.

1.1.ب) - الخصائص الطبيعية لولاية الجلفة: تعتبر ولاية الجلفة منطقة سهبية بل

هي الجزء المركزي من السهوب، حيث تمثل منطقة عبور بين الهضاب العليا السهبية للأطلس التلي والمساحات الصحراوية، وبالتالي تشكل السهوب فضاء واسعاً من المراعي، لما تتوفر عليه من نباتات إستبسية كالشيخ والحلفاء والرمث وهي أعشاب ذات قيمة غذائية للمواشي. وتتخللها بعض المساحات الغابية غير الكثيفة يمر عبرها مشروع السد الأخضر، إضافة إلى وجود بعض المساحات الزراعية أين تتم زراعة الحبوب والأعلاف بشكل رئيسي وهو ما جعل النشاط الاقتصادي لسكان المنطقة يتمحور بالدرجة الأولى حول تربية المواشي وخاصة الأغنام، فبعض سكان المنطقة مستقرون في القرى والمدن والأرياف، وبعضهم بدو رحل يسكنون الخيام ينتقلون بشكل مستمر، حيث ينتقلون في المنطقة بحثاً عن الكلاً وقد يضطرون إلى مغادرة الولاية عند ندرته، وعادة ما ينتقلون في الشتاء إلى الصحراء طلباً للدفء، وفي الربيع يعودون إلى منطقتهم وبعضهم يواصل ليرتحل إلى المناطق الشمالية أين يتوفر الماء والغذاء الكافي لمواشيه أثناء فصل الصيف.

مناخ المنطقة قاري وشبه جاف و يتميز بالتذبذب وقلة الأمطار ويميزه الانخفاض الشديد في درجات الحرارة في فصل الشتاء وخاصة في الجهة الشمالية من الولاية، حيث تنخفض إلى بضعة درجات تحت الصفر مع وجود الصقيع والثلوج، ويتميز الصيف بالحرارة والجفاف حيث تتجاوز 40° وخاصة في الجهة الجنوبية من الولاية، ورغم قسوة المناخ وقلة التهاطلات إلا أن معظم سكان الأرياف يمارسون الفلاحة بزراعة الحبوب والأعلاف فضلاً عن ممارسة البعض لزراعة الخضر والفواكه المعتمدة على المياه الجوفية والاعتماد على تجارة السلع المختلفة لكون هذه الولاية تمثل منطقة عبور للسلع بين التل والصحراء وتتوسط المناطق الداخلية للجزائر، وتعتبر أسواقها الأسبوعية مكان تبادل تجاري بين عدة ولايات، ومعيار يحدد أسعار بعض السلع وآلية تحقق التوازن

التجاري وخاصة في تجارة المواشي والأعلاف، وعموما فطابع النشاط السائد في المنطقة هو الرعي وزراعة الحبوب والتجارة المرتبطة بهما.

تتميز أغلب الأراضي المستعملة في الزراعة والرعي بطابع عروشي فملكيتها مشاعة بين أبناء الفرقة أو العرش، مما يؤدي عادة في بداية موسم الحرث إلى زيادة وتيرة التفاعل بين أبناء القبيلة أو العشيرة باعتبارهم شركاء في ملكية واستغلال هذه الأراضي، فرغم أنّ بعضهم يسكنون المدن ويمارسون وظائف لدى الدولة ومهن حرّة إلاّ أنّهم مرتبطون بالأرض والفلاحة وتربية المواشي وبالتالي فعلاقتهم بالأرض وأبناء العشيرة بقيت مستمرّة، فالأرض إذن تعتبر عامل وحدة وتماسك في بعض الوحدات الاجتماعية وعامل صراع وتنافس في مستويات أخرى.

2.1- المجال الزمني للبحث:

امتد المجال الزمني للبحث من شهر أكتوبر 2013 إلى غاية شهر جوان 2016، وقد تمت الدراسة في مرحلتين مقسّمة بين الدراسة النظرية والميدانية.

أ- المرحلة الاستطلاعية والنظرية: واستغرقت أكثر من سنتين وتمت فيها الدراسة الاستطلاعية التي تمت مناقشتها مع الأستاذ المشرف من أجل تحديد الموضوع، ثم انتقلت إلى البناء المنهجي للبحث وضبط الإشكالية والفرضيات وتحديد المفاهيم انطلاقا من القواعد المنهجية والاستعانة بالدراسات السابقة، وقد أخذت حيزا كبيرا من الوقت في جمع التراث السوسولوجي المتعلق بموضوع الدراسة ومحاولة الإلمام بكل ما يخصّ موضوع البحث نظريا ومراجعته وإثرائه مع الأستاذ المشرف.

ب- مرحلة العمل الميداني: تمّ إعداد خطة للعمل الميداني وتحديد تقنيات ومناهج البحث وضبط مجتمع وعينة الدراسة وتصميم أدوات جمع البيانات المتمثلة في الملاحظة

والمقابلات والاستمارة وتحليل وثائق، ثم تم جمع البيانات من مجتمع البحث الممثل بأفراد عينة البحث (المبحوثين)، ثم تنظيم البيانات وصياغتها وعرضها في فصول التحقيق الميداني بعد تحليل وتفسير المعلومات المحصل عليها بعد معالجتها احصائيا في ضوء الأسئلة المطروحة لاختبار فرضيات الدراسة بهدف استخلاص النتائج.

3.1- المجال البشري للبحث: وهو مجتمع البحث والمنتشكّل من أفراد مجتمع ولاية الجلفة والذين لديهم خبرة ودراية بالنشاطات الثقافية الخاصة بمجتمع ولاية الجلفة ومعارف تخص ظاهرة العروشية ككيان واقعي يجسد الانتماء والولاء للعشيرة ومعرفة بتصنيف العروش المتواجدة بالمنطقة وخصائصها وتوزيعها في الفضاء المكاني، ويمكننا تحديد مجتمع البحث تبعا لمكان انتشار الظاهرة المدروسة من جهة ومن جهة أخرى للفئات العمرية التي تستوعبها وتتفهم طرحنا وموضوع بحثنا المتمثل في دراسة وجود واستمرار ظاهرة العروشية اجتماعيا وثقافيا وتأثيرها في المجال السياسي من خلال المساهمة في إنتاج المؤسسات الانتخابية، باستغلال جميع إمكانياتها المادية والمعنوية مثل رموز القبيلة وجد القبيلة ووجهائها في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وهو ما ركّزنا عليه في تحديد مجتمع البحث بهدف الاستقصاء العلمي الدقيق.

وقد أكدت الدراسة الاستطلاعية التي أجريناها في بداية البحث، وجود هذه الظاهرة وانتشارها في بعض ولايات الوطن وخاصة الولايات الداخلية والصحراء، ومن هذه الولايات الجلفة التي تتوسط منطقة الهضاب العليا وشمال الصحراء، وقد تولدت تركيبتها السكانية الحالية نتيجة التفاعلات التاريخية والثقافية التي أفرزتها التجمعات البشرية التي سكنت المنطقة منذ قرون ما قبل التاريخ إلى الفتوحات الإسلامية وحتى دخول الاستعمار إلى المنطقة والحراك الاجتماعي بعد الاستقلال فقد قدر "عدد سكان ولاية الجلفة ب: 1204134 سنة 2008 وكانت التوقعات لسنة 2010 تقدّر ب: 1475000 نسمة، وبذلك

احتلت المرتبة الرابعة في الوطن من حيث عدد السكان"1، تتوفر على القطاعات العمومية والخاصة ذات الخدمات المتنوعة، من مستشفيات واتصالات ومؤسسات تعليمية وجامعية ومؤسسات اقتصادية كمصانع الجلود والقرميد والمطاحن وغيرها من المؤسسات الإنتاجية التي تنشط في المناطق الصناعية للمدن الكبيرة ومع ذلك فالطابع العام للمنطقة يبقى رعويا، ولقد تطورت المدن والقرى في العشرية الأخيرة نتيجة ارتفاع أسعار المحروقات في الأسواق الدولية ما أدى إلى نمو ملحوظ في جميع القطاعات حيث دُعمت بمنشآت سكنية ومؤسسات تعليمية وصحية وتوسّعت شبكات الاتصالات والطرق والبنى التحتية.

1.3.1 أ) - الخصائص الاجتماعية لمجتمع البحث: بعض سكان الولاية يقطنون في الأرياف ويمتهنون الفلاحة وتربية المواشي، فبعضهم يمارس نمط الحياة البدوية يسكنون الخيام ويرتحلون بشكل مستمر بحثا عن الكلاً ويقصدون المدن فقط للتسوق وجلب حاجياتهم، وبعض سكان الريف مستقرون داخل تجمعات سكنية أو في مساكن عائلية منفردة، وقد استفاد كثير منهم من إعانات الحكومة المتمثلة في إيصال الكهرباء وفتح المسالك ومشاريع الدعم الفلاحي والسكن الريفى والنقل المدرسي وغيرها لتثبيتهم هناك، لكن النزوح نحو المدينة بقي متواصلا بسبب الجفاف والتصحر ونقص الأعلاف مما قلّص من عدد رؤوس الماشية وعجز العائلات على تغطية نفقات المعيشة المتزايدة، ونظرا للتغير الذي مس جميع مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية أدى إلى هجرة غالبية الأسر الريفية إلى المناطق الحضرية بهدف تحسين ظروف المعيشة والاستفادة من الخدمات العمومية المتوفرة في المدن حيث نجح الكثير منها في إيجاد مصدر للدخل ومسكن محترم، والبعض منها لجأ إلى أطراف المدن حيث استقرت بجوار من سبقتها من

1 - الموسوعة الحرة WWW. DJELFA. INFO بتاريخ 07\8\2012، على الساعة 11:14.

العائلات النازحة فتكوّنت في المدن تدريجيا أحياء جديدة غير مخططة (فوضوية) في شكل تجمّعات قرابية تفتقر لأدنى الشروط الصحية وغياب جميع متطلبات الحياة العصرية المنشودة.

بذلت الجزائر جهودا كبيرة في عملية التحديث ونقصد بمفهوم التحديث "بأنه انتقال المجتمعات التقليدية والبسيطة إلى الاستعانة بنماذج التكنولوجيا والآلية وما يتبع ذلك من تغيرات في التنظيمات الاجتماعية والبنية الثقافية، أو بمعنى آخر أن التحديث هو أن تأخذ المجتمعات البسيطة بأسباب التغير وصولا إلى مماثلة حالة المجتمعات الغربية الصناعية في تنظيماتها وأسس حياتها المستقرة"1 ومنها توفير السكن للمواطن بصيغته المختلفة وإنشاء مدن جديدة وأحياء مخططة وعصرية مدعومة بالمرافق والخدمات، والقيام بترحيل العائلات بشكل متواصل لعدة سنوات لكنّها لم تتمكن من القضاء على تلك الأحياء لأسباب منها رجوع بعض العائلات وعدم تمكنها من التكيف والاندماج في الحياة الحضرية وبسبب تواصل النزوح الريفي ولعدم وضع إستراتيجية هادفة للمعالجة الجدية للمشكلات المطروحة، مما زاد في نمو وترسيم تلك الأحياء فأصبحت واقعا معاشا يجمع بين سمات الحياة التقليدية والحضرية في آن واحد وهو يمثل جزءا مهماً في التركيبة السكانية لغالبية المدن الجزائرية، وعن طريق التفاعل بين الوافدين الجدد والسكان القدماء حدثت عملية امتزاج ومثاقفة أدّت إلى زرع قيم ومعايير المجتمع الريفي في الوسط الحضري أو ما يسمى بريفنة المدن وتعتبر الثقافات الفرعية أو العروشية إحدى مظاهرها.

3.1.ب- التركيبة العرشية لمجتمع البحث:

تفرّعت التركيبة الحالية حسب روايات أهل منطقة الجلفة عن (قبائل الصّحاري وأولاد نايل والعبازيز) إضافة إلى أولاد بن عليّة بدار الشيوخ وأولاد رحمان بعين وسارة وأولاد

1- محمد عباس إبراهيم، التحديث والتغير-دراسة في مكونات القيم الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2011، ص:191

بايزيد وأولاد جلال، هذه القبائل سكنت المنطقة وتكيفت مع نظامها البيئي الذي يستدعي نمط معيشة محدّد تفرضه العوامل المناخية التي تسود المنطقة والتضاريس والغطاء النباتي المتميز بمساحات شاسعة من المراعي التي تتخللها بعض الغابات، كما تتميز بانتشار ينابيع الماء التي تشكلت حولها تجمعات سكنية ذات طابع قبلي، وقد نتج عن تفاعل عناصر البيئة الطبيعية المذكورة والكائن البشري وحدة حياتية لها طابع اجتماعي وثقافي واقتصادي متميّز، وفي هذا الفصل سنقدّم لمحة تاريخية عن المنطقة وبعض القبائل التي تقطنها فبعض القرى أو البلديات يقطنها عرش واحد وبعضها يقطنها مجموعة من العروش المتساكنة حيث يحض كل عرش أو عشيرة بحي سكني خاص به، وفي الأرياف والبادي تنتشر الخيام وبعض المساكن الثابتة في الأراضي العروشية ذات الملكية المشاعة، وبالتالي فكل عرش حدوده التي ورثها منذ الحقبة الاستعمارية التي كان لها أثر كبير في تحديد الأماكن والأنساب.

لقد عمد الاستعمار الفرنسي في إطار محاربة النظام القبلي وزرع عوامل الفرقة داخل الجسم القبلي إلى خلط الأنساب والعروش وذلك بنقل بعض العائلات من عشيرة وزرعها في عشيرة أخرى من أجل تمييع وإضعاف رابطة النسب وتخريب البناء القبلي من الداخل، وتمّ إنشاء دواوير وإعادة تصنيف أفراد المجتمع على أساس ألقاب غير مرتبطة بالقبيلة والعشيرة، وتسجيلها في سجلات الحالة المدنية، لكن ذلك لم يؤثر في تماسك المجتمع الكلي الذي يضمه الانتماء للدين الإسلامي بل زادت لحة القبائل عند دخولها في مواجهة الاستعمار وزاد تمسكها بوحدتها وتحالفاتها ضده حيث شكّل العدا للاستعمار (النصارى) نقطة تقاطع ووحدة بين القبائل (المسلمة)، فنبتت القيم الوطنية و الدينية الجهادية وانتشرت بين أبناء المنطقة على اختلاف عشائرهم فانصهروا في بوتقة الثورة باسم الجهاد والاستشهاد ضد العدو الغاصب الذي ركّز في إستراتيجيته على ضرب

العناصر الأساسية للهوية فكانت ردّة الفعل عنيفة من طرف القبائل على اختلاف أنسابها فقد وحّدهم العدو وساهم في إيجاد نقاط التقاطع بينهم ومحو نقاط الفرقة والتشتت.

بعد الاستقلال كانت ولاية الجلفة كغيرها من الولايات الجزائرية وجهة للهجرات والحراك الاجتماعي بين المدن وحالات النزوح من الأرياف فقد عرفت مدن المنطقة كالجلفة وعين وسارة وحاسي بحبح ومسعد نموا كبيرا وحدث امتزاج اجتماعي بين الوافدين الجدد والقدامى، نتج عن ذلك ثقافة غيرت كثير من الملامح التقليدية في المنطقة، إلا أننا وبعد عقود من الاستقلال لمسنا بعض المظاهر التقليدية القديمة ومنها رسوخ العروشية في المنطقة وعودتها إلى الحياة الثقافية والسياسية بشكل ملحوظ، ومن بين القبائل (العروش) التي تسكن ولاية الجلفة سنقتصر على ثلاثة منها لشدة ارتباطها ببعضها:

1- عرش الصحاري: وهم أولاد المعين، أولاد خليف، أولاد ميمون، أولاد يونس، أولاد كانون، أولاد يعقوب، أولاد إبراهيم، أولاد الصحرأوي، أولاد عطا الله، وهي من القبائل التي سكنت المنطقة في "نهاية القرن الـ12، قدم الزغبيون (ينتمون إلى قبائل بني هلال الصحاري) والذين دانوا بالولاء للموحدين ودعموا جيشهم وبالمقابل أقطعوهم أراضي في الشمال، وفي القرن الـ13 استقر الصحاري وهم فرع من قبيلة نادر الهلالية وقسم من زغبة بجبل مشنتل (جبل الصحاري حاليا) وسيطروا على المنطقة خلال هذا القرن، وكان استقرارهم بالمنطقة بعد انسحاب قبائل البواعيش والزناخرة شمالا وتركوها للصحاري بعد معارك عنيفة نشبت بينهم، ولقد انضم إلى عرش الصحاري بعض الفرق منها أولاد سيدي بوزيد وأولاد أحمد بن عبدالله زوج بخيته، وبني مايدة، أولاد محمد بن عليّة، وأولا سيدي احمد بن محمد والردادة، إلا أنّ بعضهم انفصل عن الصحاري بعد انتفاضة العبايز ضدّهم، وبروز حلف أولانائل، و زحف أولاد نائل على المنطقة، حينما

لم يكن بإمكانهم البقاء بعين الريش أين عاش جدهم¹، وقبائل الصحاري ينتشرون الآن في جميع مناطق ولاية الجلفة متعايشين مع بقية الأعراس بشكل طبيعي ومركزهم هو دائرة حد الصحاري (الزيمزاش).

(2) - عرش العباريز: فرق عرش العباريز، وهم أولاد سيد أحمد وأولاد سي سليمان وأولاد أحمد وأولاد بن يحي، المنتشرون في ولايات (الجلفة والمدينة والأغواط وتيهرت)، وأبناء الشيخ عبد العزيز الحاج هم: أحمد و أحمد وسليمان وموسى ومن أبنائه كذلك السيد المرسي دفين مرسليليا والسيد بلعيش آغا والموسوم دفين قصر البخاري والقائد عبدالحفيظ بن محمد بن يحي، وحسب القاضي عبدالله بن حشلاف فإن الشيخ سيدي عبد العزيز الحاج من أبناء سيدي خليفة بن علي بن يحي وإخوته سيدي عليّة وأحمد ومحمد، وقد أكدّ نسبهم الشريف إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام²، وحسب روايات أهل المنطقة فقد استقرّ الشيخ سيدي عبدالعزیز الحاج بمنطقة الشارف (تيوولفين) خلفا للشيخ سيدي بوزيد الذي ارتحل غربا واستقر بمنطقة قرب مدينة آفلو سميت باسمه (قرية سيدي بوزيد)، وقد كان الشيخ عبد العزيز الحاج حسب روايات أهل المنطقة وليا صالحا يعلمّ القرءآن واشتهر بالزهد وقبول الدعاء وكرامات متعدّدة، وكانت تسمية بلدية الشارف حسب روايات أهل المنطقة نتيجة إنغراس أرجل فرس سيدي عبدالعزیز الحاج في مكان تربته رطبة وعند محاولة إخراجها انفجرت عيون الماء من مكان أرجل الفرس(الشارف) وتعني كبيرة السن، فسميت المنطقة باسمها، أما عن كنيته ب - الحاج- فقد ذكر أنه كان ينوي الحج وجمع مؤو نته فلما كان الانطلاق من مكان معلوم وهو صخرة كبيرة بجوار عين الشارف تأخر الشيخ عن قافلة الحاج فلما حضر وجدهم قد ذهبوا فبكى حزنا على بقاءه دونهم، ثم اهتدى إلى فكرة توزيع زاده ومؤونة

1- بكبيديا، الموسوعة الحرة، مقالة حول ولاية الجلفة، بتاريخ:2012/12/25 على الساعة 11:11.

2 - أنظر عبدالله بن حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، 1929، ص 136-137

حبه كصدقة على الفقراء المودعين من شيوخ وصبيان فوق تلك الصخرة عسى الله أن يقبلها، فقاموا بالدعاء له أن يتقبل الله منه ويكتب له بتلك الصدقة حجّة، فعندما عاد الحجاج صرّحوا بأنهم قد رأوه يطوف بالكعبة، فسمي على إثرها ب(الحاج على حجرة) بسبب صدقته، وقد انتقل الشيخ سيدي عبد العزيز في نهاية حياته إلى منطقة المدينة وتزوَّج بمنطقة الخميس وأنجب علي بوفارس، وبعدها انتقل إلى منطقة الأخضرية أين وافته المنية ودفن هناك وله فيها مزار معروف، كما تقام له وعدة (طعم سيدي عبدالعزيز الحاج) وهي مناسبة اجتماعية سنوية مشهورة يقيمها أبناؤه في عدّة مناطق من الجزائر حيث تنحر الذبائح و يقدم الطعام واللحم لزوارها.

(3) - أولاد نايل: وهو أكبر عرش في ولاية الجلفة لفروعه المتعددة ولانتشاره في الولايات المجاورة، وعددهم 24 (عشيرة) نذكر منهم: أولاد عيسى بن نايل ومنهم أولاد لاعور، وأولاد أم الإخوة بفيض البطمة، وأولاد عيفة وأولاد العقون بدار الشيوخ، وأولاد خنائة بعين الإبل وأولاد يحي بن سالم وطعبة بمسعد، وأولاد أم هاني ببلدية القديد وأولاد عبيدالله، أولاد سي أحمد ببلدية الزعفران، أولاد الغويني ببلدية بحبح وأولاد سعد بن سالم، أولاد سي أمحمد، ومع بداية القرن السابع عشر الميلادي عرف أولاد نايل أوجّ تضامنهم باعتبارهم أكبر قوّة قبليّة في المنطقة، بعد تفهقر الصحاري نتيجة المعارك التي خسروها ضد العبايز الذين استعانوا بحلف الأرباع، وينتشر الأرباع في منطقة الأغواط والجهة الجنوبية من الجلفة، وهم "قبيلة مكونة من أربعة فرق وهم الحجاج والمعامرة وأولاد صالح وأولاد زيد ولقبوا بالأرباع لأنهم كانوا أربعة عائلات ينتمون إلى بعضهم بعضا في المصاهرة والمناصرة والمؤازرة"¹. تجمع بعض الروايات المتداولة في المنطقة أنّ نسب سيدي نايل ينتمي إلى الأشراف الأدارسة، وهو محمد بن عبدالله الخرشفي، وقد اشتهر بالاستقامة والزهد والتقوى والورع والسخاء، وحسب الرواية فقد سمي ب(نايل)

1- ميروك بن صالح قارة، أولاد زيد تاريخ وأبعاد أشراف وأحفاد، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009.ص64

بعد أن نال وريح في الامتحان كان قد أعدّها شيخه الذي كان يختبر صبر الطلاب وثقتهم عندما أخبرهم بأنه سيضحي بأحدهم فهرب الطلاب وبقي الطالب محمد بن عبدالله صابرا ومحتسبا ففاز برضا شيخه ونال ثقته وبركته، فيعبرون عن ذلك بقولهم : (سيدي نايل نالها وادا المفتاح) أي أخذ مفتاح البركة من شيخه، وحسب الروايات الشعبية فقد نزلا أولا بعين الرّيش بولاية المسيلة وأنجب أربعة أبناء وهم عيسى و يحي ومليك وزكري تفرّعت منهم العشائر المذكورة آنفا، وقد تكاثر أبناؤه في المنطقة ما جعلهم يطلبون التوسّع في استغلال الأراضي للزراعة والرّعي، فتفرّقوا وانتشروا مع مر الزمن في المناطق الأخرى مما أوقعهم في مواجهة القبائل المجاورة، وبمرور الوقت تجذّر أولاد نايل في المنطقة وزاد توسّعهم بفضل تقلّص قوّة الصحاري المترامن مع دخول كثير من القبائل والعشائر ضمن عرش أولادنايل بالحلف والمصاهرة، وبذلك تضاعف وتوسّع عرش أولاد نايل في المنطقة فخلّفوا الصحاري في السيطرة على جل مناطق الولاية.

2- الأدوات المنهجية للدراسة:

1.2 - العينة وخصائصها:

1.2.1(أ)- عيّنة الدراسة: لا يمكن بأي حال أن نشمّل جميع أفراد المجتمع بالبحث ونأخذ آرائهم ومواقفهم لهذا سنلجأ إلى العينة التمثيلية التي هي مجموعة أفراد ينتمون إلى المجتمع المراد دراسته أو يكون مقرا للظاهرة المدروسة، فالعينة هي جزء من مجتمع البحث تحمل مميزاته وصفاته، وما دمنا بصدد دراسة ظاهرة العروشية في مجتمع ولاية الجلفة المشكل من مجموعة قبائل(أعراش) ركزنا على ثلاثة منها في دراستنا هي أولاد نايل والصحاري والعبازيز نظرا لاختلاطها مع بعض في مركز الولاية على خلاف بعض الأعراش في شمال الجلفة وغربها: منهم أولاد رحمان والمويعدات وأولاد زيد وأولاد جلال وغيرهم، وسنلجأ لاستخدام العينة الحصصية لتحري الدقة والتمثيل، آخذين

بعين الاعتبار نسبة كل عرش في المجتمع الكلي، وقد اقتصرنا في تحقيقنا على فئة الراشدين لأنهم أكثر اهتماما بالمجال السياسي يقول الباحث جون واتربوري " أن نشاط الراشدين في جميع المستويات يتوجه بالدرجة الأولى إلى المنافسة السياسية التي تضمن أكثر من أي نشاط اجتماعي آخر فوائد وامتيازات"¹ أما عن توزيع الاستبيان فقد اعتمدنا على الأصدقاء والطلبة الجامعيين والزملاء في قطاع التربية وكان التوزيع بشكل عرضي فحصلنا على 160 استمارة كاملة، فبعض الاستثمارات لم تسترجع وبعضها غير كاملة.

1.2. ب)- خصائص عينة الدراسة:

1- جدول رقم (01) يمثل توزيع أفراد عينة البحث حسب الانتماء العرشي:

الانتماء العرشي	التكرارات	النسبة المئوية
أولاد نايل	87	54,4%
الصحاري	41	25,6%
العباريز	32	20,0%
المجموع	160	100,0%

من خلال الجدول المعروض نستخلص الفئة العرشية السائدة والمتمثلة في أولاد نايل بنسبة 54,4% حيث يمثلون غالبية سكان الجلفة وهم 24 عشيرة عربية ينسب لأبيه كأولاد عيسى وأولاد الغويني وعبيدالله...، وبعضهم ينسب لأمه كأولاد أمهاني وعيفة وفاطنة وخناثة...، منهم البدو الرحل المتنقلون دوماً والبعض مستقرون يقطنون في الأرياف أو المدن، ويعتبر عرش أولاد نايل من أكثر الأعراش عدداً في الجزائر، ولا يقتصر انتشاره في ولاية الجلفة فحسب بل في ولايات عدة خاصة في الوسط والصحراء فأولاد نايل يمثلون غالبية بينما يمثل كل من الصحاري والعباريز عدد أقل فالصحاري

¹ - جون واتربوري، مرجع سابق، ص: 118

يتركز تواجدهم في بلدية حد الصحاري وبن يعقوب وتعصميت والجلفة ويمثلون نسبة **25,6%** من العينة، أما العبايز فينتشرون في كل من بلدية الشارف والادريسية والجلفة ويمثلون نسبة **20,0%** من العينة، بينما ينتشر أولاد نايل في البلديات الباقية، وتمثل فئتي العبايز والصحاري في مجملها نسبة أقل حيث تصل حسب العينة إلى **45,6%** ومن الملاحظ أن بين هذه الفئات القبلية انسجام واحترام وتكامل في جميع المجالات، حتى أن العابر لا يكتشف التمايز.

2- جدول رقم (02) يوضح سن أفراد عينة البحث:

العمر	التكرارات	النسبة المئوية
[35-20]	38	23,8%
[50-35]	107	66,9%
[65-50]	10	06,3%
[80 -65]	5	03,1%
المجموع	160	100,0%

نستخلص من بيانات الجدول أن الفئة الغالبة في العينة هم الكهول [50-35]، ففي هذا السن يكون الفرد أكثر رشداً وجدية، وهو ما يجعل هذه الفئة أكثر ثباتاً في علاقاتهم واستقراراً في انفعالاتهم ومواقفهم من جهة، ويمثلون من أفراد العينة نسبة **66,9%** كما أننا لمسنا تجاوباً كبيراً من هذه الفئة، أما فئة الشباب فكانت نسبتهم في العينة أقل **23,8%** وبعضهم قدم استمارات غير كاملة، ومن خلال الملاحظة البسيطة اكتشفنا أن الثقافات الفرعية كالعروشية يكتسبها الفرد بعد سن الشباب كما أن الاهتمام بشؤون المجتمع والمشاركة الهادفة في الانتخابات لا تحدث إلا بعد سن العشرين كما أن هذه الفئة في زمننا الحاضر تكون منهمكة في الدراسة أو التكوين وغير منفتحة على المجتمع ومشكلاته العامة بشكل يمكنها من اكتشاف خفاياها، فالفرد أثناء تفاعله اليومي في جميع الفضاءات كالأسواق والمساجد والساحات والملاعب مع فئات المجتمع المتباينة في السن

والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي خاصة إذا ارتبطت وظيفته بالتفاعل مع شرائح المجتمع المختلفة يصطدم ببعض المواقف والسلوكيات والأعراف التقليدية تجعله يبحث لها عن تفسيرات ويجد ضالته في الثقافة المذكورة فيكتسب معارف ومواقف واتجاهات وبالتالي تستمر تنشئته الاجتماعية طول حياته، أما الفئتين الثالثة والرابعة في العينة [65-50] مثلت نسبة **06,3%** وفئة [80-65] مثلت نسبة **03,1%** هاتين الفئتين من العينة عايشتا فترة ستينات القرن الماضي أين كانت القبيلة والثقافة القبلية منتشرة بشكل كبير وبالرغم من قلتهما إلا أن لهما تأثير على مواقف الأجيال التي تلتها بفعل نقل للتراث الثقافي عن طريق التنشئة الاجتماعية.

3- جدول رقم (03): يبين جنس أفراد العينة

النسبة المئوية	التكرار	الجنس
86,3%	138	ذكر
13,8%	22	أنثى
100,0%	160	المجموع

يبين الجدول أن نسبة الذكور عالية في العينة حيث مثلت **86,3%** وهو ما يشير إلى أن مجتمع ولاية الجلفة مجتمع ذكوري ليس من حيث النسبة والعدد فحسب بل من ناحية التفاعل، إذ من الصعب التعامل مع جنس الإناث بشكل مرناً إلا في حدود ضيقة وفي بعض الفضاءات كالجامعة، فقد قدرت نسبة الإناث في العينة بـ **13,8%** وهي نسبة معتبرة إذا وضعنا في الحسبان الثقافة المحافظة التي تتميز بها المنطقة، كما أننا لمسنا أن موقف المرأة مرتبط بالعائلة بشكل كبير فعند مناقشتنا للموضوع من بعضهن كثيراً ما تشير إلى سطوة الأب أو الأخ في تشكيل الاتجاهات والمواقف وهو ما يدل على تأثير الإناث بالضبط الاجتماعي وبالتنشئة الاجتماعية على القيم المحافظة، كما اكتشفنا أن ثقافة

المرأة في مجال موضوع دراستنا كانت محدودة، فكثير من النساء لا تهتم بالموضوع وتعتبر أنه متعلق بمسؤولية الرجال في المجتمع.

4- جدول رقم (04): يبين الحالة العائلية لأفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	الحالة العائلية
90,6%	145	متزوج
7,5%	12	أعزب
1,9%	3	مطلق
100,0%	160	المجموع

أفراد عينة البحث توزعوا بين ثلاث الفئة الأولى وهي المتزوجين كانت أكثر حيث قدرت ب: **90,6%** وهو يفسر اعتمادنا أفراد عينة راشدين، كما أن من هؤلاء المتزوجين نسبة **88,1%** لديهم أبناء ويقدرن المسؤولية، وهذا يفيدنا في مصداقية البحث ودقة الآراء، وهؤلاء على عاتقهم تنشئة الأبناء وكل ممارساتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية ومواقفهم واتجاهاتهم تنتقل بشكل تلقائي إلى الجيل القادم، أما فئة العزاب فنسبتهم في العينة **7,5%** وهي نسبة قليلة لأن عشرون سنة هي أصغر عمر مسجل في عينة البحث وعند غالبية مجتمع الجلفة يعتبر سن العشرينات الفترة المناسبة للزواج، أما المطلقين فنسبتهم في العينة **1,9%** وهو ما يدل على متانة وقوة البناء الاجتماعي، فعادة لا يحدث الطلاق في مجتمعنا إلا إذا استنفذت كل الحلول من طرف العائلة والجماعة العرشية التي تبذل جهودا تها للحفاظ على الأسرة فنسبة المتزوجين من قرابتهم في العينة تقرب: **70,6%** ، يعمل الزواج بين القرابة على تقليص حالات الطلاق لأن هذا الأخير يحدث قطيعة رحم وإساءة لعائلة المرأة خاصة وينجم عنه تفكك على مستوى أعلى من البناء الاجتماعي لهذا يحرص الجميع على تقاويه.

5- جدول رقم (05): يبين نوع أسرة لدى أفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	نمط الأسرة
84,4%	135	أسرة بسيطة
15,6%	25	أسرة ممتدة
100,0%	160	المجموع

يوضح الجدول أعلاه سواد الأسرة البسيطة في المجتمع بنسبة 84,4% وقد يرجع ذلك إلى عدة عوامل منها سياسة الدولة في الإسكان وتطور الطابع المعماري للمسكن عند العائلة الجزائرية وتغير طبيعة الحياة في المدن ونمط المعيشة المعتمد على الأجر والمجهود الفردي، والنمو الديمغرافي وقلة الموارد الطبيعية وعدم ملائمة وسائل وأساليب الإنتاج لذلك النمو، أجبر العائلة الممتدة على الانشطار وشجع النزوح الريفي وأدخل المرأة والطفل ميدان الشغل وما تبعه من نتائج ومضاعفات، كلها عوامل قلصت من إمكانية استمرار العائلة الممتدة التي عرفها المجتمع الجزائري قديما والتي تطلب بناؤها قيم ومعايير منها التعاون والالتزام بالحياة الجمعية وضبطا وخضوعا للسلطة الأبوية وللعادات والأعراف التقليدية منها الملكية المشاعة والنقشف والقناعة، فلم تسجل حاليا الأسرة الممتدة إلا نسبة 15,6% من أفراد العينة وهذا لا يعني انقراضها تماما، لأن الأسر البسيطة مازالت تتجمع في المناسبات الاجتماعية والأعياد وغيرها في دار العائلة الممتدة وترجع إليها كلما دعت الضرورة وتعتمد في اتخاذ قراراتها وفي احتياجاتها المستعصية.

6- جدول رقم(06): يبين المستوى الدراسي لأفراد عينة البحث:

النسبة المئوية	التكرار	المستوى الدراسي
6,9%	11	بدون تعليم
3,1%	5	تعليم أصلي
0,6%	1	مستوى ابتدائي
11,9%	19	مستوى متوسط
18,1%	29	مستوى ثانوي
59,4%	95	مستوى جامعي
100,0%	160	المجموع

يتبين من خلال تحليل بيانات هذا الجدول أن عينة البحث يغلب عنها المستوى الجامعي بنسبة 59,4% ويليهما مستوى التعليم الثانوي بنسبة 18,1% فهاتين الفئتين تمثلان الطبقة المثقفة في المجتمع والتي سنأخذ رأيها في وصف الممارسات الاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة ونعرف من خلالها العوامل المساهمة في إعادة إنتاج الظاهرة ومدى رتابتها أو اندثارها حيث تمثل مع بعض نسبة 77,5%، والنسبة الباقية 15,6% تتوزع بين المستويات الدراسية المنخفضة، وتشكل الأمية نسبة 6,9% من أفراد العينة، وهذا لا يعني أنّ الأمي لا يعرف الثقافة العرشية بل بالعكس ما يعرفه الأمي عنها قد يغيب عن المتعلم، لأنّ الأمي يستقي ثقافته ومعارفه الشفوية من المصادر التقليدية في الفضاءات كالأسواق والمناسبات المختلفة، فيكتسب معارف وقيم ومعايير بعضها مستندة إلى مبادئ من الشريعة وبعضها إلى القوانين العرفية إضافة إلى الأمثال والحكم وأحاديث الأولين المستندة للتجربة، وعادة يرتبط المستوى التعليمي بالمهنة فالملاحظ في مجتمع ولاية الجلفة قلة الحرفيين وقد حصلنا على إجابات عن طريق المقابلة تشير إلى قرب المنطقة إلى البدوية منها إلى الحضرية والحرف مرتبطة بالحياة الحضرية، وإذا سألت الحرفيين

تجدهم امتهونها بعد أن غادروا الريف إلى المدينة كمصدر عيش متواضع بدل البطالة،
والجدول التالي يوضح مهن أفراد العينة.

7- جدول رقم(07): يبين مهنة أفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	المهنة
11,3%	18	أعمال حرة
13,1%	21	طالب
70,0%	112	موظف
3,1%	5	بدون عمل
2,5%	4	إطار (مدير)
100,0%	160	المجموع

يبين الجدول أن نسبة 70,0% من أفراد العينة موظفون وهذا راجع لعاملي السن والجنس
فغالبية أفراد العينة فوق سن الخمسة والثلاثين، وبالتالي فجلهم حصل على التوظيف الذي
أصبح مشكلة في العقدين الماضيين فقط، تليها نسبة 13,1% للطلاب الذين يمثلون
شريحة عريضة في المجتمع، ونسبة 11,3% للأعمال الحرة كالتجارة والحرف التي
انتهجها كثير من الناس لما لها من خصائص ايجابية كالحرية والمردود المالي، ويبقى
العاطلون عن العمل بنسبة 3,1% من أفراد العينة وهي فئة قليلة مقارنة بالفئات الأخرى،
ففي كثير من التقارير تضخم هذه الفئة ويرجع ذلك لثقافة اكتسبها الفرد الجزائري، فلا
يرى العمل إلا في التوظيف ويحسب الفلاح والموال والتاجر والسماير ضمن فئة البطالين
وقد لاحظنا ذلك حين الاستفادة من منحة التمدريس وتوزيع قفة رمضان، ورغم تنوع
المهن فإن كثير من الأفراد يمارسون نشاطات ثانوية متعلقة بالفلاحة كالزراعة وتربية
المواشي وبالتالي تنقلص فئة البطالين في المجتمع.

08- الجدول رقم(08): يبين سكن أفراد العينة بجوار الأقارب:

النسبة المئوية	التكرار	السكن بجوار الأقارب
50,6%	81	نعم
49,4%	79	لا
100,0%	160	المجموع

يتضح لنا من خلال هذا الجدول أن نسبة 50,6% من أفراد العينة يسكنون بجوار أقاربهم هذا التجاور يدعم علاقات النسب والمصاهرة وينمي التواصل والتضامن ووحدة المصير حيث يشكلون وحدة اجتماعية منسجمة متماسكة، قد تحمل نفس الموقف تجاه قضايا أو أفراد أو هيئات وفي هذه الحالة يتشكل كيان اجتماعي قرابي أو عرشي يمثل للجميع رمزا وخصوصية للمكان تجعل منه فضاء متميز بفتنة معينة وخاصة إذا تم نموه ودعم بالمؤسسات الاجتماعية والمرافق العامة الصحية والتعليمية والإدارية والدينية، أما النسبة الثانية المسجلة في الجدول 49,4% فتمثل من يسكنون بعيدا عن أقاربهم طواعية أو لضرورة معينة كالتقرب من مكان العمل وهي نسبة معتبرة توحى بالتباعد المجالي بين أقارب الأجيال القادمة مستقبلا، وهو لا يعني عدم التواصل بالأقارب وإنما نقل وتيرته وقد يتشكل للعائلة علاقات صداقة وجوار مع فئات أخرى تقلل من وطأة الانتماء العرشي وتأثيره على الموقف والسلوك، لكن التقارب بين العائلات يفرض التضامن والتآزر الذي يمثل سمة في المجتمع الجزائري وخاصة في النوازل.

09- الجدول رقم(09): يبين قرابة الزوجة عند أفراد العينة:

قرابة الزوجة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	87	54,4%
لا	66	41,3%
عازب(ة)	7	4,3%
المجموع	160	100,0%

نستخلص من خلال هذا الجدول سواد الزواج الداخلي في مجتمع البحث فزواج الأقارب يمثل نسبة 54,4% من أفراد العينة، وهي سمة من سمات المجتمع التقليدي فلا يأخذ المرأة إلا ابن عمها ومنذ ولادتها يحدد زوجها وقد يعرف الأطفال هذا في صغرهم عندما يسمون الذكر بفلانة فيغضب حياء منهم وتتادى الطفلة بفلان لإحراجها، فينشأ وهو معتقد بأنها لا تكون لغيره مادام حيا، ويلجأ لهذا الزواج لمنع تقسيم الأرض العرشية وامتلاكها من طرف الغريب، وللحفاظ على تماسك الجماعة وحفظ أسرارها، فعادة ما يعامل المتزوج من غير الأقارب بأنه غريب عن العائلة فيتعرض للتهميش ويحس بالغربة وخاصة في المناسبات حينما يزور عائلة زوجته، وتمثل نسبة 41,3% من المبحوثين المتزوجين من الأبعاد، وهي نسبة معتبرة تدل على التغير الحاصل في قيم ومعايير الزواج ولهذا مبرراته وأسبابه منها خروج المرأة للدراسة والعمل فكثير من المتعلمات لا تتزوج إلا بمن هو خارج إطار القرابة، فيأتيها الزوج من مناطق أخرى وأبناء عموماتها يرفضونها فبعضهن لم تتزوج أبدا كعقوبة اجتماعية على خروجها، ويزيد حرمانها من الزواج بقائها في ذلك الوسط الاجتماعي المنغلق.

10- الجدول رقم(10): يبين أقوى الروابط الاجتماعية في مجتمع أفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	الروابط السائدة
67,5%	108	رابطة الدم
13,8%	22	رابطة العمل
18,8%	30	رابطة المصالح
100,0%	160	المجموع

يتضح من خلال هذا الجدول أن أفراد العينة يصرحون بسواد رابطة الدم عن غيرها من الروابط الاجتماعية بنسبة 67,5% وهذه الروابط تمثل مواقف يتبناها الفرد انطلاقاً من تنشئته الاجتماعية وتجربته في الحياة، فالذي يتحمل معه المشاق هو قريبه في النسب وبالتالي يجري في عروقهما دم واحد يفرز عواطف تجمعهما على الحلو والمر، والمثل الشعبي يؤكد ذلك '(خوك...خوك... لا يغرك صاحبك)' ويؤكد قول الشاعر:

ما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... وهم في النائبات قليل

وتمثل نسبة 18,8% من آراء أفراد العينة إلى سواد رابطة المصالح، وهي تصب في الرابطة الأولى لأن ممارستها متبادلة بين أبناء العرش أو الجهة، وبالتالي فالذي يقدم خدمة لقريبه ينتظر منه نفس السلوك من موقعه أو قد يستغله في مهام أخرى، كما أن علاقات وروابط أخرى قد تتشكل خارج إطار النسب خاصة بين المسؤولين الذين يشغلون مناصب حساسة في الدولة، ضمن شبكة من العلاقات الخاضعة لقاعدة المصالح، ويعبر عن ذلك بالمثل الشعبي '(حكلي...نحكلك...)', بينما تمثل رابطة العمل النسبة الأقل 13,8% لأن الكثير في مجتمعنا لا يشغل عنده العمل إلا نسبة قليلة من اهتماماته ووقته.

11- الجدول رقم(11): موقف أفراد العينة من العرش:

النسبة المئوية	التكرار	الموقف من العرش
52,5%	84	ولاء وانتماء
31,9%	51	نسب فقط
15,6%	25	لا علاقة
100,0%	160	المجموع

يتضح من خلال الجدول ما يحمله الفرد من موقف تجاه عرشه فنسبة 52,5% من أفراد العينة ترى أنها علاقة انتماء وولاء، وهذا يعني إلزامية التضامن والوحدة والتكافل بين المجموعة ويتطلب من الفرد الولاء التي تترجم بنكران الذات الفردية والتضحية لأجل للقبيلة والعمل على تنمية الروح الجماعية من خلال ممارسات متنوعة ترفع من وتيرة التضامن والتلازم ووضع الاستراتيجيات لترقية القبيلة واستمرار النسق القبلي، وتمثل الفئة الثانية من أفراد العينة نسبة 31,9% الذين يرون علاقتهم بالعرش تكمن في نسبهم إليه فقط دون تقديم جهد أو عمل لترقيته واستمراره لأن في نظرهم العرش ليس له تأثير في حياة الأفراد المرتبطة بالعمل والانجاز، وفي مستقبلهم الذي يرسمه الأفراد وليس الجماعات، وتزيد حدة هذا الاتجاه عند الفئة الثالثة والتي تمثل 15,6% من أفراد العينة الذين قد يعيشون خارج إطار العائلة أو العرش ولا تهمهم مسألة الانتماء العرشي.

2.2- تقنيات البحث المستعملة:

2.2. أ)- الملاحظة: تعتبر الملاحظة الحسية من أهم أدوات جمع الحقائق ومصدر للمعرفة الصحيحة، حيث تتم بشكل تلقائي ومباشر لاعتمادها على المستقبلات الحسية للباحث، حيث يوجهها لمشاهدة وتسجيل الواقع المعاش ويكتشف الظاهرة المراد دراستها وقد عرفها الباحث: العربي فرحاتي بأنها: " توجيه الحواس والانتباه إلى ظاهرة معينة أو

مجموعة من الظواهر رغبة في الكشف عنها ومعرفتها أو عن أجزاء أو جوانب منها كصفتها وخصائصها وسماتها وأبعادها ومترتباتها وتجلياتها وآثارها وموقعها ودرجة ظهورها في الزمان والمكان¹ والملاحظة البسيطة هي من لفت انتباهنا للظاهرة من خلال استمرار الممارسات العرشية في الحياة اليومية لأفراد المجتمع المحلي رغم التغير والتطور، فالوعي القبلي يأخذ حيزا مهما من ثقافة الفرد في مجتمعنا، وقد لاحظنا أبعاد الظاهرة وكل تجلياتها بحكم نشأتنا واندماجنا في المجتمع محل الدراسة ومشاركتنا في نشاطاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وتفاعلنا مع مجرياتها وقواعدها بشكل ملموس، كما اعتمدنا في بحثنا على الملاحظة بشقيها أي بالمشاركة وبدون مشاركة هذه الأخيرة "يقوم الباحث فيها بالملاحظة دون أن يشترك في أي نشاط تقوم به الجماعة موضوع الملاحظة، وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب في ملاحظة الأفراد التي يتصل أعضاؤها ببعض اتصالا مباشرا ومن مزاياه أنه يهيئ للباحث ملاحظة السلوك الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية"². فلا يمكن اكتشاف هذه الظاهرة عن طريق رؤية عابرة أو زيارة قصيرة للمنطقة محلّ الدراسة، بل يحتاج ذلك إلى تكرار الزيارات وتفاعل مطول مع مجتمع البحث لكسب الثقة من أجل التعمق في رصد السلوكيات وتفسير ما تهدف إليه، "الملاحظة هي توجيه الحواس والانتباه إلى ظاهرة معينة، بهدف كشف صفاتها وخصائصها والوصول إلى اكتساب معارف جديدة عن تلك الظاهرة"³، وقد شاركنا في انتخابات مجلس إدارة الصندوق الجهوي للتعاون الفلاحي بولاية الجلفة (أفريل 2016) كما تابعنا الانتخابات المتعلقة باختيار أعضاء مجلس الأمة من بين المنتخبين المحليين وتمت متابعة مجريات العملية بجميع مراحلها، وقد لفت انتباهنا دعوات للتعصب العرشي

1- العربي بلقاسم فرحاتي، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2012، ص:296

2 - أبو النجا محمد العمري، الخطوات المنهجية في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص:177.

3 - عبد الباسط محمد الحسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، مصر، 1976، ص:233.

ووجود ممارسات خفية وعلنية تشير إلى استمرار ظاهرة العروشية كعامل أساسي وفعال في الانتخابات.

2.2. (ب) - **المقابلة:** تعتبر المقابلة واحدة من أهم تقنيات جمع البيانات المتعلقة باتجاهات الأفراد ومواقفهم ومشاعرهم، كما تمكن من رصد معلومات إضافية عن أحداث ماضية وتسهم في تفسير سلوك الأفراد وتكشف عن مبرراتها، لذلك شبه الباحث **محمد الجوهري** المقابلة الحرة "بحملة الصيد وذلك لأن الباحث الاجتماعي يجريها للحصول على بيانات عن موضوع لا يعرف عنه إلا القليل، ومن ثم فإنه لا يستطيع أن يسأل أسئلة مغلقة أو مقننة، فيستخدم الباحث هذه الأداة أيضا للحصول على تفاصيل أكثر لا يمكن الحصول عليها من خلال أسئلة الاستبيان المعتادة"¹ استعملنا في دراستنا لموضوع العروشية تقنية المقابلة الحرة، وذلك لكونها تقنية تسمح بمواجهة بعض الأفراد الفاعلين في المجتمع كالشخصيات السياسية والأعيان والذين لديهم وقع وتأثير في الحياة المجتمعية بشتى مجالاتها، وللتعرف على مدى رتبة الظاهرة واستمراريتها أو انقطاعها، فمقابلة هؤلاء وجها لوجه سمح بجمع بعض المعلومات الدقيقة والتاريخية كما سمحت المقابلة بتحديد المواقف بشكل دقيق من خلال رصد التعبيرات المختلفة الصادرة عن ملامح الوجه وطريقة التعبير والألفاظ المستخدمة اكتشاف موقف المبحوث وجدية تصريحاته.

لقد تمت مقابلات مع بعض الأعيان ومسؤولين سابقين وأعضاء منتخبيين في الولاية والبلديات، وهي مقابلات حرة حصلنا من خلالها على معلومات حول تاريخ المنطقة القبلي وكشفنا عن نمط العلاقات الاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة بين القبائل قديما، وقد كان لهذه المقابلات دور كبير في الدراسة الاستطلاعية وتوسيع آفاق الدراسة، وقد خلصت المقابلات إلى بعض النقاط منها:

1- محمد الجوهري وعبدالله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي ط:05، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008، ص:121

- أن التركيبة السكانية الحالية للمنطقة حسب الروايات تنتمي إلى قبائل لها وجود قديم يصل إلى أكثر من 10 قرون، وهي قبائل عربية قادمة من المشرق أهمها الهلاليين والأدارسة (الأشراف).

- هذه القبائل رغم ما حدث بينها من صراع وخلاف حول الموارد فقد لعب الدين الإسلامي دورا أساسيا في التآليف بينها وبين القبائل الأمازيغية وتمكينها من بناء مجتمع متماسك، من خلال نشاط الأئمة وعلماء الدين الذين عادة ما يتم اللجوء إليهم في درء الفتن وحل الخلافات كمسائل الديات والمواريث والمشكلات الاجتماعية المستجدة بين القبائل وداخل كل قبيلة.

- عمل الوجود الاستعماري على تفكيك البنى القبلية التقليدية منذ البداية ونجح إلى حد كبير في هدم القبيلة من ناحية الهياكل، ولكن في نفس الوقت كان الاستعمار عامل توحيد لأفراد المجتمع بجمعهم صفا واحدا لمقاومته، وساهم في ترسيخ الوطنية في قلوب وأذهان أفراد المجتمع الجزائري التي سهلت مهمة بناء الدولة وكونت مرجعيتها القوية وحالت دون رجوع القبائل الجزائرية إلى الصراع التقليدي.

- أبوية الأسرة وهرمية السلطة في النظام القبلي والأسري جعلت المجتمع يعيش الاستقرار بفضل ما ينشأ عن هذا النظام من ضبط وتنشئة وتوعية على احترام القوانين والأعراف الهادفة للضبط الاجتماعي وضمان حقوق الأفراد والجماعات.

- أكد البعض على محافظة جيل الثورة على القيم التقليدية والخصوصيات الثقافية والدينية وتبجيلها ونقلها لجيل الاستقلال من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وساهم في الضبط الاجتماعي بحماية المكتسبات الروحية للدين والثورة وتعزيز قيم الوطنية، وحسب رأيهم فقد بدأت تلك القيم تفقد أهميتها وأولويتها عند الجيل الجديد بإعادة انبعاث القبلية من جديد.

- عدم الرضا لدى كبار السن على ما آلت إليه الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمجتمع كتخلي الأسرة على عاداتها واستبدالها بعادات جديدة مستوردة من الغرب والشرق والتخلي عن تنشئة الأبناء الموافقة للمبادئ والقيم التقليدية والدينية التي نشأ عنها الآباء والأمهات كالحياء والجمعية والبساطة والتضحية، وفقدان روح الجماعة التدريجي.

- أشاد البعض بالدور الايجابي للعروشية على اعتبار أن النظام العرشي هو الذي شكل هوية وبنية المجتمع المتماسكة وسمح بإخراج المستعمر وصد كثير من مؤامرات التفكيك التي أحيكّت ضد مجتمعنا الجزائري لولا تدخل أعيان العروش ومن أمثلتها رفض الدعوة لإشعال احتجاجات الربيع العربي في الجزائر.

- حسب روايات عينة من مجتمع البحث ومن خلال الملاحظات الميدانية نجد أنّ الممارسات الجماعية المتعلقة بالعروش مازالت حاضرة لكنها بدأت تنقلص في وقتنا الحالي وبقيت تتمظهر في العواطف وبعض الممارسات العلنية أحيانا كالتناصر في بعض الصدامات بين الفئات القبلية، والمتخفية أحيانا أخرى من خلال محاولة كل مجموعة قبلية البحث عن موضع قدم لها في السلطة بالتقرب من مصادر صنع القرار والتنافس على المناصب، كما تأخذ عادة طابعا مناسباتيا وتتركز أكثر في المجال السياسي خاصة في الانتخابات المحلية.

- يرى الكثير من المبحوثين أنّ حضور العروشية أصبح واضحا وملفتا في المجال السياسي لاستثارتها من طرف بعض الانتهازيين والسماصرة السياسيين لقضاء مصالحهم، فهي تشكل ثقافة فرعية تبرز التعصّب لأبناء العرش أو الجهة على حساب بقية أفراد المجتمع من حيث جلب المنافع ودفع المضار وخاصة في الأوساط المنغلقة، وبذلك تمثل عائقا أمام تطبيق قوانين الدولة الحديثة ذات الصبغة العمومية، وتمنع تحقيق تكافؤ الفرص وتحول دون انتهاج الديمقراطية والعدالة الاجتماعية كمبادئ وقواعد اجتماعية الأجدر أن

تطبق في العلاقات الرسمية، ودون التخلّص من تلك الرواسب الثقافية المذكورة لا يمكن تحقيق دولة ديمقراطية.

- تتمثل وظيفة التنشئة الاجتماعية في نقل الموروث الثقافي بين الأجيال وهي من أقوى الوسائل المساهمة في استمرارية وإعادة إنتاج ظاهرة العروشية في المجتمع الحديث وما زاد من رتابة الظاهرة التوقع وبطء التغيير في النشاطات الثقافية التي لا تهتم إلا بالماضي وفي النشاط الاقتصادي غير المتطور والمعتمد على الرعي والزراعة وعدم تطور أساليب ووسائل الإنتاج .

- أصبح تداول الرموز العرشية وممارسة التعصب العرشي مرتبط أكثر بالمناسبات الانتخابية، وكلما كانت الانتخابات محلية اشتد وقعها ويقل التنافس والصراع العرشي في حالة الانتخابات الولائية والبرلمانية.

2.2.ج)- الاستثمار: وهي الأداة الثالثة التي استخدمناها لدراسة هذا الموضوع وتتمثل في صحيفة الاستبيان، والاستبيان: "عبارة عن مجموعة من الأسئلة تعد إعدادا محددًا وترسل عن طريق البريد أو تسلّم إلى الأشخاص المختارين لتسجيل إجاباتهم على الأسئلة الواردة ثمّ إعادتها ثانية"¹، ويتم عن طريقها جمع البيانات التي تعالج إحصائياً من أجل اختبار مدى صحة الفرضيات المطروحة.

اعتمدنا على تقنية الاستثمار وحرصنا في بعض الحالات على دعمها بمقابلة المبحوث للتأكد من فهمه للأسئلة وتحفيزه على الإجابة الموضوعية، إضافة إلى تمكيننا من الحصول على معلومات إضافية وتسجيلنا لملاحظات جديدة. يرى الفوال أنّ "الاستثمار من أهم وسائل الاتصال الأساسية المنتقاة والمصمّمة بطريقة تهدف بالدرجة الأولى للحصول على معلومات يرى الباحث أنها ضرورية

1- محمد شفيق، البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص115

لتحقيق فروض بحثه¹، وقد تم تقسيم الاستمارة إلى محاور، أولها محور البيانات الشخصية، أما المحور الثاني فشمل أسئلة حول الفرضية الأولى المتمثلة في الممارسات الاجتماعية والثقافية ذات الطابع العرشي التي تميز مجتمع البحث والمحور الثالث يضم أسئلة الفرضية الثانية والمتمثلة في الممارسات السياسية وتأثرها بعامل العروشية، بعد جمع الاستمارات من طرف المبحوثين عزلنا بعضا منها لعدم إتمام الإجابات وبعضها لم تسترجع، وحصلنا في الخير على 160 استبيان كامل.

2.2.2(د) - الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة: استخدمنا برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistikal package for social sciences) spss18 في تحليل البيانات والذي يوظف أساليب إحصائية منها التكرارات والنسب المئوية لوصف عينة البحث، وتطبيق قوانين التشتت والنزعة المركزية، إضافة إلى عرض المعطيات الميدانية في شكل رسومات بيانية تساعد الباحث على التحليل وسنقتصر في بحثنا على:

- الجداول البسيطة لوصف الظاهرة وخصائص العينة.

- جداول التقاطع لعرض المعطيات الميدانية في شكل قيم كمية تسمح بالوصف والتحليل وتبين العلاقة بين المتغيرات.

2.2.2(هـ) - الوثائق والسجلات: لقد استعنا في بحثنا على بعض الإحصائيات الخاصة بسكان ولاية الجلفة في الريف والحضر ومساحات الأرض الرعوية والزراعية، فضلا عن استعمال بعض الوثائق المتعلقة بنتائج الانتخابات والقوائم الانتخابية التي أفادتنا في جمع معلومات رسمية لها وزنها في التحقيق الميداني

1 - صلاح مصطفى الفوال، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ب ت، ص 305

حيث تدعم إجابات المبحوثين على أسئلة المقابلة والاستبيان وتسهم في تعميق التحليل السوسولوجي ودقة نتائجه.

3- صعوبات الدراسة:

كأي بحث اجتماعي لا يخلوا بحث من صعوبات ومن أهمها:

- الانشغالات الاجتماعية والارتباطات المهنية للباحث تسببت في تباطؤ وتيرة العمل فاستغرق وقت أطول.

- طبيعة الموضوع فالممارسات العرشية مرتبطة بثقافة الكتمان، فالكثير من المبحوثين يعتبر الظاهرة مجال مغلق قد يمارسها ويدعوا لممارستها بشكل متخفي ولا يعلنها إلا في مجالات ضيقة لكون التعصب للعرش أو المنطقه منافيا للقيم الوطنية ومبادئ الدين الإسلامي.

- قلة المراجع والدراسات السابقة التي تعرضت لموضوع العرشية وخاصة في علاقته بالتنشئة الاجتماعية والتي تنعكس على الوعي والسلوك السياسي.

- عائق التحفظ عند بعض المبحوثين ولا سيما الفاعلين في السياسة ورفض الإجابة عن بعض أسئلة الباحث نظرا لحساسية موضوع البحث وخصوصيته.

الخلاصة:

تلخصت الإجراءات العملية في المجالات الزمكانية والبشرية للدراسة والأدوات التقنيات المنهجية، وهذه الدراسة التي بدأت العمل عليها في سنة 2013 وقد اقتصر العمل الميداني على مجتمع ولاية الجلفة، هذه المنطقة التي تتوسط الجزائر من الناحية الجغرافية وتشكل نقطة تقاطع بين المناطق الشمالية والجنوب وبين الشرق والغرب وبذلك اكتسبت كثير من السمات العامة للمجتمع الجزائري بسبب تأثرها بالبيئة المحيطة، ارتبطت بالتحوّل الذي تشهده الساحة السياسية في المجتمعات العربية وما أنتجته من تغيرات مست البنية الفكرية للفرد في المجتمعات العربية ومنها المجتمع الجزائري، فلم يبقى الفرد متعلق كما في الماضي بالصور التي تملئها عليه وسائل الإعلام الرسمية بل فتحت أمامه مصادر متعددة للتثقيف والمعرفة مما جعلته يبني مواقفه انطلاقاً من الكم المعلوماتي الذي يتلقاه ومن الجهة التي تصدرها، لهذه الأسباب عمدنا إلى استخدام مجموعة من التقنيات والمنهجيات لتفادي الوقوع في التناقضات، لأن من الواضح أن الأحداث المتجددة يومياً وخلفياتها تؤثر على تطور المواقف أو تناقضها في بعض الأحيان، ومن هذه التقنيات المقابلات والاستبيان والملاحظة وتحليل الوثائق وكلها تصب في هدف واحد وهو وصف الممارسات الاجتماعية والثقافية التي يتصف بها مجتمع البحث، وتحديد مدى تأثيرها على السلوك السياسي، اعتماداً على عينة مشكلة من 160 فرداً إضافة إلى جلسات المقابلة مع بعض الشخصيات والأعيان، ولقد عرفت عينة الاستبيان تنوعاً من حيث المستوى التعليمي والمهن والسن والجنس ونوعية الأسرة، فخصائص العينة تنطبق على خصائص مجتمع البحث لنتحري الدقة قدر الإمكان.

الفصل الخامس

تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على المؤسسات الرسمية

تمهيد:

1- الممارسات الاجتماعية وأثرها في إعادة إنتاج العرش.

أ- التوزيع المجالي والعلاقات القرابية ب- تطبيق القانون العرفي

ج- الاقتصاد تقليدي د- التمسك بالأرض العرشية

هـ- السلطة الأبوية

2- الممارسات الثقافية ودورها في تكوين الوعي القبلي.

1- التنشئة الاجتماعية التقليدية

2- إقامة الاحتفالات الخاصة بالعرش

3- استعمال الرموز المتعلقة بالعرش

3- الممارسات العرشية وعلاقتها بالممارسة السياسية

1- العلاقة التاريخية للقبيلة بالممارسة السياسية

2- الممارسة العرشية والأحزاب السياسية

4- تحليل نتائج الفرضية الأولى

الفصل الخامس: تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على المؤسسات الرسمية

تمهيد: لا شك أن الممارسة هي سلوك هادف ومستمر من طرف مجموعة من الأفراد بشكل متكرر بحيث تكون صادرة عن قناعة ووعي متفق عليه داخل التنظيم الاجتماعي تكتسي طابعا ثقافيا متميزا، ويتم اكتساب ونقل الممارسات الاجتماعية الثقافية ومبرراتها كتراث شعبي عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية من جيل إلى جيل بآليات الضبط والتلقين والتقليد عبر الروايات والرموز والأمثال والحكم، للمحافظة على الخصوصية والاستقرار الاجتماعي.

1- الممارسات الاجتماعية وأثرها في إعادة إنتاج العرش:

1.1- التوزيع المجالي والعلاقات القرابية:

بالرغم من التطور الحاصل في مختلف مجالات الحياة، والحراك الاجتماعي الذي تتطلبه الحياة العصرية، فالملاحظ أن غالبية المدن مازالت تحافظ على بنيتها الاجتماعية التقليدية فبعض بلديات ولاية الجلفة يقطنها عرش واحد يمثل غالبية مجموع السكان فعلى سبيل المثال بلدية القديد لأولاد أم هاني والشارف للعبازيز والزعفران لأولاد سي أحمد والفيض لمخوة وبن يعقوب لأولاد يونس الصحاري، ومسعد لأولاد عيسى وعين وسارة لأولاد رحمان... وهكذا، مع أن بعض البلديات مختلطة مثل بلدية الادريسية ودار الشيوخ، والملاحظ كذلك أن بعض أحياء مركز الولاية أي مدينة الجلفة يميزها عرش محدد، حيث تُعرف القرية لأولاد عبيدالله وحي بن سعيد للعبازيز وحي بوتريفيس لأولاد عيسى... وهكذا، في حين أن بعض الأحياء مختلطة وخاصة منها الحديثة كحي الحدائق والجلفة الجديدة غيرها، فمن سؤال طرحناه حول تواجد أحياء أو جهات خاصة بقبيلة أو عشيرة أفراد العينة حصلنا على البيانات المسجلة في الجدول التالي:

12- جدول رقم(12): يبين وجود حي أو جهة خاصة بأقارب أفراد عينة البحث:

النسبة المئوية	التكرار	حي خاص بالأقارب
70,6%	113	نعم
29,4%	47	لا
100,0%	160	المجموع

يتبين من خلال الجدول أن أقارب أفراد العينة يتوزعون مجاليا حسب نسبهم فلكل مجموعة قرابية أو عشيرة أو قبيلة جهة خاصة بهم، وهم يمثلون نسبة 70,6% من أفراد العينة هذه التجمعات المغلقة تكرر مبدأ العروشية والجهوية، وتشحن خاصة عندما يجتمع أفرادها في المناسبات وتؤجج العواطف أين تطرح المشكلات بشكل جماعي ويسعى كل عضو إلى استعمال كل طاقاته إمكانياته لحل المشكلات وترقية المنطقة وخدمة أبنائها فيزداد الشعور بالانتماء الخاص للمكان وللنسب على حساب الانتماء العام للوطن والشعب.

الملاحظ في بعض المناسبات كالعيدين مثلا تفرغ بعض الأحياء الشعبية في مدينة الجلفة من ساكنيها حيث تتوجه العائلات إلى مناطقها الأصلية في القرى والأرياف أين يجتمع أبناء العرش في مناسبات الأفراح والأقراح، لأن لكل عرش منطقته الأصلية في الأرياف والبلديات حيث تمثل نقطة تواصل تعيد إنتاجه من خلال الزيارات الدورية واختلاط العائلات ذات النسب الواحد في المنطقة المشتركة والمساهمة في إقامة الاحتفالات والوعدات، ومن جهة أخرى فإن للحياة الآخرة دور في إنعاش التنظيم العرشي وإعادة إنتاجه من خلال التواصل بذوي الأرحام والإحسان إليهم وحضور الأفراح والعزاء فالبعض لديهم مقبرة خاصة بالعرش مما يفضي على المناسبة طابعا تضامنيا رمزيا بين

أبناء العرش، أمام الضيوف من الأعراس الأخرى، والجدول التالي يبرز نسبة تواصل وتضامن أفراد العينة.

13- جدول رقم(13): يبين تواصل عائلات أفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	التواصل الاجتماعي
98,1 %	157	نعم
1,9 %	03	لا
100,0 %	160	المجموع

تواصل العائلات سلوك طبيعي عرفته المجتمعات العربية، وأوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، فعند لقاء فردين منتميان لمنطقة واحدة أو قرابة لا يلبثا حتى يسأل كل منهما الآخر عن أحواله وأحوال عائلته وأبويه وهي قيمة اجتماعية تنمي العواطف والمودة بين أفراد المجتمع معتمدين على مبدأ الانتماء للمكان أو النسب، فنسبة 98,1 % ماهي إلا دليل على تواصل عائلات القرابة وتماسك المجتمع، وهذا التواصل بين الأقارب يساهم في تنشئة الأبناء عند احتكاكهم بذويهم "يفرض نظام القرابة مشاركة كل أفراد العائلة من إخوة وأعمام وأجداد وأقارب في تربية وتوجيه الأطفال وفق المنظومة القيمية التي تشمل المحرمات والمسموحات والمعايير الموروثة والمنقولة عبر الأجيال المتعاقبة"¹ وقد تحدث الفرقة والتقاطع حينما يتأخر أحدهم عن واجب التواصل في حالة مرض قريبه أو غيابه مدة أو عند حصول حادث، فيلزمه بالحضور والتواصل معه ومعاونته.

تعتبر الخيمة رمزا للحياة البدوية المعتمدة على الترحال والتي عرفها سكان ولاية الجلفة الذين استقروا بعد ترحال آبائهم وأجدادهم قرونا عديدة مستعملين الخيمة، هذا الاستقرار

1- عمر عبداللوي، التنشئة الأسرية والاستهلاك القبلي للمسجد، منشورات الشروق للأخبار والمعلومات والطباعة، الجلفة، الجزائر، 2016ص:83

جعل الخيمة تتعرض للانقراض، فلا تكاد ترى الخيمة في وقتنا الحالي إلا في بعض المناسبات العائلية أو الرسمية بعد أن كانت في القرن الماضي تمثل نوع المسكن السائد في المنطقة، وكانت تمثل رمزا للعرش في المغرب العربي على اعتبار أن لون القطعة (الفليج) وهو وحدة تركيب الخيمة يعبر عن الانتماء إلى العرش أو الحلف في السلم والحرب، ففي منطقة الجلفة يسود لونين حسب الانتماء للعرش أو الحلف، وهما البيت الحمراء والبيت الكحلة (سوداء)، ومن جهة أخرى تعبر الخيمة على مكانة العائلة ومستواها الاقتصادي من خلال حجمها والمساحة التي تشغلها فتظهر البيت الكبيرة من بعيد وهي رمز الكرم حيث يقصدها الضيف وعابر السبيل، يقول المثل الشعبي: "القاصد يقصد البيت الكبيرة، إذا ما تعشاً بيات للدفا"¹ أما الخيمة الصغيرة فتسمى (العشة) وتكتفي بها العائلات الفقيرة والرعاة والأسر حديثة النشأة وتبنى عادة بالقرب من البيت الكبيرة وقد كانت الخيم تبنى في مجموعات بشكل هلال إلى وقت قريب، وكل مجموعة تدعى (سماط) تتشكل من خيام مسكونة منها واحدة للضيافة تدعى (بيت الزمل)، هذه المجموعات تنتشر في منطقة محددة تدافع عنها وفي مجملها كانت تدعى (النزلة) ويرأسها شيخ يدعى شيخ النزلة²، وفي الوقت الحالي بقيت عند البدو فقط واستبدلها بعضهم بخيام المصنع كما استبدل الإبل بالشاحنة، أما المستقرون فقد تخلو عن الخيام وبنو مساكن ريفية وأعانتهم الدولة في ذلك.

والملاحظ في بعض المدن تجاور الأقارب في المسكن وخاصة في الأحياء العشوائية، فكل فرد يسعى ليكون ضمن مجموعة قرابية يستند إليها حينما يكون في حاجة للإعانة، ومن جهة أخرى يكون بيته وعائلته محروسة من طرف أقاربه، وهذا الجدول يبين مدى التضامن في مجتمع أفراد العينة.

1 - وتعني الكرم، (إذا لم يحصل على الأكل فإنه سيحصل على الأمن و الدفاع)

2- مجموعة من الخيام، كانت منتشرة حتى بداية سبعينات القرن الماضي في منطقة الجلفة.

14- الجدول رقم(14): يبين التضامن بين أبناء القبيلة عند أفراد العينة:

التضامن	التكرار	النسبة المئوية
بالمال	33	20,6%
بالجهد	12	7,5%
بالكل	109	68,1%
لا تضامن	6	3,8%
المجموع	160	100,0%

يتضح من خلال قراءة الجدول أن نسبة 68,1% من أفراد العينة يحددون نوع التضامن بين الأفراد والعائلات بكل الأشكال، أي بالمال والجهد، فهو تضامن لا محدود يعبر عن التكافل والتماسك الشديد والاندماج الاجتماعي، وهذه من حسنات النظام العرشي الذي يكفل اليتيم والأرملة والشيوخ باعتماده على القوانين العرفية كالملكية المشاعة للأرض وبفضل قوة البناء الاجتماعي ووظيفة الأسرة التي رغم تفكك هيكلها لم تفقد بعد وظائفها ومسؤولياتها في مجتمعنا، والتضامن لا يقتصر على العائلة فقط بل يكون في الأسواق كما ذكرنا وفي الشارع والمسجد وغيرها من الفضاءات الاجتماعية، وسجلنا نسبة 20,6% من المبحوثين يرون أن التضامن يحصل بالمال، فالمال هو عصب الحياة و به تتوفر الاحتياجات، ونرى ذلك في سلوكيات الأفراد حينما يهبون لمساعدة المرضى والمحتاجين بجمع أموال طائلة في وقت قصير، كما سجلنا نسبة 7,5% من أفراد العينة الذين يرون أن التضامن يتم بالجهد وذلك يتوقف على قدرة الشخص ووقته، وكل أشكال التضامن تعود إلى التنشئة الاجتماعية القاعدية التي تدفع الفرد إلى مساعدة ومؤازرة المحتاجين وخاصة الأقارب منهم، والذي يعين على نمو التضامن اختلاط العائلات ومعايير الزواج، فالوسط التقليدي يتميز بالزواج الداخلي وهو ما سنكشف عنه في مجتمع البحث.

15- الجدول رقم(15): يبين معيار الزواج عند أفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	معيار الزواج
13,1%	21	المستوى الدراسي
1,9%	3	المستوى المادي
85%	136	النسب
100,0%	160	المجموع

يوضح الجدول أن معيار الزواج معتمد على معيار النسب بالدرجة الأولى حيث سجل نسبة 85% من أفراد العينة اعتمادهم عليه في اختيار القرين سواء كان رجل أو امرأة، لأن الزواج في مجتمع ولاية الجلفة هو علاقة بين عائلتين وليس بين فردين، وعندما تحدث المصاهرة يكون التواصل والتضامن وجبا بين العائلتين، أما النسبة الثانية فتمثل اختيار المستوى الدراسي بنسبة 13,1% كمعيار للزواج وهذا يشير إلى التغير والتطور الحاصل في المجتمع، فالمستوى الدراسي يحدد كفاءة الفرد ومكانته ودرجته في التراتب الاجتماعي فقد أصبح معيار النسب لا يكفي لوحده بل يتطلب معيارا ثانيا وهو توافق الزوجين في المستوى الدراسي وخاصة بعد انتشار الجامعات وشيوع عمل المرأة، كما أن مراحل الزواج كانت تقتصر على الأولياء في العائلتين فأصبحت اليوم تقتصر على توافق الزوجين بالدرجة الأولى وهو ما يفسر لجوء البعض للزواج من الأبعاد في النسب والمنطقة وهم يمثلون نسبة 28,1%.

1.ب)- تطبيق القانون العرفي: يعتبر العرف ظاهرة قديمة قدم الأعراس التي سكنت المنطقة وتفاعلت مع بعضها ويمثل مجموع القوانين التي تحكم العلاقات بينها في السلم والحرب وهي سارية المفعول إلى يومنا هذا في مجتمع ولاية الجلفة، ومن أمثلة القوانين العرفية دية القتل الخطأ وهي حسب العرف في وقتنا الحالي مقدرة ب: 250000,00 دج

للفرد الواحد، و يتم الفصل بين المتخاصمين استنادا للعرف عن طريق الاحتكام إلى الجماعة سواء كانت الخصومة بين فردين أو عائلتين أو عشيرتين وعادة ما تكون موثقة بشهادة شهود ضمن وثائق عرفية وفي أحيان كثيرة يدعم هذا التشريع التقليدي بالنص الديني، كما تحدد القوانين العرفية بعض العلاقات من حيث الحقوق والواجبات فأعضاء الجماعة يلتزمون كلهم بالعرف السائد فيقال (ندير كيما ندير الناس) في مجالات متعددة كالزواج والبيع والشراء والتشارك والدين والأسعار المتعلقة بالأجور والمهور والفلاحة حيث لا يمكن لفرد أو جماعة أن يسعر أو يبدع دون الرجوع لكبار العرش، ذلك أن القانون العرفي يجسد سلطة الجماعة وأداة ضرورية للضبط الاجتماعي، وهذا الجدول يوضح ولاء الفرد للعرف.

16- الجدول رقم(16): يبين أولوية القانون أو العرف للمبحوثين:

الأولوية للعرف أو القانون	التكرار	النسبة المئوية
العرف	125	78,1%
القانون	35	21,9%
المجموع	160	100,0%

عادة ما تتعاون السلطة الاجتماعية والدينية وتقوم مقام مؤسسة القضاء فالمشكلات العائلية وفي السوق ومشكلات الإرث والأرض العروشية تعرض أولا على الجماعة للبت فيها وإن لم يرضخ الطرفين للحل تعرض القضية على القانون فجل القضايا والخلافات تحل على مستوى الجماعة وهذا ما أكدته 78,1% من المبحوثين، فالسوق الأسبوعية وخاصة المواشي لا تخضع معاملاتها إلا للقانون العرفي، كما أن غالبية المشكلات العائلية وحرصا من العائلة على خروج أسرارها يتم حلها عن طريق الجماعة حيث يتدخل الأعيان والأئمة فنجد الطلاق يتم بالتراضي ولا يبقى للمحكمة سوى المصادقة، وتوارث

العقارات والأراضي وبيعها كثيرا ما يتم بمصادقة الجماعة وإمام المسجد على وثيقة عرفية، وتمثل نسبة 21,9% من أفراد العينة الذين يرون أسبقية القانون وهي نسبة معتبرة تدل على بداية توجه المجتمع نحو الاحتكام لمؤسسات الدولة التي تخضع للقانون. القانون العرفي ينال شرعيته بدعم من السلطة الدينية التي يمثلها إمام المسجد أو شيخ زاوية أو معلم قرءان (الطالب) بالإشراف على توثيقه وصياغته وفق التشريعات والنصوص الدينية، وقد تتنوع أحكامه ودرجتها من عرش لآخر حسب الظروف الاجتماعية ومعطيات البيئة الطبيعية، وتكمن إلزامية هاته الأحكام في كون الخروج عن العرف يعتبر فضيحة اجتماعية تعرّض مرتكبيها للتهميش والسخرية وتكلفه نزول مكانته الاجتماعية، فالعرف في الوسط التقليدي العرشي يلزم الفرد بالاستعداد الدائم لخدمة عرشه واستغلال كل ما يملك من مال أو منصب لتحقيق حاجياتهم ويشعر بالمسؤولية تجاههم وهذا الجدول يبرز هذا الشعور.

17- الجدول رقم (17): يبين شعور أفراد العينة بالمسؤولية تجاه أبناء العشيرة:

النسبة المئوية	التكرار	الشعور بالمسؤولية
85,0%	136	نعم
15,0%	24	لا
100,0%	160	المجموع

يبين الجدول أن نسبة 85,0% من أفراد العينة يشعرون بالمسؤولية تجاه عشيرتهم وأبنائها ويسهرون على تحقيق احتياجاتهم، فعند زيارة قريب لقريبه الموظف في مؤسسته يبادر الموظف تلقائيا بعرض خدماته على قريبه بتعبير الضيافة والكرم (البيت بيتك، نحن في خدمتك، واش تستحق نقد مولك...) دون تقديم هذه اللباقة للجميع، كما أنه قد يستعمل منصبه وعلاقاته في تحقيق الاحتياجات في مؤسسات أخرى، فالعرش أو المنطقة التي

تملك المسؤولين ينعم أفرادها بقضاء مصالحهم دون عناء تحت عنوان (المعريفة، لكتاف الرجالة....)، فكل قبيلة لديها رأسمال من هذا النوع يحدد امتدادها في المؤسسات ودواليب السلطة وقدرتها على اختراق المؤسسات والقوانين وتكييفها لتحقيق أهدافها ومصحة أفرادها، بالتالي يتكرس العرف وتقل قيمة القانون الوضعي ويشتد الانتماء العرشي ويقل الانتماء الوطني وتعلوا عند الفرد المصلحة الخاصة بالعرش أو الجهة وتصبح أولوية على حساب المصلحة العامة، هذه القواعد تجعل من الفرد مهما كانت مسؤوليته ومستواه يركن للجماعة الأولية والانتماء العرشي ويعمل وفق منظومة العروشية والجهوية، لأن أصدق العلاقات في هذا الوسط هي العلاقة المبنية على النسب وأقوى الروابط هي رابطة الدم .

18- الجدول رقم(18): اعتقاد أفراد العينة بمؤازرة أبناء العشيرة لهم

الاعتقاد بالمؤازرة	التكرار	النسبة المئوية
بقوة	118	73,8%
قليلا	39	24,4%
لا تضن	3	1,9%
المجموع	160	100,0%

يوضّح الجدول العلاقة بين أفراد المجتمع فكل فرد يعتقد بوجود مؤازرة ومساندة ومناصرة من طرف أبناء عشيرته أو قبيلته أو منطقته وهم يمثلون نسبة 73,8% من أفراد العينة، هذا الاعتقاد في نفس الوقت يجبر كل واحد من هذا المجتمع على الاستعداد التام لمؤازرة أقاربه بكل الوسائل حتى ولو تجاوز القوانين، ومن صور التآزر التضامن والتناصر وظاهرة الثأر التي مازالت مستمرة في مجتمعنا.

تطالعنا وسائل الإعلام في موسم الحرث عادة بأخبار عن حدوث صراعات دامية بين المجموعات القبلية، ففي خريف سنة 2012 حدث خصام بين فردين في بلدية بن يعقوب أسفر على سقوط أحدهما قتيلا، في اليوم الموالي وفي بلدية الجلفة تعرّض أحد أقارب القاتل للضرب والجرح من طرف جاره الذي ثأر لابن عرشه قبل أن يعرف الضحية أصلا بحادثة القتل، وفي خريف سنة 2014 كان أحد الأفراد مستأجرا سيارة للذهاب إلى بلدية دار الشيوخ وفي الطريق بينما كان السائق والمستأجر يتبادلون الحديث، فإذا بهم يمرّون على منطقة ريفية يجري فيها شجار بين عشيرتين ومن الصدفة أن السائق والمستأجر ينتمي كل منهما لعشيرة، وبسرعة نشب بينهما شجار أسفر عن جرح وكدم بعضهما وتحطيم السيارة، وأمثلة أخرى كثيرة عن ظاهرة الثأر لا يتسع المجال لسردها تمثل نسبة 24,4% الأفراد الذين يعتقدون بموازرة قليلة من طرف أقاربهم وهذا قد يرجع إلى طبيعة التواصل والتضامن بينهم، فمن قلل الاتصال بذويه يقل اعتقاده بوقوفهم معه في الأزمات والملمات، وقد يصل الهجر إلى قطع الصلة بالأقارب كلية فلا يتوقع الفاعل أي نصرّة ولا مؤازرة من أحد وهو ما يثبتته 1,9% لأن علاقة التآزر تبادلية في الأصل رغم أن في بعض الأحيان والمصادفة يجد من يسنده في الضيق بدعوى "(النيف)" التي تفرض الدفاع عنه نصرّة لرمزية العرش، لأن الفكرة التي يدرك بها الفرد طبيعة انتسابه للعرش تترجم مواقفه وسلوكاته تجاه أبناء العرش أو الفئات الأخرى.

1.ج) - طبيعة النشاط الاقتصادي: يعتبر النشاط الاقتصادي عصب الحياة الاجتماعية وبدونه تفقد الوحدات الاجتماعية كيانها لهذا تسعى كل مجموعة اجتماعية إلى ضمان الاستقلال الاقتصادي والاعتماد على مقدراتها حتى تحفظ سيادتها، بإتباعها لقواعد الحياة الجماعية المتميزة بالتعاون (التوزيع) في جني المحاصيل الزراعية وجز الصوف وجمع الحطب والحرث وغيرها، وقد مثلت العقبة والجدار المنيع في وجه المستعمر فالاقتصاد العائلي مثلا حفظ عزّة وقوّة المجتمع الجزائري طوال الوجود الاستعماري وكان السوق

الأسبوعي أحد ركائز الاقتصاد التقليدي المحلي، فلكل منطقة أو بلدية من ولاية الجلفة يوم محدد يقام فيه سوقها الأسبوعية، يقصدها التجار من داخل الولاية ومن خارجها، وبذلك ينتقل التاجر بين بلديات الولاية كل يوم، وأكثرها أهمية وكثافة هو سوق الماشية التي تتمحور حولها جميع الأنشطة الاقتصادية في المنطقة حيث تدر تجارة المواشي أرباحا طائلة على الموالين ، يقول "إدمون دوتيه" " أن الحياة التقليدية تجري تقريبا في السوق الأسبوعي ففي السوق يلتقي الأهالي الذين لا يقضون حاجياتهم الاقتصادية أي يبيعون ويشتررون فحسب، وإنما يكون السوق بالنسبة إليهم المحل الذي يتم فيه تبادل الأخبار السياسية، وتصدر فيه الأوامر والسلط ، ففي السوق يتكون الرأي العام وتتخذ القرارات فيما يخص الحرب والسلم"¹ و يوضح الجدول التالي أمثلة عن هذه الأسواق:

19- جدول رقم(19): يبين توزيع الأسواق في بلديات الولاية خلال أيام الأسبوع:

اليوم سوق الماشية	البلدية	اليوم سوق الماشية	البلدية
الاثنين	الجلفة	الخميس	حاسي ببح
الثلاثاء	الشارف، مسعد	السبت	دار الشيوخ، الزعفران
الأربعاء	الإدريسية (زينة)	الأحد	عين الإبل، القديد

هذه الأسواق تكتظ بالمواشي والسلع الاستهلاكية والأدوات التقليدية والحديثة، وكل عرش يعتبر عمار سوقه ضيوفا عنده يستوجب عليه أمنهم وأمن سلعهم. ومع كون السوق فضاء اقتصادي فهو لا يخلو من نشاطات متعددة ومنسجمة مع الحياة التقليدية منها كونه فسحة للسياحة ومجال للطب الشعبي ووسطا للتعارف والتضامن ومكان عزم العقود والعهود ومنبرا إعلاميا ثقافيا حيث يلعب البراح دور الإعلامي والمداح دور الفنان المبدع في الرواية والشعر والغناء، والسوق مؤسسة للتنشئة

1- رحمة بورقية، مرجع سابق، ص70

الاجتماعية مفتوحة يكتسب فيها الفرد من الخبرات والمهارات ما ينمي معارفه واتجاهاته
وذكائه الاجتماعي.

تخضع جل معاملات أسواق الماشية في الوطن إلى القانون العرفي، وفيها ينعت الفرد
باسم عرشه (نايلي، عبزوزي، صحرأوي، رحمانى، شاوي) حيث يتوقف عن هذا
التصنيف العرشي نمط المعاملة المناسبة (ليونة أو خشونة أو رفض)، ويرجع ذلك إلى
قاعدة مفادها حسب ملاحظتنا أنّ أفراد عرش ما عادة ما يشتركون في بعض السمات
والطبائع يدركها غيرهم وعلى أساسها تتم معاملتهم، لهذا فالثقافة العرشية للفرد تمكنه من
النجاح في تحقيق الربح والابتعاد عن المشاكل، "فالسوك الاقتصادي للفرد لا يعود إلى
ظروفه الاقتصادية فحسب بل إكثيرا ما يجد تفسيره في معتقدات الفرد وعاداته وتقاليده
وتربيته"¹ والجدير بالذكر أنّ العروشية تلعب دورا مهماً في تنظيم السوق والمحافظة على
سيره الحسن والمساهمة في شهرته حتى يقصده التجار الأبعد وتزداد المداخل، فعلى
سبيل المثال في تجارة المواشي يستوجب تعرّف الشاري على البائع (اسمه ونسبه) وقد
يضطر لإحضار أحد كبار التجار من عرشه ليكون ضامنا للسلعة حتى تعاد للبائع إن
كانت مريضة أو مسروقة، وقد يضمن الدين لأجل معيّن إن كان المشتري ينقصه المال،
فإن حدث خلاف تتدخل الجماعة العرشية من الطرفين ويستشهد كل طرف بالعرف
السائد ويجتهد من أجل التسوية لتحسين سمعته فيوصف بالرجولية: "(رجالة ما يروحلكش
عندهم ساننيم)"، وبذلك يشكل السوق معيارا مهماً لسمعة العرش ومصدر ثروة لديه،
وتظهر في السوق مظاهر للتضامن بين أبناء العرش حين يتعرض أحدهم للخسارة
فيجمعون له المال وإن تعرض للاعتداء يجتمعون لنصرتة.

1- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص: 269.

تعتبر السوق الأسبوعية مقرا للتنشئة الاجتماعية وفضاء ثقافي متنوع يتفاعل فيه الإنسان الحضري المستقر مع البدوي المرتحل والتاجر مع مربي الماشية، يتعلم فيه الفرد كثير من المهارات ويتعرف فيه عن موقعه ضمن الخريطة العرشية ويكتشف أهمية العرش بالنسبة للفرد، ويتعلم المواقف وأنماط السلوك المنبثقة عن الثقافة العرشية فيعيد إنتاج العرش من خلال تكرار الممارسات التقليدية الكامنة في طريقة التفاعل ونوعية الألفاظ وأشكال الرموز القبلية، كما يسمح هذا الحقل بملاحظة انسجام ظاهري يخفي صراع كامن في تنافسية عرشية مستمرة مستعملة رساميلها، يفضي ذلك الصراع إلى فرض السيطرة الاجتماعية والثقافية والرمزية من جهة وإلى تكيف الأفراد وتكوينهم ضمن هذا التنوع والتقابل الاجتماعي، فجلّ التحالفات والتناقضات العرشية تتم في إطار هذا الفضاء الاجتماعي الاقتصادي الثقافي السياسي، ومن المعلوم أن كل فرد يكون له إحساس جازم بوقوف أبناء عرشه لآزرته ومناصرته فتجده في هذا الفضاء يعمل حرا عزيزا غنيا معتقدا بوقوف عرشه خلفه فلا يكفي المال في السوق بل يحتاج لرأسمال اجتماعي يسنده.

1.د)- التمسك بالأرض العرشية: تعد الأرض من بين الموارد التي يعتمد عليها الإنسان في حياته اليومية وتحدد مكانته ومستواه المعيشي، فالاقتصاد العائلي الذي انتهجه مجتمعنا شكل نقطة قوة عجز الاستعمار على قهرها، فغالبية أفراد مجتمعنا ذوي أصول ريفية تمكنت من التكيف مع النظام البيئي الصارم الذي يستدعي وضع استراتيجيات والعمل الجاد طوال السنة لضمان العيش، وهو ما جعل الفرد يتمسك بخدمة الأرض التي تمثل مصدرا رزقا متجددا، والملاحظ أنّ الطابع السائد في الأرض المستغلة هو الطابع العرشي فالأرض العرشية تمثل النسبة الأكبر من مساحة ولاية الجلفة، حيث تستغلها العشائر والعائلات على الشيوع، وفي كثير من الأحيان تكون غير مقسمة بينها ويتم توارثها بوثائق عرفية موقعة من طرف كبار الجماعة أو أئمة المساجد، وبما أن وسائل الإنتاج لم تتطور والفلاح يتبع طرق تقليدية في خدمة الأرض فإن مردودها يبقى ضعيفا وخاصة

في المناطق السهبية أين يسود المناخ شبه الصحراوي المتميز بفترات جفاف طويلة التي تقلص من المساحات الفلاحية ومساحات المراعي التي يتوقف عليها أعداد رؤوس الماشية، فإن الفرد في مثل هذه الظروف ورغم سكنه في المدينة يبقى مرتبطا بالريف ويتمسك بانتمائه الاجتماعي ويستثمر علاقاته الاجتماعية في تربية الماشية التي تمثل مصدر عيشه، والجدول التالي يبين تمسك أفراد العينة بالأرض العرشية.

20- جدول رقم(20): يبين امتلاك واستغلال أفراد العينة للأرض العرشية:

النسبة المئوية	التكرار	امتلاك الأرض العروشية واستغلالها
90,0%	144	نعم
10,0%	16	لا
100,0%	160	المجموع

يظهر من خلال هذا الجدول أن 90,0% من أفراد العينة يمتلكون أرض عروشية ويتمسكون بها لأنها تمثل عطية الأجداد ويربطونها بالعرض والشرف، وعليهما تحدث الخصومات والتقاتل، وملكية هذه الأرض مشاعة ووثائقها عرفية ويتم توارثها بشكل آلي ومن أسباب الصراع حول الأرض عدم ضبط الحدود ورسمية الوثائق والخلط بين العرف والقانون واللجوء إلى العنف و قلة الامتثال للقانون المدني والشريعة الإسلامية والاختلاف في توريث المرأة وابن الموروث والقاتل والمهجر وغيرهم، فالأرض العروشية تمثل أحيانا وسيلة للتكامل والتكافل الاجتماعي حيث تستغل بشكل عادل فتعود فائدتها على الجميع مما يزيد اللحمة والتساند بين أفراد الجماعة، وقد تصبح أحيانا أخرى مشكلة خلاف بين الأفراد والجماعات فيوقف استغلالها ويحرم أهلها من إنتاجها، وقد يتطور إلى صراعات دامية تفكك العائلات ويضعف التماسك الاجتماعي، والملاحظ أن حوادث

الشجار والتقاتل بين العائلات والعشائر تكثر عند نزول أمطار الخريف المعلنة عن بداية موسم الحرث فتسيل الدماء متزامنة مع سيلان مياه المطر.

قضايا الخصام حول الأراضي العرشية تكتظ بها مكاتب ورفوف المحكمة، وبالتالي فممارسة الحرث والحصاد كنشاط اقتصادي ينعكس بشكل مباشر على العلاقات الاجتماعية، إن السكن في المناطق الحضرية لا يعني التخلي عن ممارسة النشاطات الفلاحية في الأراضي العرشية، بل بالعكس يزيد الالتزام بخدمتها على الرغم من بعدهم عنها نظرا لإحساس الفرد باقتلعه من أصله حينما يستغلها غيره، وقد ازدادت وتيرة الصراع بين الأفراد والجماعات العرشية بعدما تقلصت مساحات الرعي لسكان الريف الذين يعتبرون أنفسهم أولى باستغلال الأرض ممن هجروها إلى المدن.

1.هـ) - السلطة الأبوية: ونقصد به أبوية النظام الاجتماعي القائم على تحكّم الأب أو الجد الذكر في جميع شؤون العائلة وهيمنته على أنشطتها المختلفة، دون أن يكون لأفرادها من الأبناء أو البنات أو الزوجات القدرة على المعارضة أو مناقشة القرارات الصادرة عن الأب أو الجد، على اعتبار أنهم أقلّ تجربة ودراية بشؤون الحياة، وهو ما يسمح في العائلة بسيطرة الذكور على الإناث والكبار على الصغار، هذا التراتب يخضع الفرد لمن هو أكبر منه ويمنعه من إبداء رأيه حتى في أموره الشخصية كاختيار القرين مثلا وقد يكون هذا سر التماسك داخل القبيلة والعشيرة والأسرة" إن النسب الأبوي للأب (Patrilineaire) يساعد على تفسير تماسك الجماعة في كل المستويات"، النظام مرتبط بنمط الأسرة الممتدة والمركبة التي تميز المجتمع التقليدي وهذا الجدول يبرز لنا مدى استمرار هذا النمط من الأسر.

¹ - جون واترבורي، مرجع سابق، ص:114

21- جدول رقم (21): يبين نظام القيادة في أسرة أفراد العينة:

نظام القيادة	التكرار	النسبة المئوية
أبوي	147	91,8%
أموي	7	4,4%
مشتركة	6	3,8%
المجموع	160	100,0%

يتبين لنا من هذا الجدول أن 91,8% من أفراد العينة أسرهم تحت قيادة أبوية، وبالتالي تخضع لقواعد النظام الأبوي الذي عرفه المجتمع الجزائري منذ القدم، " السلطة الأبوية تجعل أفراد العائلة (الزوجة والأولاد) خاضعين لأوامره دون نقاش، لأنه هو المعيل للحاجات الأسرية والذي تعود إليه كل شؤونها"¹ ويظهر أن المرأة في الأسرة الممتدة ليس لها دور بارز في الحياة الاجتماعية لكنها تنشط من خلف الستار إن المرأة في المجتمع العربي التقليدي قد لا تمثل في الحياة العامة سوى دورا محدودا، ولكن له أثره الخفي في العائلة وفي علاقاتها مع الرجل كزوجة أو أم أو شقيقة أو جدة أثر عميق"².

لا يتوقف النظام الأبوي عند باب البيت بل يتعداه إلى العشيرة والقبيلة فيحل شيخ القبيلة محل الأب في الأسرة وحتى بين القبائل يقوم نفس النظام بدور الأب عن طريق مجلس متكون من شيوخ الأعيان ورجال الدين كإمام المسجد وشيخ الزاوية، فهذا التحالف الحاصل بين السلطة الاجتماعية والسلطة الدينية يقضي حتى وقتنا الحاضر على غالبية المشكلات في المجتمع، وتمثل نسبة 4,4% وهي قليلة جدا أي في الحالات الاستثنائية أين يغيب الزوج أو الأخ الأكبر، وحسب التنشئة الأسرية، وهذا لا يعني إقصاء الأم من الرأي أو التدخل في الشؤون العامة للعائلة بل بالعكس قد تتحكم دون الظهور في

1- عمر عبداللاوي، مرجع سابق، ص:84

2- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص:34

الواجهة ، وتمثل نسبة 3,8% القيادة المشتركة في العائلة وهو ما يوحى إلى بداية تغير العائلة نحو المناخ الديمقراطي وخاصة بعد أن أصبحت الأم متعلمة وعاملة والأولاد متعلمون يحترم رأيهم، تشمل الأبوية النظام السياسي برمته وعلى كل المستويات فشيخ القبيلة أو العشيرة أو رئيس القرية أو البلدية يعتبره أفراد المجتمع أبًا، وكأنّ المجتمع أسرة يستمد الحاكم فيه سلطته من سلطة الأب، يرى هشام شرابي بهذا الصدد أن "النظام الأبوي ليس بالضرورة مجرد نظام أسري، بل هو أكبر من ذلك، فقد يكون نظاما اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا، ويرى بأنه مبني على ثقافة تقليدية تستمد من الأسطورة والدين والعلاقات العمودية، مما يفضي إلى غياب الديمقراطية وتكوين الديكتاتورية في المجتمع"¹.

2- الممارسات الثقافية ودورها في تكوين الوعي القبلي:

لكل سلوك سواء كان فعل أو قول أسلوب محدد يعبر هدف معين، والمقصود بالممارسة الثقافية السلوكيات ذات الطابع الثقافي المتكررة من طرف عدد معتبر من الأشخاص كالإنتاج الفني والفولكلوري والفكري الذي يعبر عن خصوصية الانتماء والولاء والمعتقد ونمط الحياة ، فالثقافة في معناها الانثروبولوجي الموجز هي "كل أساليب السلوك البشري بأنواعه المختلفة، وهي مجموعة طرائق الحياة، أو ذلك الميراث الحضاري الذي يحص عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، ومن ثمّ فإن لكل إنسان ثقافة وللجماعة ثقافتها، وهي تختلف باختلاف حجم الجماعة وطبيعة نشاطها"² يعمل الفرد على ترسيم الثقافة ونقلها باستخدام الرموز المعبرة عنها ليحافظ على استمرارية ذلك النمط والنظام ويعيد إنتاج نفس الصورة بالتنشئة الاجتماعية بشكل متواصل، كما قد يتعرض للتغيير في

1- هشام شرابي، مرجع سابق، ص:37

2- كلوكهن، الإنسان في المرأة ، ترجمة الدكتور مصطفى شاكر سليم، المكتبة الأهلية، بغداد، 1964، ص:38.

أفكاره ومعتقداته بفضل المد الثقافي الذي يستهدف المجتمعات المحافظة بوسائله التكنولوجية المتطورة، وهذا الجدول يمثل ميولات أفراد العينة ونشاطاتهم الثقافية.

22- جدول رقم (22): يبين النشاطات الثقافية لأفراد العينة:

النشاط الثقافي	التكرار	النسبة المئوية
المطالعة	15	9,4%
الانترنت	75	46,9%
السياحة	31	19,4%
الرياضة	39	24,4%
المجموع	160	100,0%

نستخلص من خلال الجدول أن أفراد العينة متأثرون بالتطور التكنولوجي فنسبة 46,9% منهم يمارسون البحث والتواصل بالانترنت، هذه الشبكة التي تربط المجتمعات والأفراد ولا تعترف بالحدود والخصوصية، وهو ما يشير إلى الانفتاح الذي سيحصل في المجتمع بسبب هذه الوسائل مما سيؤثر على سرعة انتقال المعارف والمواقف، كما يسهل التواصل بين الفئات المختلفة للمجتمع، ونحن بصدد تسليط الضوء على بعض الممارسات الثقافية المرتبطة بظاهرة العروشية في مجتمع ولاية الجلفة كنشاطات ثقافية معبرة عن الانتماء العرشي ومنها الوعدة أو الزردة وتسمى عندنا بالطعم وممارسات متعلقة بزيارة جد العرش وطقوس احتفالية خاصة والانترنت تلعب دورا بارزا في نشر ذلك الموروث الثقافي وتشهره، فإذا كانت الثقافة تعمل على تدعيم الحياة الجماعية والاهتمامات المشتركة فإن عملنا الميداني يهدف إلى استجلاء ورصد بعض السلوكات ذات أغراض قبلية ضمن تفاعلات الأفراد والأفكار التقليدية العرشية التي تطبع العلاقات الاجتماعية، وموضوع العرش يطرح في فضاء الانترنت فكثير من النشطين لهم مواقع خاصة بالعرش، يمثل الذين يمارسون النشاط الرياضي نسبة 24,4% أي ربع أفراد العينة وتأخذ الرياضة في

مجتمعنا حيزا كبيرا من اهتمامات المجتمع وخاصة الرياضة الجماعية، وقد تكون أحيانا في خدمة العروضية والمناطقية حينما تتحاز الفئات إلى فرقها وتغيب الروح الرياضية ويعطوا التعصب والعنف في الملاعب.

1.2 - التنشئة الاجتماعية التقليدية:

1.2.1(أ) - طرق التنشئة الاجتماعية: تمثل العائلة في المجتمع الجزائري نواة التنظيم الاجتماعي وأساس التنشئة الاجتماعية ذلك أنها تمدّ الفرد بالمبادئ والقواعد التي بواسطتها ينتقي السلوكات والمواقف والعبارات التي تتوافق مع أصله وانتمائه العائلي، فالفرد يعتبر نفسه امتداد للعائلة وتتأثر سمعتها بسلوكه وموقفه، ومن هذا المنطلق ينعت كل من يتعدى حدود القيم والمعايير الاجتماعية بأنه ليس له نسب (أصل) يخشى عليه، كما ينعت كل من ينسجم مع القيم والمعايير الاجتماعية بابن عائلة (له نسب وأصل) يحافظ عليه. تحرص العائلة على صقل سلوك الفرد منذ نعومة أظفاره بطريقتين أو لاهما تنشئة مباشرة بتعليمه المنهيات والمسموحات دون تفسير وبشكل جاد ومنضبط لأنّ الخطأ يكلفه العقاب البدني، وما على الفرد إلا الامتثال للقيم والمعايير والأعراف، وبشكل غير مباشر عن طريق تقليد الأقوال والأفعال التي تنسجم مع سنه وجنسه وكلما تقمص الدور بشكل صحيح نال الثناء والشكر، وبالتالي يرغب الفرد على الانضباط مع الجماعة وقيمها ويلتزم بالعرف ويوليها كل الوفاء والانقياد، ولن يتأتى هذا الولاء إلا بعد أن غرست داخله عوامل الضبط الداخلية وتشربه لمبادئ واكتسابه لمعارف وخبرات توجّه فعله وقوله وردود فعله ومواقفه في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وتحقق اندماجه الاجتماعي، وقد أشار إلى ذلك بيار بورديو بقوله: " أن الأسرة وحدة اقتصادية للإنتاج والاستهلاك، ووحدة سياسية في ضوء التحالف الأسري، الذي يضم العشيرة (clan)، وأخيرا وحدة دينية"¹ فالفرد عضو في الأسرة التي هي امتداد للعائلة

1 -Pier Bourdieu، op cit•P10

الكبيرة والتي بدورها تنتمي إلى جماعة أكبر وهي العشيرة ثم العرش، وكلما كان الفرد مشمولاً بهذه الدوائر تعرض منها جميعاً لعملية الضبط ليتحقق نضجها الاجتماعي استقراره وتوافقها النفسي خاصة في البيئة التقليدية، وبهذا تتم تنشئة الأفراد بشكل جماعي بهدف إعادة إنتاج نفس النموذج الاجتماعي ونفس أنماط السلوك ويحافظ على نفس العادات والتقاليد التي مارسها أسلافه وهو ما يوضحه الجدول التالي:

23- الجدول رقم (23): يبين التمسك بالعادات والتقاليد عند أفراد العينة:

التمسك بالعادات والتقاليد	التكرار	النسبة المئوية
نعم	151	94,4%
لا	9	5,6%
المجموع	160	100,0%

يتبين من خلال هذا الجدول أن نسبة 94,4% تسعى عائلاتهم للتمسك والمحافظة على استمرار العادات والتقاليد التي مات عليها أجدادهم، ومنها عادات اجتماعية مرتبطة بالحياة اليومية في المأكل واللباس والأثاث وطريقة الاحتفال وأخرى دينية وطقسية مرتبطة بالأيام والشهور والمناسبات كالزفاف والختان وغيرها، وتمثل نسبة 5,6% من أفراد العينة الذين لا تسعى عائلاتهم للتمسك بالعادات التقليدية ومع أنها نسبة قليلة إلا أنها تشير إلى بداية التغيير في أهداف التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الحديثة، وهو ما يفسر بعض المظاهر في السلوك والعادات الجديدة التي بدأت تنتشر في مجتمعنا ولم يكن يمارسها أسلافنا.

1.2.ب- آليات التنشئة الاجتماعية:

أولاً- الضبط: يتعرض الطفل منذ صغره لعملية الضبط فهو دائماً تحت نظر أفراد العائلة يراقبون كل سلوكياته من قول وعمل وكلما أخطأ قوموه دون تردد، فعملية الضبط مرتبطة

بالثواب والعقاب، فسلطة الأب تجعل من أفراد العائلة منسجمين مع القيم والعادات الأخلاقية طوعاً أو كرهاً، فحين يخطئ الطفل يمنعونه من تكرار السلوك بقولهم (ما هو زين) أي عيباً وسلوكاً ليس حسناً، وإن أدى سلوكاً حسناً يشكرونه ويشجعونه بقولهم (صحيت) أي زادت صحتك، وهكذا يتعلم الطفل المسموحات والممنوعات وينضبط سلوكه، وعند خروجه من البيت إلى الفضاء الاجتماعي يبقى الضبط الاجتماعي مسطراً عليه فهو يمثل عائلته ويؤثر في سمعتها إيجاباً وسلباً داخل المجتمع، أما حين يخرج من إطار المجتمع يصبح ممثلاً له ويؤثر في سمعته ويسمى باسمه أو اسم قبيلته فإن أخطأ تتحمل القبيلة معه نتائج خطأه، ففي القتل الخطأ مثلاً يحمل العرف القبيلة أو العشيرة جمع الدية للمقتول، وتكرار الأخطاء من عشيرة أو قبيلة يعني تعميمه عليها وتعرض جميع أفرادها للنقد دون استثناء فالحسنة تخص والسيئة تعم، والجدول التالي يوضح طرق التنشئة والمعاملة عند عائلات المبحوثين.

24- الجدول رقم(24): يبين نظام التنشئة داخل أسر أفراد العينة:

النسبة المئوية	التكرار	نظام التنشئة داخل الأسرة
65,6%	105	الضبط
5,6%	9	الحرية
28,8%	46	التشاور
100,0%	160	المجموع

يتبين من خلال الجدول أن النسبة العالية من المبحوثين وهي 65,6% أكدت خضوع عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة للضبط وهو دليل على استمرار أبوية الأسرة وخاصة منها المحافظة على عاداتها وسمعته ومستقبل أبنائها ملتزمة بمبادئ الدين الإسلامي الذي يحث على ضبط سلوك الأبناء، مع أننا لاحظنا في الزمن الحالي تغير

نظرة الأب للمرأة والأبناء فلم يعد ذلك التعجرف والسحق بل أصبح النظام الأبوي أكثر مرونة، وتمثل الفئة الثانية نسبة 28,8% التي تطبق مبدأ التشاور وهي نسبة مهمة تعبر عن تغير طبيعة التفاعل داخل الأسرة وهو يسير نحو الطابع الديمقراطي وهذا مؤشر عن ارتفاع مستوى الوعي عند المرأة والأبناء مما يسمح بالتشاور والإقناع بدل الحزم والعقاب، ومادامت الأسرة تترك مجالاً لحرية الفرد فهي قد تغض الطرف عن بعض الجوانب من خصوصيات الفرد وهذا ما سنتعرض له في تحليل الجدول التالي:

25- جدول رقم (25): يبين مجالات تدخل العائلة في شؤون الأبناء:

مجالات تدخل العائلة	التكرار	النسبة المئوية
المجالات العامة فقط	62	38,8%
المجالات الخاصة و العامة	94	58,8%
لا تتدخل	4	2,5%
المجموع	160	100,0%

نستخلص من تحليل الجدول أن النسبة الكبيرة وهي 58,8% من أفراد العينة يقرون بتدخل الأسرة في الأمور الخاصة كالعلاقات الشخصية واختيار القرين والصاحب وتربية الأبناء والأمور العامة كالاتجاه السياسي والدين والمهنة ومجال الدراسة، لأن الأسرة حريصة على إعادة إنتاج نفس الاتجاهات والشخصية التي ترى أنها السبيل الوحيد للحفاظ على أمن الفرد ونجاحه وخاصة في تربية البنات و يعم هذا الشكل في الأسر ذات النظام الأبوي المتسلط الذي يحرم الأنثى من مواصلة التعاليم ويفرض عليها الزوج وغيرها من المواقف والسلوكيات، فتطبق هذه الأسر نظام الحزم والضبط المعتمد على الثواب والعقاب، أما الفئة الثانية فتمثل نسبة 38,8% من المبحوثين الذين يصرحون بتدخل أسرهم في المجالات العامة فقط ونستخلص من هذا توجه الأسرة نحو تدعيم الحرية الفردية

لأعضائها وهو ما تسعى إليه كثير من المنظمات والهيئات المنادية بتحرير المرأة واحترام الطفل، وقد تتطور إلى الدعوة إلى الحرية الفردية والتخلص من قيود المجتمع والعائلة وهو ما صرح به 2,5% من أفراد العينة.

ثانياً) - التلقين: ويتم ذلك بتلقين المعارف للطفل من طرف أفراد العائلة وأقربهم إليه الأم من الأسماء والضمائر إلى التعبيرات المختلفة، كما يتعرف على المسموحات والممنوعات بواسطة افعال ولا تفعل، ومع مرور الوقت يتعرف الطفل على محيطه الاجتماعي وقرابته وعلى نماذج الكلام والفعل تحت رعاية جماعته وتصحيحاتهم وتصويباتهم، كما يتعلم في الوسط التقليدي مهارات التعامل مع الأدوات والحيوانات ويكون الطفل محضوضاً في حالة وجود الجد والجدة اللذان يستفيد الأبناء من خبرتهما ورعايتهما بشكل كبير نظراً لحالة الانسجام والتوافق التي تحصل عادة بين الجد والحفيد ولعدم انشغالهما وإمكانية بقائهما داخل المحيط العائلي مع الأبناء الصغار، حيث يتعرف من خلالهما الطفل على البنية العائلية والمكانات والوظائف، فيتعرف على قرابته ويلقن مكانة الأب والجد والخال والعم ويفرق بينهم ويتعلم متى يتكلم ومتى يسكت، والجدول التالي يوضح مدى اهتمام أسر المبحوثين بتعريف أبنائهم بذويهم.

26- الجدول رقم(26): يبين تعريف الأبناء بذويهم من طرف أسر أفراد العينة:

تعريف الأبناء بذويهم	التكرار	النسبة المئوية
نعم	148	92,5%
لا	12	7,5%
المجموع	160	100,0%

يبين الجدول أن نسبة 92,5% من أفراد العينة يعرفون أبنائهم بذويهم ويعلمونهم درجة القرابة التي تربط بينهم وأسلوب التعامل معهم، وهكذا ينشأ لاحترام والطاعة وضبط

السلوك الطفل ويتشكل لديه خريطة اجتماعية مفاتيحها قوائم من الأسماء والأدوار والمكانات، وقد تحمل الأسرة أفكارا حول الأقارب فتحاول عزل نفسها عنهم وتبعد الأبناء من مجال التعرف على ذويهم وهم يمثلون 7,5% من أفراد العينة، وقد يتطور هذا إلى تشربه لمبادئ العروشية بتعرف الفرد على نسبه وعشيرته وقبيلته ومع مرور الوقت وكبر سنه يتعرض للتاريخ القبلي الذي قد يكون مشحونا بالصراع، فيحدد الفرد موقعه من المجتمع الذي يعيش داخله ويكتسب موقفا محددًا وأساليب التفاعل معينة مع أبناء العشائر والقبائل الأخرى، كما يكتسب مهارات يستمدّها من بيئته الاجتماعية يفك بها الرموز ويفسر بها الخطاب، وهذا الجدول يوضح مدى تعريف أبناء أفراد العينة بنسبهم.

27- الجدول رقم(27): يبين تعريف الأبناء بنسبهم من طرف أسر أفراد العينة:

تعريف الأبناء بنسبهم	التكرار	النسبة المئوية
نعم	136	85%
لا	24	15%
المجموع	160	100,0%

يتضح من خلال الجدول أن نسبة 85% من أفراد العينة يعرفون أبناءهم على نسبهم وهو أمر طبيعي لأن الطفل يكتشف أقاربه في الأسرة وعند انتقاله إلى المدرسة يكتشف نسبه انطلاقا من اللقب العائلي الذي قد يصنّفه اجتماعيا لصالحه أو ضده، فالنسب قد يكون لك أو عليك إذا تم تطبيقه كمعيار للتفاعل، وتمثل الفئة التي لا تعرف أبنائها على نسبهم نسبة 15%، لكن هؤلاء سيتعلمون النسب وما يتعلق به من ثقافة داخل الفضاءات الاجتماعية التقليدية التي تستعمله كمعيار للتفاعل والتخاطب، ومن هنا ترتبط مكانة الفرد وقدرته على الارتقاء في السلم الاجتماعي بنسبه، فالذي ينتمي إلى عائلة فقيرة وغير معروفة قد لا يفيدّه ماله ولا مستواه الدراسي، كما أن أبناء بعض العائلات يكتسبون

مكانتهم ومستواهم الاجتماعي دون مجهود يبذل، وبالتالي يختلف الأفراد في نظرتهن لأهمية النسب في الحياة.

ثالثاً) - المحاكاة: عادة ما يسعى الأبناء لتقليد آباءهم في مختلف السلوكيات والمواقف على اعتبار أن الآباء يمثلون النموذج المثالي لديهم في القوة والحكمة ويتقمصوا أدوار من هم أكبر منهم أثناء اللعب، وهذا ينطبق على تقليد الكبار في السن والمكانة من طرف من هم أقل منهم سناً ومكانة، ليحذوا حذوهم في تصرفاتهم وسماتهم، وقد يصل الأمر إلى التوحد الذي يعتبر تقليد لا شعوري للنموذج المقلد، وسنشير في هذا المقام إلى صورتين أساسيتين ترسخان ظاهرة العروضية في ذهنية الفرد الذي يتأثر بالبيئة المحيطة به فالأولى هي سمة الرضوخ وهيمنة القائد، فبالتنشئة المحافظة يتعلم الفرد الاستماع أكثر من الكلام والقبول أكثر من الرفض والانصياع أكثر من التمرد فيتدرب على الخضوع بسبب الهيمنة المسلطة عليه في فضاء الأسرة من طرف الأب وفي فضاء المسجد أو الزاوية من طرف الإمام أو الشيخ وفي الفضاء الخارجي من طرف كبار السن والأعيان، فتسحق شخصيته ويفقد ثقته بنفسه معتمداً على الآخرين في كل شيء وخاصة في فترة شبابه فتكبل طاقاته ويفقد القدرة على التغيير والابتكار، فتعكس على شخصيته فيصبح غير مبال بما يجري حوله وغير قادر على تحمل المسؤولية.

28- الجدول رقم(28): يبين القيم التي ينشأ عنها الأبناء في رأي أفراد العينة:

قيم التنشئة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
القيم المحافظة الجمعية	151	94,4%
قيم التحرر والفر دانية	9	5,6%
المجموع	160	100,0%

من خلال الجدول نجد أن نسبة 94,4% من أفراد العينة يقرون بتنشئة أبنائهم على القيم المحافظة، والتي تعيد إنتاج صفات الأجداد ومواقفهم واتجاهاتهم وسلوكياتهم ومن أهم هذه القيم طاعة للأبوين ولل كبير وللمعلم وللحاكم فلا ينشأ الفرد على التمرد والنقد بل يحترم من قبله في السن وهذه القيم تمنع التجديد والتغيير، كما نجد قيمة الجمعية فالفرد لا يتخذ قرارا إلا بالرجوع لجماعته الاجتماعية سواء الأسرة أو العشيرة، فكل فرد مسؤول عن الجميع والجميع مسؤول عنه وهذه الرابطة تمنع ارتكاب الأخطاء، وإذا حدث خطأ تسرع الجماعة العائلية أو العشيرة بالتدخل لإصلاحه حسب مستوى الخطأ ودائرة حدوثه، فمثلا إذا حدث خطأ من طرف أحد الأفراد عند عرش مجاور لا تتدخل العائلة فهو مستوى أعلى يتطلب تدخل الأعيان، ويتعرض مرتكب الخطأ للعقاب البدني أو المعنوي حسب ويتوقف ذلك على عمر الفرد وحجم خطئه .

2.2- إقامة الاحتفالات الخاصة بالعرش:

إن العادات والتقاليد تكتسي قوة عظيمة في مقاومة التغيير على الرغم من أحداث الحروب والاستعمار والهجرات خلال القرون التي مرت بها، ولا سيما تلك المتعلقة بالمعتقدات والطقوس حيث أن العديد منها مازال حاضرا مع التقاليد الحديثة، إن التقدم التكنولوجي الذي عرفه المجتمع في شتى الميادين والصحة الدينية في ثمانينات القرن الماضي والتغيير الكبير في نمط العيش ووسائله وإن كان لها أثر إيجابي على الجانب المادي فإن الجانب الروحي والمعنوي لم يتأثر كثيرا بعوامل التغيير المذكورة نتيجة قوة صمود العادات بفضل إعادة إنتاجها كترات شعبي وكمناسبة متجدد كل سنة وهو ما سنراه من تحليل الجدول التالي:

29- الجدول رقم(29): موقف أفراد العينة من الوعدة:

النسبة المئوية	التكرار	الموقف من الوعدة
13,1%	21	عادة بالية
58,8%	94	سلوك ضروري
28,1%	45	لا تنفع ولا تضر
100,0%	160	المجموع

يتضح من خلال هذا الجدول موقف المبحوثين من الوعدة فنسبة 58,8% لديها موقف إيجابي من الوعدة وترى أنه سلوك ضروري للفرد حيث يتسلى ويذهب القلق والروتين ويربط حاضره بماضيه باجتماعه مع بني عشيرته وقبيلته في جو فني مرح، ويستحضر قوة آباءه وأجداده بمشاهدة ألعاب الفروسية ويستعرض تاريخهم القديم من خلال حضور حلقات القصاصين والمداحين المصبوغة بالأساطير والعجائب، وهو سلوك ضروري للجماعة التي يتم تماسكها بفضل استمرار هذه المهرجانات وبركتها وما يحدث فيها من تكافل وتضامن وحل للخلافات، ويرى 28,1% من أفراد العينة أن هذه المناسبات هي عادات لا تنفع ولا تضر فإن قصدتها فسيكون ذلك بدافع الفضول والتسلية دون اعطاء أهمية لاستمرارها أو اندثارها، أما النسبة الثالثة فتقف ضد قيام هذه الاحتفالات وممارسة طقوسها ويمثلون نسبة 13,1% وفي رأيهم أن هذه الوعدة تضر ولا تنفع لما يحصل فيها من اعتقادات باطلة ومخالفات شرعية.

2.2(أ)- محددات الوعدة : من محددات الوعدة ارتباطها بالمجال الزمان والمكان والولي(الجد) والأسطورة، حيث يرتبط الطعم عادة بزمن نهاية الصيف بعد جني محاصيل الحبوب فتقدم الذبائح كصدقات وتقام الاحتفالات كشكر عن النعمة، وتتوافق هذه المناسبة مع بداية فصل الخريف يعتبر بداية عام فلاحى بهدف استدرار المطر والاستسقاء الذي

يلجأ له باستمرار بسبب المناخ شبه الصحراوي الذي يسود المنطقة والتميز بفترات جفاف طويلة، وترتبط مناسبة الوعدة (الطعم) بالمكان فمن الولايم والوعدات ما تقام بقرب أضرحة الأولياء والقباب وهي خاصة مشتركة بين كثير من مناطق الوطن، هذه الأماكن تعد مقدسة في الثقافة الشعبية تُرجى بركتها وبركة الولي الذي يتم التوسل إليه بشكل مباشر لجلب الرزق والأولاد ودفع المرض والمشكلات، وعادة ما يكون لهذا الضريح أو القبة مقدم من أحفاد الولي أو خدامه، يجمع أموال (الزيارة) حتى يقبل دعائهم ويحصلون على مرادهم، وهذا الجدول يبين حضور ومشاركة أفراد العينة في الوعدة:

30- الجدول رقم(30): حضور ومشاركة أفراد العينة في الوعدة:

النسبة المئوية	التكرار	الحضور والمشاركة في الوعدة
15%	24	تحضرها
47,5%	76	تشارك فيها
37,5%	60	لا تهتمك
100,0%	160	المجموع

نستخلص من الجدول أن نسبة 47,5% يشاركون في الوعدة استجابة لنداء العرش والواجب العرشي، وذلك من خلال جمعهم للأموال التي تصرف والذبائح والمشاركة في التنظيم واستقبال الضيوف على اختلاف درجاتهم ومكانتهم فكرم الضيافة من القيم البارزة التي يتميز بها مجتمعنا ويتكاتف أبناء العرش ويتماسك لأجل تأكيد هذه القيمة حتى ولو يرفضون الوعدة لتنافيها مع العقيدة الإسلامية، فمن الضيوف فرق الخيالة والضيوف القادمون من مناطق وعروش أخرى، وبعض الضيوف من المسؤولين السامين في الدولة يحدد لهم جناح خاص، حيث تخضع الضيافة لترتيبية محددة فالضيوف المهمين للمسؤولين ورؤساء القبائل وشيوخ الطريقة والأعيان وجبات خاصة متمثلة في طبق (المشوي) وما

يتبعه، بينما يتناول عامة الناس طبق الكسكسي مع اللحم، أما النسبة الثانية فتمثل 37,5% من أفراد العينة الذين لا تهتمهم مناسبة الطعم وهو دليل على بداية تناقص أهمية هذه الاحتفالات من أولويات الأفراد لأسباب متعددة منها النزوح الريفي نحو المدن وتغيير الأوضاع واعتماد الأسرة على الأجر اليومي الذي قد لا يكفي لسد حاجيات العائلة فضلا عن أعباء المشاركة في الوعدة، الصحوة الدينية التي واجهت الموروث الصوفي بالنقد، وسائل الإعلام الحرة والدينية التي تبرز المخالفات الشرعية التي تقترف في هذه المناسبات، كما تمثل نسبة 15% من أفراد العينة الذين يقرون بحضور الوعدات فقد يقطع الشخص عمله ويتوجه للوعدة البعيدة بمئات الكيلومترات ويأكل فيها تبركا بطعامها ويأخذ بعضه لعائلته ومنهم من يصطحبها معه لأغراض منها التسلية والفرجة ومنها التخلص من القلق والأمراض والمشكلات.

2.2ب) - أهداف الوعدة: للوعدة أهداف عامة وخاصة تحققها نوجزها في النقاط التالية:

- تحقيق التماسك والتكافل الاجتماعي بين أبناء العرش.
- تأكيد الذات القبلية بإظهار قوة التنظيم والكرم والفروسية في مضمار التنافس.
- إعادة إنتاج العرش وتقوية حضوره في المخيال الجماعي للقبيلة ومحاربة النسيان.
- مناسبة لحل الخلافات داخل العرش وبيان المجموعات العرشية.
- التبرك و الاستسقاء وطلب الشفاء من الأمراض المستعصية.
- مناسبة لتقييم مقدرات العرش وطرح اقتراحات لترقيته ورصد تطلعات أفراد.
- عقد الأحلاف بين العروش أو العشائر ورسم الاستراتيجيات السياسية.
- تحقيق الاستقرار النفسي للفرد وتنمية الروح الجماعية.
- تعزيز الانتماء العرشي والولاء للطريقة والولي.
- تجديد العهد مع جد العرش لإعادة الطعم في السنة المقبلة.
- تحقيق الأمانى الفردية والجماعية بحضور الدعاء (الحفنة) الذي يختم به الاحتفال.

2.2.ج) - **وعدات مجتمع الجلفة:** كما ذكرنا سابقا فالخريطة العرشية تتجاوز التقسيم الإداري للبلديات والولايات، فعرش أولاد نايل أو العبازيز أو الصحاري لا يتواجدون في ولاية الجلفة فقط بل ينتشرون في ولايات مجاورة مثل ولاية تيهرت والأغواط والمسيلة وغرداية والبيض، وكلها في تفاعل مستمر من ناحية تنقل الأفراد والبضائع أو ارتحال الموالين طلبا للكأ وقيام شراكات ومصاهرات وغيرها، تجعل من هذه الولايات مجتمعا واحدا، فحينما ينادي البراح في الأسواق الأسبوعية بمكان وزمان الطعم(الوعدة) يتم الاستعداد والتحضير للقدوم إليه وحضوره من طرف الزوار والفرسان الذين يمثلون أعراسهم ويؤكدون انتمائهم بإقامة العلفة الخاصة بهم (استعراض سباق الفروسية مع استعمال البارود).

من الوعدات (الأطعام) التي تحدث سنويا في منطقة الجلفة ومحيطها طعم أولاد عبيدالله بمنطقة القرية وطعم أولاد خناثة بعين الإبل وأولاد ملخوة بالفيض وطعم العبازيز بالشارف وطعم سيدي سعد بالقلة وطعم أولاد سيد بلقاسم بالبيضة وغيرها، وجل هذه المناسبات العرشية تحدث في فصل الخريف لاستجلاب الغيث، والترفيه عن النفس بعد عناء وشقاء الصيف في الحصاد والدرس وجمع المحاصيل وإخراج الصدقات من الخيرات والأرزاق المجموعة وبالتالي يطلوا اللقاء والاحتفال بين أبناء العرش والعروش المجاورة التي تتال الاحترام والتقدير وحسن الجوار، كما تقام احتفالات خاصة بجدة العشيرة في بعض المناطق وهي وعدة مصغرة ويسمى معروف سيدي فلان، وعادة هذا المعروف يكون محليا وحواليا كذلك، تذبح فيه مجموعة من الأغنام وتطهى العصيدة والبعض يذبحون(ثور) صدقة على جدهم وهذه العادة تقام سنويا في زمن محدد خاص بكل عشيرة وله طقوس خاصة، ومن أمثلتها (فرد سيدي على) ومعروف (عبدالله بن أحمد) في بلدية الشارف.

3- استعمال الرموز المتعلقة بالعرش:

للقبيلة وأفرادها رأسمال رمزي (le capital symbolique) وهو من بين المفاهيم الحديثة والذي تولد على يد عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو (Pierre Bourdieu) من خلال معاشته للمجتمع الجزائري، وهو رأسمال غير مادي يتم فيه استعمال وتبادل سلع غير رمزية تدر منافع، كما يتم استخدامها في حقل التنافس والصراع، فحسب جورج بالوندي " لا توجد سلطة دون استيلاء على العلامات والرموز من خلال الشعارات الاسمية والوشم والرقص حول الطوعم والكرنافالات والأقنعة والحفلات¹ فبمجرد ذكر اسم العرش يستجيب أبناؤه بتقديم المعونة والنصرة، فاسم العرش له رمزيته ووزنه فلا يسمح لأي كان ذكره بسوء مهما كانت المبررات، وبمجرد ذكر انتماء الفرد لعرش معين يكسبه شرف وفضل لأن حسنات العرش تغطي الأخطاء التي يقترفها البعض.

عند التعارف في مجتمعنا لا يكفي معرفة الاسم واللقب بل يُسأل عن القبيلة فحينما يصرح باسم عرشه يجيبه السائل بعبارة: (خيار الناس)، ويعامله بحسب قيمة العرش الذي ينتمي إليه، وكثيرا ما يستعمل الانتماء في المناداة مثل (بالفاميليا، بالعرش، بالبلاد) وهذا الجدول يبرز أهمية رمزية الانتساب للعرش في نظر المبحوثين.

31- الجدول رقم(31): يبين أهمية النسب للعرش بالنسبة لأفراد العينة:

أهمية النسب	التكرار	النسبة المئوية
شرف	121	75,6%
بطاقة تعريف فقط	30	18,8%
لا يهم	9	5,6%
المجموع	160	100,0%

1- الهوارى عدي، مرجع سابق، ص:34

نستخلص من خلال الجدول أهمية عامل النسب بالنسبة للفرد في مجتمع البحث فنسبة 75,6% أقرّوا بكونه يرمز للشرف والرفعة وبضرورته في حياتهم وفي صبغ علاقاتهم، ولقد تطرقنا إلى أهمية النسب كمعيار في الزواج، فالذي يخفي نسبة ليس له أصل في نظر المجتمع، ويعتبر منبوذا اجتماعيا كابن الزنا، كما أنّ الفرد بانتمائه إلى منطقة معينة وعرش معين يمثل عنده رمز أو تاج سيمتلك بموجبه احتراماً ويكتسب إخوة يتقاطع معهم في ذلك الانتماء الذي يستوجب التحلّي بقيم الجماعة وعاداتها وتقاليدها من ملابس وأسلوب خطاب والمأكل والتزام بالعرف وغيرها، ومن خرج من إطار القبيلة وهاجر إلى منطقة أخرى بسبب العمل أو ظروف أخرى، فقد يحس بخلع رداء القبيلة ولو جزئياً وتنتابه الوحشة والغربة ولو في بلده، وقد يغير عاداته ولهجته ولباسه لينكيف مع البيئة الاجتماعية الجديدة، وقد يلجأ في تعويضه للدفع الاجتماعي للقرابة بمحاولة إيجاد أنواع أخرى من الروابط التي تحل محل النسب ليستهلكها فينخرط في منظمات وجماعات ونوادي كوسيلة لتحقيق اندماجه الاجتماعي.

يهجر بعض الأفراد منطقتهم الأصلية نتيجة حوادث أو مشكلات اجتماعية ويقطع اتصاله بأهله وعشيرته ويعيش في منطقة جديدة تربطه بأفرادها روابط العمل والجوار والصدقة لتعوض النسب الذي يتحول عنده إلى بطاقة تعريف فقط تحدد هويته الاجتماعية التي هجرها وهم يمثلون 18,8%، أما الفئة الثالثة فتمثل أولئك الذين لا يهمهم النسب ونسبتهم في الجدول 5,6% فقد استعملوا معايير أخرى تحدد هويتهم وهي عادة تكون معايير شخصية خاصة بالفرد كالمستوى التعليمي والوظيفة والمنصب والمستوى المادي ويعوّضون بدل رابطة الدم الروابط الأخرى.

1.3- رمزية الممارسات: لقبائل ولاية الجلفة طابعا عاما يتقاطعون فيه ورموز تجمعهم في اللباس والأكل والشراب واللعب والتسلية وغيرها من الممارسات اليومية.

أ- اللباس: فمن ناحية اللباس تعرف منطقة الجلفة بالمناخ البارد شتاء والحار صيفا لهذا تكيف اللباس التقليدي النايلي مع هذه الظروف ففي الشتاء يلبس الذكور البرنوس والجلابة النايلية تحاك محليا في البيوت من الوبر أو الصوف بلون واحد للقطعة غير مزركشة ولا مخططة، وتتميز بخياطة ذات طابع نايلي، أما في الصيف فيلبسون لباسا من قمصان وسراويل خفيفة تلبس فوقها الجبة أو ما يسمى ب(القندورة العربي) ونوعية اللباس خاصة نوعية البرنوس والمضل تحدد مكانة الفرد الاجتماعية، والمرأة لها ألبسة تقليدية متوافقة مع تغيرات المناخ منها الخمري ولونه عادة أسود بطرز بالأحمر يحاك من الصوف وتلبس تحته الملحفة التي تتمل عادة لون أزهار الربيع وتخاط وتلف بطريقة محددة ويلبس معها الحزام الذي يسمى ب(البثور) وهو حزام صوفي ملون بالأسود والأحمر، وفي مناسبة الأعراس تلبس المرأة (الفيستان النايلي) المتميز في ألوانه وخياطته والحلي التي تتلائم معها.

ب- الفروسية: لعروش المنطقة رموز فنية متعددة منها الخاصة بالفروسية المعبرة الخفة والشجاعة باستخدام الخيل والبنادق بشكل جماعي منسق، والتي يؤديها فرسان العرش في الوعدات والاحتفالات بطريقة محددة تدعى العلفة وتصحب بمقاطع شعرية خاصة بالعرش، ومن هنا يأتي دور الوعدة في إحياء عزة القبيلة ومجدها وبعث روح الانتماء لأفرادها حينما يكتشفوا قوة وسرعة فرسانهم أمام منافسيهم من العروش وهكذا يزداد تماسكهم وتضحياتهم بالجهد والمال وبذل كل الإمكانيات لصالح العرش الذي يعتزون بالانتماء إليه.

ج- الرقص: تعرض رقصات جماعية خاصة بالعرش يتوارثها أبناء المنطقة وتمنع من التغيير، وعادة تقرر بالمزمار وإطلاق البارود منها السعداوي خاصة بعشيرة أولاد سعد، ورقصة الحمامة الناييلية، ورقصة خاصة بعشيرة أولاد عبيدالله تدعى دارة أولاد عبيدالله وهذه الرقصات تبرز بعض رموز العرش كنوعية الأزياء والنشطات والقيم.

د- الأطباق والأكلات: تتميز المنطقة وعروشها بتقديم أطباق مختلفة تختلف عبر الفصول وحسب المناسبة ونوعية الضيوف، ففي العامة يقدم للضيف العادي في الوجبات الرئيسية وجبة الكسكسي المصمغ بالسمن والمسقي بالمرق والمغطى بقليل من الخضر وكتل اللحم الكبيرة في إناء يجتمع عليه في العادة من أربعة إلى ستة أفراد، أما في الوجبات الثانوية فتقدم عدة أطباق تقليدية منها الرفيس والفتات والسمن وغيرها، وفي حالة الضيافات الخاصة بالأعيان والمسؤولين يقدم طبق المشوي مع المقبلات والكسكسي المسقي بالسمن الممزوج بالعسل، ويتميز مجتمع الجلفة بقيم الكرم وحسن الضيافة وبكثرة استهلاكه لشرب القهوة حيث لا يخلوا منها مجلس فتقدم عند قدوم الضيوف بشكل أساسي، وتعرف منطقة الجلفة بقهوة خاصة تدعى (الفرارة) التي يجتمع حولها الرجال في المقاهي.

(2) رمزية جد القبيلة: يمثل اسم الجد رمزا للقبيلة فلا تجد عائلة تخلوا من هذا الاسم تبركا به وإعلانا عن الانتساب والانتماء لنسله، رغم أن الانتساب قد يكون وهميا، وعادة ما ترتبط شخصية الجد بالصلاح والقبول وحصول الكرامات في حياته والتي تسردها الروايات والأساطير ويدعمها الفكر الصوفي المنتشر في مجتمعنا مما يعطيها نوعا من التمجيد والقداسة، وهذا ما يجعل الكثير من المؤسسات الحديثة تسمى باسم الجد ومن أمثلتها أكبر فندق في الجلفة من جهة باب الأغواط يسمى بفندق الناييلي، ومسجد سيدي نايل بحي بوتريفيس ومتوسطة سيدي عبدالعزيز بالشارف وغيرها من الأمثلة، كما تسمى الفرق الرياضية والنوادي باسم الجد مثل شباب أولاد نايل، والفنانين كنايلة وأحمد الناييلي

وتسمية المنتجات المحلية باسم الجد، وتختلف أهداف التسمية باسم جد العرش باختلاف الأفراد وهو ما سيوضحه الجدول التالي:

32- الجدول رقم(32): يبين رمزية التسمية باسم جد العرش بالنسبة لأفراد العينة:

رمزية التسمية بجد العرش	التكرار	النسبة المئوية
التبرك	9	5,6%
الإشهار	6	3,8%
تأكيد الانتماء	72	45,0%
تأكيد الخصوصية	73	45,6%
المجموع	160	100,0%

نستخلص من تحليل نتائج هذا الجدول أن الهدف من التسمية بجد العرش هو تأكيد الخصوصية وهو رأي 45,6% من المبحوثين والهدف من ذلك حتى لا يتعرض الإنتاج السلعي أو الطابع الفني للتقليد فمثلا البرنوس النايلى الأصلي أو الروبة النايلىة الأصلية تحتوي على معايير وإشارات مخفية في الصنعة لا يكتشفها إلا المختصون وهو رأسمال رمزي مضاف للعرش ويدعم العرشية، وترى نسبة 45,0% من أفراد العينة أن التسمية تهدف إلى تأكيد الانتماء للمنطقة والارتباط بالمنطقة يستوجب التحيز لها ولأبنائها في المعاملة وبذلك تتحقق العرشية، فالنادي أو الفريق قد يوحي يتسميته باسم جد العرش إلى انتمائه للمنطقة وأبنائها لينال تشجيعهم، أما نسبة 5,6% من المبحوثين فترى أن التسمية باسم جد العرش تهدف لطلب البركة من جد القبيلة أو أحفاده، ونسبة 3,8% تأكد على أن ربط التسمية بجد العرش يهدف إلى إشهار السلع والمنتجات.

3- الممارسات العرشية والمؤسسات السياسية:

لم تكن الممارسات العرشية يوما بمعزل عن نشأة المؤسسات السياسية وسقوطها، فالعصبية القبلية كما ذكر العلامة ابن خلدون غايتها الملك وهي سبب انهيار الدولة حينما يصيبها الهرم، لهذا سنستعرض بعض الأمثلة التاريخية لتدعم رأينا في هذا الموضوع.

1.3- العلاقة التاريخية للقبيلة (العرش) بالممارسة السياسية:

1.3.1(أ)- القبيلة (العرش) وتأسيس الدول: مثلت القبيلة تنظيما سياسيا محكما قبل تأسيس الدول، ويذكر التاريخ أن بناء الدولة وتأسيسها في المغرب العربي لم يكن أبدا بمعزل عن القبيلة، فعلى سبيل المثال: " الدولة الرستمية تم تأسيسها بفضل قبائل زناتة البدوية التي كانت تسيطر على الجنوب الغربي للمغرب الأوسط والجنوب الشرقي للمغرب الأقصى.

- الدولة الفاطمية كان انطلاقها تحت لواء قبيلة كتامة الجبلية التي تتمركز في مثلث(جيجل- سطيف- قسنطينة).

- الدولة المرابطية اختصت دعوتها قبائل لمتونة الرعوية بالأطلس الصحراوي بالمغرب الأقصى.

- الدولة الموحدية قامت على يد قبائل مصمودة الصحراوية بالمغرب الأقصى.

- الدولة الزيانية أسستها قبيلة بني عبد الواد.

إنّ هذا الحضور العام للتنظيم القبلي وراء عملية البناء السياسي يدل على أن القبيلة والدولة بالرغم من تناقضهما ليستا متنافيتين، حيث أنّ التنظيم القبلي على مستوى معين من تطوره يحمل مشروعا حكوميا¹.

1- أنظر محمد مدان، مرجع سابق، ص:108

1.3.ب)- القبيلة(العرش)وسقوط الدول: تعتبر القبيلة في المغرب العربي حقيقة سياسية ثابتة عبر التاريخ، فكما ذكرنا سالفًا كان لها الدور الأساسي في تأسيس الدول وسقوطها، ففي العهد العثماني تعاملت السياسة التركية مع القبيلة بحذر ولم تشركها في الحكم عدا قبائل المخزن المستغلة في جمع الضرائب، حيث بقيت الدولة آنذاك منفصلة عن المجتمع بسبب اعتمادها على قوتها العسكرية وجهازها الإداري المقتصر على الأتراك "ضرب العثمانيون حصارًا شديدًا حول أنفسهم وحول مواقع القوة في أيديهم، حتى لا يتسرب إليها بقية السكان ولا يرقى إليها الطامحون في الحكم منهم"¹ فكانت كثير من القبائل خارجة عن سيطرتها ولما طبقت سياسة القمع والضرائب جعلت القبائل تعود إلى حياتها البدوية وتتمرد وتثور على النظام التركي الذي فقد تدريجياً شرعيته بالرغم من انتماء الجزائر إلى إمبراطوريته التي كانت تحمل راية الجهاد المقدس، فلما هجمت فرنسا على شمال المغرب العربي لم تستطع الدولة العثمانية صدها لعدم ارتباطها بالقاعدة الشعبية مما سهل دخول الاستعمار إلى بلادنا.

سقطت الدولة ولم تسقط القبيلة وانحصرت مواجهة المجتمع الجزائري للاستعمار حينها عن طريق التنظيمات القبلية في شكل ثورات متفرقة تكلفت بتوحيد الجهود مع الوقت حيث فرض الوجود الاستعماري وعيا سياسيا نشأت عنه تشكيلات وأحزاب سياسية ذات بعد وطني حاولت تأطير الاحتجاجات والمقاومة حتى اهتدت إلى توحيد الحركة الوطنية وإشعالها لثورة التحرير سنة 1954 حيث ألغيت القبيلة لصالح الوطنية بهدف تحرير كامل التراب الوطني دون تمييز رغم اعتمادها على الأعيان والعائلات النافذة في الأعراس فحاولت بذلك التعبئة ونشر القيم والمعايير الوطنية والعزم على خيار الثورة التي خاضها الشعب تحت قيادة جبهة التحرير الوطني التي ضمت كل أطراف الحركة

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 139

الوطنية على اختلاف اتجاهاتها، قادت الشعب الجزائري لنيل الاستقلال الوطني سنة 1962.

1.3.ج)- القبيلة(العرش)والدولة الوطنية: إن تشكل تنظيم سياسي يعد مؤشرا عن تطور الوعي السياسي لدى المجتمع الجزائري يقود إلى تأسيس دولة مبنية على قواعد عصرية يكون لقيادتها المتمثلة في جبهة التحرير الوطني الولاء التام، فأصبحت بذلك الممثل الشرعي والوحيد للشعب أخذت على عاتقها تسيير مرحلة ما بعد الاستقلال داعية للوحدة الشعبية حول مبادئ أول نوفمبر رافضة في شعاراتها وخطبها كل أشكال التمييز الجهوي أو القبلي أو الطائفي، وهو ما أكده الميثاق الوطني 1976"إن الاستزادة من النضج السياسي للجماهير وشحن مداركها الثورية هما ما يستهدفه القيام بأي عمل أيديولوجي...والمحاربة الصارمة لكل النعرات الجهوية والقبلية والعشائرية والمحسوبية، وكل ما من شأنه تشتيت الصفوف"¹ والملاحظ في مرحلة الحزب الواحد هو ذوبان التنظيمات التقليدية داخل هياكل الدولة وانخرطت في قسامات الحزب ومنظماته حيث فقدت بنيتها دون أن تفقد روحها وتكيفت مع الوضع بتمثيل نفسها على المستوى المركزي من خلال محافظة بعض العائلات على وجودها في السلطة وفي المجالس المنتخبة بشغل بعض عناصرها للمناصب وسعيها للنمو داخل جسم الدولة طوال فترة الحزب الواحد وتكثيف علاقاتها مع الدولة بالتزلف وتقديم الهدايا للمسؤولين وتحكمها من جهة أخرى في الفئات الاجتماعية من خلال ظهورها كطرف فاعل في الدولة.

تجديد المؤسسات الانتخابية في فترة الأحادية الحزبية كانت عملية إدارية بحتة تفتقر لعامل المنافسة والشفافية، ومشاركة المجتمع فيها لا تغير من نتائجها، فالمجتمع كان على هامش العملية السياسية نظرا لخضوعه لنفوذ بعض العائلات التي كانت تحول بين المجتمع والدولة حيث تقتنص كل جديد لتستفيد منه وتوجه كل الامتيازات لصالحها،

1- الميثاق الوطني، 1976، ص:17

والنظام السياسي المدعم بالشرعية الثورية كانت تمثله هيئات الحزب وأطراف أخرى متفقة معه في التوجّه ومتصارعة في المصالح والتي غالبا ما تصدر قراراتها خارج الإطار الرسمي فتزكي وتعيّن وتقبل وتمنع خارج الإطار القانوني حيث يتم تكيف القانون حسب الغاية، وهو ما أجبر أفراد المجتمع على مسايرتها حفاظا على مكتسباتهم وأمنهم معتمدين على الأعيان كوسائط يخترقون المؤسسات وقوانينها، فصار المجتمع إلى ركود سياسي واجتماعي واقتصادي مقنن أدى هذا الوضع إلى دخول الجزائر في أزمة متعددة الجوانب ترجمها انفجار 1988.

تأكد للجميع فشل النخبة السياسية واهتزاز شرعيتها وتشكل هوة بينها وبين المجتمع، ولإعادة الثقة المفقودة عازمت الدولة على إجراء إصلاحات سياسية وعدلت القوانين والدستور وسمحت بتشكيل أحزاب وأجريت انتخابات تعددية أفضت إلى فوز ساحق للجهة الإسلامية للإنقاذ، التي لم يسمح لها بمواصلة نشاطها السياسي فتوقف المسار الانتخابي ودخلت الجزائر في نفق العنف الذي دام أكثر من عشر سنوات لم تخدم ناراها إلا بعد تطبيق المصالحة وقانون الوئام المدني، ومن نتائج هذه المرحلة زيادة موجات النزوح الريفي وتفاقم الوضع الاجتماعي، هذا الفشل العام جعل الفرد يفقد ثقته بالدولة ويلتجئ لروابطه الاجتماعية القبلية لتحقيق أمنه وحاجياته وهو ما أعاد بعث القبيلة من جديد في الأوساط الشعبية، وتركيز اهتمامه على المعيشة دون الاهتمام بالأمور السياسية.

2.3- الممارسات العرشية والأحزاب السياسية:

2.3(أ)- الممارسات العرشية والأحزاب الديمقراطية: تحليلنا لهذا العنصر لا نركز فيه على الجانب التاريخي والتحديد المفاهيمي لمصطلح الديمقراطية وسنقتصر على جانبها العملي وهو ما يهمنّا في هذا البحث، فتعتبر الانتخابات وسيلة ديمقراطية للتناوب على السلطة في المجتمع وحق للمواطن يكفله قانون الجمهورية المسطر في الدستور من أجل اختيار ممثليه دون وساطة في المجالس البلدية والولائية والوطنية التي يلقي على عاتقها

تسيير شؤون المجتمع من خلال إعطائها دور التشريع والرقابة، سعت الدول العربية حديثة الاستقلال لتطبيق الديمقراطية على الطراز الغربي لكنها فشلت في ذلك وبقيت غارقة في صراعات وحروب لعقود من الزمن، ومن أهم العقبات التي وقفت في وجه هذا الانتقال جانب سياسي متعلق بالدولة ويتمثل في عدم جديتها في مسألة التناوب السلمي على السلطة، بحيث لم توفر الأطر القانونية والمادية الملائمة لذلك وربطت السلطة بشخصيات كاريزمية معينة إضافة إلى تعاضد دور المؤسسة العسكرية في المجال السياسي، وجانب اجتماعي متعلق بذهنيات ترفض الديمقراطية وتعتبرها أيديولوجيا غريبة معادية، مما جعل المجتمع يتشبث ببناء التقليدية أكثر، وهو ما يفسر استمرار ظاهرة العرشية التي مازالت توجه أفكار وسلوكات أفراد المجتمع وتعمل كمنطل للدبلوماسية القبلية وكوسيط يفاوض ويناور ويحالف لتحقيق أهداف المجتمع، فإذا كان الانتماء والولاء للعرش بدل الدولة فهذا قد يعبر عن انفصام في الهوية يعارض تشكيل الدولة الحديثة، فالفرد هنا يعيش بشخصيتين وانتماءين¹ في حياته اليومية يمارس الجهوية بنهم لكنه رسمياً يعلن عن مواقف معادية لها¹ ومن مؤشرات ذلك تطبيق القانون العرفي الذي يسود الأسواق وفي بعض قضايا الأسرة والعقارات بدل قانون الدولة فيطبق باستناده لحكم الجماعة المتشكلة من الأعيان ورجال الدين بدل الدولة ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية هذه الأخيرة التي تقدم الديمقراطية كبديل ووسيلة لتحقيق المجتمع المدني.

33- الجدول رقم (33): يبين علاقة أفراد العينة بالعملية الديمقراطية

العلاقة بالديمقراطية	التكرار	النسبة المئوية
تركيزية	145	90,6%
اختيار	15	9,4%
المجموع	160	100,0%

1- عبد الناصر جابي، الانتخابات، الدولة، المجتمع، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، صص: 28

نستخلص من خلال هذا الجدول أن عملية الانتخاب تحولت إلى عملية تركية ومصادقة على أسماء أو قوائم سواء في عهد الحزب الواحد أو التعددية الحزبية وهو ما أكدته 90,6% من أفراد العينة، فلا يتقدم إلى الانتخابات إلا من تمت تركيته من طرف القوى الاجتماعية والسياسية خارج الإطار الرسمي المعتمد على النزاهة والشفافية، وبالتالي تصبح الانتخابات محسومة قبل حدوثها وغياب المنافسة التي عوضها أعيان العرش وأطراف من الإدارة وجماعة المصالح الخاصة أو ما يسمى بجماعة (الكوطة) وغيرهم من الفاعلين، وهذا ما يفسر عزوف أفراد المجتمع على المشاركة في الانتخابات فتدني نسبة المشاركة رغم تجنيد الدولة للطاقات وضخها للأموال في هذه المناسبات يعود لغياب عامل المنافسة وجدية التغيير، فالديمقراطية تعني الاقتراع الحر والنزيه والخاضع لمبدأ تكافؤ الفرص وهي غائبة، والعرشية تعني التعصب والالتفاف والتركيز وهي حاضرة بحضور الأعيان وفاعليتهم حيث تتدخل هذه الفئة في أغلب القضايا المتعلقة بالمجتمع فضلا عن الجانب السياسي حيث يتصدرون المشهد ويوجهون أفراد المجتمع على اعتبار أنهم أكثر خبرة ودراية بالشؤون العامة للمجتمع ولا يعارضهم أحد وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

34- الجدول رقم(34): يبين الفئة التي تتصدر المشهد في رأي المبحوثين

الفئة التي تتصدر المشهد	التكرار	النسبة المئوية
فئة المتقنين	22	13,8%
فئة الشباب	13	8,1%
فئة الأعيان	125	78,1%
المجموع	160	100,0%

يتبين من خلال الجدول أن النسبة العالية من أفراد العينة والتي تمثل 78,1% في رأيها أن الأعيان الذين يمثلون العرش هم من يتصدر المشهد في الأحداث وفي المناسبات وعند زيارة الوفود والمسؤولين السياسيين للمنطقة ولديهم الأولوية في عرض الحال عن المنطقة وإلقاء الخطاب باسم المجتمع، ويأتي المثقفون في الدرجة الثانية بنسبة 13,8% فالمثقف يبقى دائماً ابناً للبلد والمنطقة التي تعبت في تنشئته وتربيته وأوصلته إلى ما هو عليه، فلا يمكنه بأي حال أن يتجرأ ويتحدث أمام الأب إلا إذا سمح الأب بذلك، والأب هنا ليس البيولوجي فقط ففي كل حقل وفضاء اجتماعي أب، ففي المشهد المصور أننا نعتبر كل فرد من الأعيان أب تستوجب طاعته في عرف المنطقة، ويعتبر الأب في جميع المستويات سواء كان البيولوجي أو المعلم والإمام أو أحد الأعيان والشيوخ أو الحكام والرؤساء نموذجاً مثالياً محترماً يقتدي به أفراد المجتمع ويحاكون تصرفاته ومواقفه ويتقمصون شخصيته، كما أن أفراد عائلة هذا الشخص يحاولون توارث هذا المنصب والمكانة مثل توارث الصنعة ويتنافسون مع عائلات أخرى للمحافظة على الرتبة الاجتماعية بالحرص على تنشئة الأبناء على نفس النموذج سواء كان يمتلك سلطة دينية أو اجتماعية أو سياسية، ويتم التنافس باستعمال الأحزاب كمطايا لتحقيق أهدافهم وهو ما يبينه الجدول التالي:

35- جدول رقم (35): يبين طبيعة التنافس في رأي أفراد العينة

النسبة المئوية	التكرار	طبيعة التنافس
85,0%	136	تنافس العروش
15,0%	24	تنافس الأحزاب
100,0%	160	المجموع

تبين من خلال هذا الجدول أن نسبة 85,0% من أفراد العينة يرون أن التنافس في الانتخابات يتم بين المجموعات العرشية وليس بين الأحزاب هذه الأخيرة التي أنشئت

لتحمل برامج سياسية تشخص المشكلات وتقتراح الحلول وفق إيديولوجيات واستراتيجيات يضعها منظروا الحزب على المستوى المحلي والعام على حد سواء، تقوم بعرضها على المجتمع الذي يختارها ديمقراطيا لأجل خططها، لكن هذا لم يحدث في واقع مجتمعنا فالأحزاب تمثل هياكل وقنوات مفرغة تتخذها الشخصيات والمجموعات العرشية كشرط قانوني وكمطية توصلها إلى المناصب والاستحواذ على المجالس البلدية والولائية ولا يهمنها في ذلك برنامج الحزب ولا توجهاته، فالقبيلة(العرش) أقوى من أي إيديولوجيا، يقول إبراهيم سعدي بهذا الصدد" فلا الدين ولا حرب التحرير والإيديولوجيات التي سادت بعد الاستقلال أمكنها اجتثاث الارتباطات التقليدية من ذهنية الجزائريين، فهكذا ضل الفرد الجزائري يحسن بالدرجة الأولى إلى جماعة ضيقة هي الجماعة التقليدية التي تحيل إلى القبيلة وإلى العرش وإلى العشيرة"¹، أما 15,0% من أفراد العينة فيرون أن التنافس يتم بين الأحزاب السياسية وبرامجها وهي فئة قليلة من المجتمع تناضل عسى أن تصل يوما إلى تحقيق هدفها وهو تطبيق الديمقراطية في سياستها.

3.2.3.ب)- الممارسات العرشية والتيار الإسلامي: ظهر الإسلام كنظام سياسي في الجزيرة العربية داخل مجتمع قبلي تمزقه الصراعات والحروب بين المجموعات العشائرية ويغذيها الجهل والتعصب العرشي وقد كان مجتمعا متخلفا ضعيفا ليس له وزن بين المجتمعات المجاورة من فرس وروم وغيرها، لكنه وفي مدة قصيرة شكل دولة، ولم يكن النظام الإسلامي ضد القبيلة فقد اعترف بها وذكرت في بعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى: "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"² وقوله "وأندر عشيرتك الأقربين"³ حيث شكلت

1- أنظر، محمد بن يوب، مرجع سابق، ص:327

2- سورة، الحجرات، الآية:13

3- سورة الشعراء، الآية:213

القبيلة أداة لحماية الدعوة الإسلامية في بدايتها وتحملت عبئها، فقد تحملت عشيرة النبي (بني هاشم) مقاطعة قريش وحلفائها ومحاصرتهم لها ثلاث سنوات في شعاب مكة، ولم تجرأ القبائل على إلحاق الضرر بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفا من رد فعل قبيلته، وبالتالي فقد اعتمد الإسلام على القبيلة والنظام القبلي في البداية وجمع تلك القبائل تحت راية الإسلام فأزروه ونصروه خاصة بعد هجرته إلى يثرب أين أسس دولة الإسلام. اختفت العرشية وتشكلت على إثرها الدولة الإسلامية من المسلمين الذين تباينت أنسابهم ومناطقهم، لكن تجمعهم أخوة الدين، فشهادة التوحيد والإيمان بالله تجعلهم إخوة في الله ويعتبر الكافر عدو للمسلم حتى ولو كان قريبه حيث تكسرت رابطة النسب إذا لم ترفق بالإيمان، يقول الباري جل وعلا " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ..."¹، وقد انصهرت جميع القبائل في مجتمع المهاجرين والأنصار حيث سحقت العرشية ولم يعد لها تأثير وقد أوضح ذلك الصحابي سلمان الفارسي في البيت الشعري المشهور.

أبي الإسلام لا أب لي سواه - إذا افتخروا بقبس أو تميم

لقد أحدث المد الإسلامي تغييرا كبيرا في البنية الاجتماعية، فأصبحت وحدة المجتمع البنائية هي الفرد المسلم الذي كان ولاءه وانتمائه للإسلام فقط ومعيار التفاضل بين المسلمين هو التقوى والعمل الصالح مما شجع الأداء الفردي وأعطى دولة المسلمين قوة واستقرارا، كما أحدث تغييرا ثقافيا فحوّلها من أمة تغرق في الجاهلية والتعصب إلى أمة حاملة لرسالة حضارية فتحت غالبية دول العالم في وقت قصير، وفي نفس الوقت حارب رسول الإسلام القبليّة (العرشية) كونها ممارسة تعصبية فئوية مفككة للمجتمع ووصفها بالنتانة والقدارة بقوله: "دعوها فإنها منتنة"² وسماها بدعوى الجاهلية وحذر من عواقبها،

1- سورة المجادلة، الآية: 22

2- حديث شريف، أخرجه أحمد في مسنده ، (7550)، من حديث أبي هريرة.

فلم تضعف دولة الإسلام وتسقط الخلافة إلا بسببها بعد تفشي وباء العروشية داخل جسم المجتمع المسلم، وأول بوادرها كان توريث الخلافة والحكم حيث اقترنت تسمية الدول والإمارات بالنسب القبلي كدولة بني أمية مثلا ودولة العباسيين وغيرها، وبذلك فُتح باب الصراع وأعيد إنتاج القبيلة من جديد وتجددت العصبية العرشية التي أجبت الحرب بين المسلمين واستعادت دورها كأداة أساسية للوصول إلى الحكم ووسيلة للمحافظة عليه، كما عبر عن ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته "صار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة، من تحري الدين ومذاهبه، والجري على مناهج الحق، ولم يظهر التغيير إلا في الوازع الذي كان ديناً، ثم انقلب عصبية وسيفاً"¹.

ضعفت العرشية في فترة الوجود الاستعماري بعد انتشار الوعي الديني على يد المصلحين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، الذين كشفوا مخططات الاستعمار الصليبية، فتنبي الشعب الجزائري فكرة الجهاد والاستشهاد وأشعلها ثورة دينية.

لم تتجح الدولة المستقلة في استثمار عناصر الهوية، وكانت أحداث 1988 دليل على الغضب الشعبي على اختيارات النخبة الحاكمة وكانت نتيجتها الفوز الساحق لحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ في المجالس المحلية والبرلمان، وفي تلك الفترة اختفت العروشية بحضور البديل الإسلامي على لسان كثير ممن شهدوا المرحلة، ولما أقل نجم الإسلاميين بعد التسعينات عادت العصبية القبلية بقوة لتحقق للفرد ما عجزت عليه الدولة من أمن واحتياجات ووفرت له سلطة قريبة تقليدية معتمدة على قواعد (الحسب والنسب)، وقد يرجع ذلك أبوية الأسرة وهذا الجدول يبين علاقة القيادة العائلية بالاجتماعية.

1- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج:2، ص:718

3.2.3(ب)- السلطة العرشية والسلطة الحزبية:

36- جدول رقم(36):يبين علاقة القيادة في العائلة وتصدر المشهد في المجتمع.

المجموع		تصدر المشهد في المجتمع				تصدر المشهد القيادة في العائلة	
		الأعيان		النخبة السياسية			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
90%	144	82.5%	132	7.5%	12	الأب	القيادة في العائلة
4.37%	07	4.37%	07	00%	00	الأم	
1.87%	03	00%	00	1.87%	03	الأخ	
3.75%	06	1.87%	03	1.87%	03	أخرى	
100%	160	88.75%	142	11.25%	18	المجموع	

تعتبر العائلة المشكلة من أفراد مختلفي السن والمكانة والدور وحدة بنائية اجتماعية غير متجزئة تمثل صورة ونموذجاً نستطيع إسقاط خصائصها وما يحدث فيها عن المجتمع الكبير، ومن أهم خصائصها الأبوية في العائلة وفي المجتمع الكبير، فمجتمع البحث كجزء من المجتمع الجزائري يعتبر القيادة في العائلة بيد الأب وهو ما عبّر عنه 90% من المبحوثين، فالعائلة الجزائرية أبوية بطريقية، وتنتقل هذه السلطة أو القيادة إلى الابن الأكبر أو الأم عند غياب أو وفاة الأب، وينطبق هذا النظام على المجتمع الكبير حيث العشيرة والقبيلة، ولمجتمع البحث أعيان وهم كبار العائلات لديهم سلطة اجتماعية موازية للسلطة الرسمية وقد تسبقها، لأن هؤلاء الأعيان يمثلون المجتمع المكوّن من عائلات ويتكلمون نيابة عنه، أي يتصدرون المشهد في جميع المناسبات الاجتماعية والسياسية والثقافية في رأي 88.75% من أفراد العينة لذلك فهم كبار المجتمع وقادته، أما 11.25% من المبحوثين فتري أن النخبة السياسية هم القادة الذين يتصدرون المشهد، وهم أكثر تأثيراً في المجتمع الذي يعتبر أبناؤه الانتماء العرشي فوق كل اعتبار.

37- جدول رقم(37): يبين علاقة أهمية النسب بطبيعة التنافس السياسي.

المجموع		طبيعة التنافس السياسي				طبيعة التنافس	
		تنافس أحزاب		تنافس عروش		أهمية النسب	
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
%75.62	121	%7.5	12	%68.12	109	شرف	أهمية النسب
%18.75	30	%5.62	09	%13.12	21	بطاقة تعريف فقط	
%5.62	09	%1.87	03	%3.75	06	لا تهم	
%100	160	%15	24	%85	136	المجموع	

يتبين من خلال قراءة نتائج هذا الجدول أن النسب له أهمية كبيرة عند أفراد العينة فنسبة 75.62% منهم ترى أنه يمثل شرفهم الذي يضحون من أجله ويبدلون جهدهم لإعلاء قدره وتخليد اسمه أي اسم القبيلة أو العشيرة، لهذا فالتنافس الانتخابي ما هو إلا معركة في صراع عرشي طويل لإثبات الذات القبلية وللمحافظة على الموقع في خارطة الجيوسياسية، لأن السقوط في الانتخابات داخل هذه البيئة المشحونة بالصراع المستمر قد يؤدي بالبعض (المهزوم) إلى الرحيل والهجرة بعيدا عن حياة الذل والانتقاص، فالعرش الفائز عادة ما تظهر على أفرادها أعراض الفخر والتهكم بالمنافسين، وهنا الواقع يبين أن لا علاقة للأحزاب والشعارات الديمقراطية بالمجتمع فنسبة 85% من أفراد العينة ترى أن التنافس الانتخابي هو تنافس عروش وليس أحزاب، فالحزب السياسي أنشئ لينشط داخل مجتمع مدني، لكن مجتمع البحث هو مجتمع قبلي(عرشي) يلعب فيه النسب دورا أساسيا في مجال التنافس.

38- جدول رقم(38): يبين علاقة معايير التنشئة والفئة المؤثرة في المجتمع.

المجموع		الفئة المؤثرة في المجتمع				الفئة المؤثرة معايير التنشئة	
		النخبة السياسية		الأعيان			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
94.37%	151	20.62%	33	73.75%	118	القيم المحافظة	معايير
5.62%	09	1.87%	03	3.75%	06	قيم التحرر	التنشئة
100%	160	22.5%	36	77.5%	124	المجموع	

يتم تنشئة الأبناء في مجتمع البحث على القيم المحافظة ومنها الحياء وطاعة الكبار أي الوالدين في العائلة والأعيان في المجتمع لأنهم أكبر سنا وأكثر خبرة ومشورتهم والخضوع لرأي الجماعة ونكران الذات الفردية وغيرها وهو رأي 94.37% من أفراد العينة، وبما أن الانتخابات هي أمر عام ومصيري بالنسبة للمجتمع يتطلب رأي سديد وخبرة فلا بد أن يكون لجماعة الأعيان وهم كبار العائلات في المجتمع تأثير ورأي ومشورة قبل أي فئة أخرى، فهم من يقرر في الأخير لمن تكون النصر والغلبة وهو رأي 77.5% من المبحوثين، ولا يمكن لأفراد المجتمع رفض أوامر كبار العرش لأن ذلك سيكلفهم (دعوة الشر)¹، وبالتالي فالتنشئة على القيم المحافظة تجعل الأعيان وهم كبار العرش يتصرفون في الشأن السياسي بكل حرية، كما أن التجاور في السكن يجعل الفرد ينتمي لمجموعته القرابية أكثر من أي إنماء آخر وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

¹- وتعني دعاء كبار الجماعة على من يخالف رأيها ويخرج عنها بالشر أي بالمرض والفقر وسوء الخاتمة.

39- جدول رقم(39): يبين علاقة التجاور في السكن وطبيعة التنافس السياسي.

المجموع		طبيعة التنافس السياسي				التنافس التجاور	
		تنافس عروش		تنافس أحزاب			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
%77.5	124	%64.37	103	%13.12	21	نعم	حي خاص
%22.5	36	%20.62	33	%1.78	03	لا	بالعرش
%100	160	%85	136	%15	24	المجموع	

يتبين من خلال هذا الجدول أن 85% من أفراد العينة يقرون بأن التنافس في الانتخابات إنما هو في الحقيقة تنافس بين مجموعات عرشية، ولعل السبب في ذلك هو التقايل والتمايز الاجتماعي الذي من أهم عناصره عدم الامتزاج والتفاعل التلقائي حيث كل مجموعة عرشية يتجاور أفرادها في السكن ويشكلون حيا خاصا بهم أو قرية يتفاعل أفرادها فيما بينهم مما يجعلهم يشكلون كتلة واحدة تعلي قيم الجمعية وتسحق الفردية، فنسبة 77.5% من أفراد العينة يقرون بوجود جهة أو حي خاص بأقاربهم أو عرشهم ومن هذا المنطلق يتشكل الموقف (نحن وهم) وتحدث فواصل اجتماعية وسياسية وحتى ثقافية بين المجموعات المتجاورة ويكون بذلك التنافس الانتخابي ظاهره حزبي وجوهره عرشي.

تحليل نتائج الفرضية الأولى:

انطلق بحثنا من سؤال الإشكالية المطروح حول تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية في إنتاج المؤسسات الانتخابية، وكانت الفرضية الأولى المقترحة كإجابة مؤقتة عن سؤالنا هي كالتالي: الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية تجعل الممارسات الرسمية داخل الأحزاب والمؤسسات العمومية تخضع للمعايير القبلية.

وقد استخلصنا من خلال مقابلات المبحوثين وتحليل الاستبيانات أن الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية في مجتمع ولاية الجلفة تميزها العرشية نتيجة تمسك أفرادها بالقيم المحافظة وبالعادة والتقاليد القبلية بنسبة 94,4%، ويتم اكتساب هذه القيم والقواعد عن طريق عمليات التقنين والتقليد والضبط أين يستعمل الثواب والعقاب، فبالضبط الاجتماعي حافظ المجتمع على استمرار سماته التقليدية وقاوم التغيير، فالعائلات المعتمدة على آلية الضبط في التنشئة مثلت 65,6% من المبحوثين وساعد في ذلك أبوية الأسرة حيث مثلت نسبة 91,8% من أسر المبحوثين حيث تتدخل العائلة في جميع شؤون الأبناء الخاصة والعامية، وقد اعتمدنا في رصد الممارسات الاجتماعية على مجموعة من المؤشرات وكان تحقيقها إيجابيا عند أفراد العينة وأسرهم وتتمثل في التقارب المجالي في السكن لعائلات المبحوثين مما يسمح بالتلازم الدائم الذي يؤدي إلى تنمية روح الجماعة وتقوية روابطها ويساعد في ذلك التواصل والتضامن وتطبيق العرف وتعريف الأبناء بذويهم وبنسبهم لزيادة الوعي القبلي.

يمارس الفرد نشاطاته ضمن وسط يطبق القوانين العرفية في الأسواق والفضاءات الاجتماعية العامة، ويهدف اكتساب وتبني قواعد العروشية إلى التكيف معها لاستثمارها لصالحه ولصالح عائلته، ومن جهة أخرى فقد خلصنا إلى تأكيد تمسك الأفراد بالأرض العروشية وبخدمتها واستمرار النشاط الاقتصادي المقتصر على الفلاحة والرعي بالدرجة

الأولى والذي لم يتطور وبقي يسير بآليات ومعايير تقليدية لا سيما جانب العلاقات التي تنعكس على الجانب الاجتماعي مثل فرض التقاليد للزواج الداخلي، كلها عوامل شكلت بيئة اجتماعية طبيعية متكاملة لإعادة إنتاج العرش ونمو ظاهرة العروشية.

الثقافة التقليدية تشكل منظومة تسير الحياة الاجتماعية بجميع مكوناتها معتمدة على معايير وأعراف وقيم محافظة مستمدة من مبادئ الدين والموروث الثقافي القبلي تشكل بنية المخيال الاجتماعي المشترك، يعاد إنتاجها عن طريق تنشئة اجتماعية تتبنى تلك القيم والمعايير وتدعمها بالحكم والأمثال والأسطورة، إضافة إلى ممارسة الطقوس والاحتفالات المرتبطة بالقبيلة كاستمرار ظاهرة الوعدة.

استعمال الرأسمال الرمزي للقبيلة في الجوانب المختلفة للحياة العامة كتسمية الأفراد والأحياء وبعض المؤسسات والمواد المنتجة والهيئات والمنظمات تسمية عرشية ناهيك عن توجيه النشاط الفني من شعر ورقص وغناء في المواسم الثقافية لتأكيد الانتماء العرشي وخصوصيته لإثبات التمايز الاجتماعي خدمة للعروشية وإعادة بعثها من جديد إضافة إلى تعامل الفرد في المؤسسات العمومية بمعيار القبيلية(العرشية) حتى أثناء تعامله الرسمي، وتحت عنوان العرشية والجهوية تكيف القوانين واللوائح داخل الإدارة لتحقيق المصالح الخاصة بالعرش أو المنطقة، فيستفيد البعض ويمنع آخرون.

فمؤشرات الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية كلها تثبت صحة الفرضية فهي وسائل تنشئة تهدف لإعادة إنتاج القبيلة وتنتشر الوعي القبلي وتطبع المؤسسات الرسمية والسياسية بطابع قبلي وتخرق قوانينها وتسيطر على العلاقات الرسمية داخلها.

الفصل السادس:

تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على الانتخابات

تمهيد:

1- الممارسات العرشية ومراحل العملية الانتخابية

2- المجالس القبلية والمجالس المنتخبة

3- الممارسات العرشية بين القطيعة والتواصل

4- تحليل نتائج الفرضية الثانية.

5- النتائج العامة للدراسة.

- الخاتمة

- المراجع

- الملاحق

الفصل السادس: تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على الانتخابات

تمهيد: إن مصطلح الممارسات العرشية هو مفهوم سياسي أكثر منه مفهوم اجتماعي أو ثقافي فهو مرتبط أساسا بالعلاقات ويعبر عن التحيز والتعصب لفئة قبلية أو قرابية أو مناطقية معينة ولا شك أنّ المجال السياسي في وقتنا الحالي له تأثير في حياة الأفراد اليومية ومستقبلهم لهذا يلجأ الكثير من الأفراد للتكتل عشائريا أو عرشيا لتشكيل كتلة سياسية وانتماء يتم التفاوض عن طريقه لتحقيق مآربها، والتنظيم القبلي وُجد منذ القدم لضبط علاقات الأفراد وتسيير السياسة الخارجية المتعلقة بالمجموعات القبلية.

40 - الجدول رقم (40): يبين مشاركة أفراد العينة في الانتخابات:

المشاركة في الانتخابات	التكرار	النسبة المئوية
دائما	81	50,6%
أحيانا	30	18,8%
نادرا	25	15,6%
أبدا	24	15,0%
المجموع	160	100,0%

نستخلص من الجدول أن مشاركة أفراد المجتمع في الانتخابات كانت محدودة نظرا لأهميته فنسبة 50,6% تشارك دائما في الانتخابات لاعتبارات عديدة استقيناها من التعليل في السؤال الموالي فمنهم من يراه واجب وطني ومنهم من يستغل العملية الانتخابية لقضاء مصالحه وهناك عامل الخوف من السلطة، وقد عرفت عملية الانتخابات في بلادنا عزوفا كبيرا رغم إعطاء الدولة تحفيزات ودعمها بالتغطية الإعلامية وإشهار أهميتها، لكن المجتمع يرى أن العملية تفتقر لعامل التغيير والشفافية وتوصف بالتلفيق والتزوير فنسبة 18,8% يشاركون أحيانا فقط ويدركون أن مشاركتهم شكلية ونتائج الانتخابات محسومة مسبقا وخاصة بعد صدمة التسعينات التي ألغيت فيها نتائج الانتخابات ودخلت

على إثرها الجزائر في دوامة العنف، ونسبة 15,6% نادرا ما تشارك في الانتخابات ومثل هذه النسبة من أفراد العينة لم يشاركوا أبدا في الانتخابات وهنا نستخلص اليأس الذي أصاب ثلث أفراد العينة من جدية عملية الانتخابات وأهميتها في حياتهم.

1- الممارسات العرشية و مراحل العملية الانتخابية:

تستند العملية الانتخابية إلى قوانين تنظيمية تهدف إلى إشراك المواطن في تسيير مؤسسات الدولة أو الإشراف عليها من خلال تشكيل مجالس شعبية ومنظمات ونقابات واتحادات وجمعيات تشكل في مجملها مظهرا من مظاهر الدولة الديمقراطية الحديثة، تتبنى هذه الهيئات على عملية الاقتراع التي تفرز ممثلين عن المجتمع ولكل هيئة صلاحياتها وتخصصها وتتكامل جميعها في تحقيق المجتمع المدني، ومن أهم الاستحقاقات العامة هي المتعلقة بالمجالس الشعبية البلدية والولائية والوطنية لما لها من تأثير مباشر في حياة الأفراد، ولما كانت بهذا الثقل الاجتماعي فإن الترشح لهذه المناصب لا يتطلب كفاءة الشخص ولا نزاهته ولا برنامجه الحزبي، بل يتطلب ما يسنده من عصبية أسرية وقبلية ووفق هذا الاعتبار أصبحت الأحزاب السياسية تولي معيار السند العرشي أهمية كبيرة في بناء القائمة الانتخابية، فهذا البناء يعتمد على معرفة حقيقية بالتركيبة العرشية وتوازنها مع وضع شخصيات قوائم الأحزاب المنافسة في الاعتبار لمعرفة نقاط الضعف والقوة لكل قائمة، وبالتالي أصبحت العرشية لاعبا رئيسيا في الانتخابات التشريعية¹

2- سيطرت "العروشية" على دعم المترشحين في المواعيد الانتخابية جنبا الى جنب مع "الشكارة" ومن يدفع أكثر، لكن هذه المرة أخذت أبعادا كبيرة، إلى درجة اقتصار ترشيح أبناء العروش ودعمهم لتصدر القوائم الانتخابية في مختلف الولايات، خاصة الداخلية من النعمة الى الجلفة، سعيدة، بشار، تندوف ومشرية، وكل مترشح ليس من أبناء العرش يبعد تلقائيا من القائمة، حسب ما صرح لنا به العديد من المترشحين الذين يراهنون على قوة العرش للوصول إلى مقاعد البرلمان وما يتداول هذه الأيام مقولة "عندك عرش تطلع، ما عندكش ما تطلعش"، وأكد لنا أحد أبناء عرش المجاذبية بولاية النعمة أن هذا العرش له دائما ممثل في البرلمان أو مقعد في مجلس الأمة، ونظرا إلى أهمية قوة العروشية في الجزائر فقد اتصل قياديون في أحزاب التحالف السابق (حمس والأرندي والأفان) بشخصيات بارزة من عروش السهوب وأعيان الصحراء لتصدر قوائم الترشيحات لضمان الفوز بأصوات الناخبين منهم ممثلين عن عرش المجاذبية وعرش أولاد سيدي عطا الله وعروش مشرية، وجعل منطق العروشية الوزير الأول أحمد أويحيى يتدخل شخصيا في فرض وزير البيئة الحالي شريف رحمانى لبيتراش القائمة الانتخابية لولاية الجلفة، لأنه ابن عرش "أولاد نايل" القوي في المنطقة، وهو ثالث أكبر عرش في العالم (14 مليون نسمة) وهو موجود في الجزائر والعربية السعودية والمغرب والكثير من البلدان الإفريقية، **أنظر:** موقع النائب السابق د.خوجة إبراهيم، العروشية لاعب رئيسي في الانتخابات التشريعية، الشروق أون لاين 27.03.2012.

فالعملية الانتخابية تحدث ضمن مجال يسميه عالم الاجتماع بيار بورديو بالحقل السياسي ويصفه ب:"المكان حيث تتولد ضمن التنافس بين الفاعلين الذين يجدون أنفسهم متورطين فيه، منتجات سياسية، مشاكل، برامج، تحليلات، تعليقات، مفاهيم، أحداث"¹ ولقد كشفت التجربة الانتخابية أهمية وسريّة مرحلة اختيار المرشحين وفق اعتبارات عرشية لما لها من حسابات سياسية دقيقة وهذا الجدول يبرز أهمية الانتماء العرشي في الترشح.

41- الجدول رقم (41): يبين معيار الترشح للانتخابات في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	معيار الترشح للانتخابات
9,4%	15	مستوى تعليمي
64,4%	103	الانتماء العرش
26,2%	42	المستوى المادي
100,0%	160	المجموع

نستخلص من هذا الجدول أهمية الانتماء العرشي في الانتخابات وخاصة المحلية منها فنسبة 64,4% من المبحوثين ترى أن عملية الترشح تتوقف على انتماء الشخص لعرش قوي يصوت لصالحه فمهما كانت إمكانياته لا تحقق مبتغاه سوى علاقته بعرشه، فالسلطة مرتبطة دائما بالحياة الاجتماعية حيث تصدر عن المجتمع وتتغذى منه لأن النسق السياسي جزء من النسق الاجتماعي العام وبالتالي فمعيار الترشح يرجع بالدرجة الأولى إلى الانحدار العائلي والوزن الاجتماعي للفرد، وعند 26,2% من أفراد العينة يرجع معيار الترشح إلى المستوى المادي للشخص المترشح بحيث يصبح له القدرة على شراء ذمم المصوتين بماله ويبررون موقفهم هذا بمعرفتهم لذهنيات الأفراد التي يميل بعضها إلى الجانب المادي فيبيع ويشترى كل شيء بالمال، أمّا المستوى العلمي فحضه من المبحوثين 9,4% وهي فئة قليلة ترى في الكفاءة والمستوى العلمي المعيار الذي يطبق في

1- بيار بورديو، التمثيل السياسي، ترجمة رشيد شفير، مجلة الفكر العربي، العدد 59، بيروت، 1990، ص: 171

الترشح للانتخابات والملفت للنظر لترتيب ذوي المستويات العلمية العالية في ذيل القائمة الانتخابية، ومن الأدلة التي دعمت هذا القول الضجة الإعلامية التي عقت صدور القوائم الحزبية للانتخابات النيابية الأخيرة في ولاية الجلفة حينما احتل الدكتور ذيل القائمة وتصدرها أصحاب المال والجاه، كما أن ظهور قوائم المرشحين قد يحسم نتائج الانتخابات عندما يظهر الخلل في بعض القوائم وتتناقض بعضها مع المصلحة العرشية وتوازاناتها لكن ضمان فوز القوائم المتقابلة يتطلب حملة انتخابية مركزة وقوية تستخدم آليات وأساليب متنوعة للظفر بأصوات المنتخبين وهو ما يوضحه الجدول التالي:

42 - الجدول رقم (42): مجال تركيز الحملة الانتخابية في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	مجال تركيز الحملة
24,4%	39	شرح البرامج
75,6%	121	التعليق على النسب
00,0%	00	أخرى
100,0%	160	المجموع

يتبين من هذا الجدول أن نسبة 75,6% من أفراد العينة يرون أن الحملة الانتخابية تتمركز حول نسب المرشحين للانتخابات وحسبهم ففي هذه الفترة تستثار العواطف والحمية العصبية للمنطقة أو العرش، وتقام ولائم يحضرها الأعيان الذين ينشطون الحملة بخطاباتهم المدعمة بالرموز والأمثال الشعبية مثل "حمارنا ولا عود الناس" والحكم مثل "خوك خوك لا يغرك صاحبك" ويتم عرض التاريخ العرشي المدعم بالمناقب والأساطير والانتصارات بهدف استثارت العواطف ودعوة أبناء العرش والمنطقة للحضور والمشاركة في الانتخابات وتجنيب كل الإمكانيات لنجاح المرشح أو القائمة، والحزب هنا لا يعبر عن أيديولوجيا أو توجه سياسي بل يعتبر وعاء فقط للشخصيات أو الإطار القانوني لقبولهم كمرشحين، وفي هذه المرحلة يبرم عقد بين المرشح وعرشه أو منطقتة ويلتزم

بالعمل على خدمتهم بكل الوسائل المتاحة، وتعد تحالفات مع المجموعات العرشية الأخرى والأحزاب وتوضع استراتيجيات للفوز وغالبا ما تحدث صدمات عرشية دفاعا عن الرموز والحدود، وبذلك تتحول المناسبة السياسية إلى مناسبة اجتماعية تحيي القبيلة والانتماء والتماسك القبلي.

فالمناسبات الانتخابية أصبحت محطة اجتماعية يعاد فيها إنتاج وبعث العروشية وبتجديدها تتضاعف فعالية وأهمية العروشية في الحياة السياسية، وبل أصبحت مرتبطة بها أكثر من ارتباطها بالمناسبات الاجتماعية والثقافية، يعتبر الباحث محمد نجيب بوطالب الانتخابات "مجالا خصبا لإحياء العلاقات القرابية بمعانيها الضيقة والواسعة، وهذا ما أدى ببعض المجموعات إلى الاستناد بالهوية القبلية التي عادة ما يحركها عاملا النفوذ السياسي للجماعة والمردودية الموسمية للأرض"¹ وتمثل نسبة 24,4% من أفراد العينة من يرون أن الحملة الانتخابية تتمحور حول شرح البرامج الحزبية وهي تقارب ربع المبحوثين دلالة على أن قواعد الديمقراطية بدأت تترسم في وعي أفراد المجتمع وتظهر على سلوكها تهم السياسية رغم بعض العوامل التي تحول دون الانتقال إلى المناخ الديمقراطي منها على سبيل المثال أن الأحزاب التي تدعوا السلطة إلى تطبيق الديمقراطية والشفافية وتكافؤ الفرص هي لم تطبقها داخل الحزب، وفترة الحملة الانتخابية عادة تنتهي قبل يوم التصويت بحيث يكون المصوّت مبرمجا لأداء عملية الانتخاب وفق توجيهات الحملة وهو ما يبيئه الجدول التالي:

1- محمد نجيب بوطالب، مرجع سابق، ص: 163

43 - الجدول رقم (43): مجال تركيز الناخب في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	مجال تركيز الناخب
15,0%	24	الحزب
79,4%	127	النسب
05,6%	09	الكفاءة
100,0%	160	المجموع

من خلال قراءة هذا الجدول نجد نسبة 79,4% من أفراد العينة يرون أن الناخب حين يتوجه لمركز الاقتراع لا يهّمه الأحزاب وإيديولوجياتها المتباينة ولا يأبه بكون المرشح ذو كفاءة وخبرة بل الذي يهّمه نسب المرشحين فإن كان بينهما تقاطع نسب سيصوت عليه "هذا لينا-من قاشينا، نعاونوه بصويتاتنا" وهذه الحالة نجدها خاصة في انتخابات المجلس الولائي والوطني حيث يكونا أقل أهمية من المجلس البلدي لأن هذا الأخير أقرب للأفراد وأكثر تفاعلا معهم، وتوجد نسبة 15,0% من المبحوثين يركزون اهتمامهم على الحزب السياسي وبرنامجه، فمن الناخبين مناضلين في أحزاب ومنهم الذين يؤمنون بالديمقراطية المتتبعين للبرنامج الحملة والأطروحات فمن اقتنع به صوت عنه، ومن الناخبين من يركز على الكفاءة ويمثلون نسبة 05,6% ولا يهتم بنسب المرشح ولا انتمائه الحزبي بل يختاره لكفاءته وتجربته، فبعض الشخصيات اكتسبت سمعة حسنة بعد توليها مناصب فأصبحت محل إعجاب وتأييد من طرف المجتمع حيث يفوزون بنسب عالية من الأصوات رغم ترشح بعضهم في قوائم حرّة وهم نسبة قليلة، وهو ما أكد عنه الميثاق الوطني "يجب السهر بصفة خاصة على أن يخضع اختيار المرشحين لمقاييس صارمة تعطي الأولوية لمعايير الكفاءة والإخلاص للمصلحة العامة والالتزام الذي يتأكد من خلال العمل اليومي"¹ هذا التباين في المواقف يجعل المجتمع يمر بفترة توتر اجتماعي قد تنبئ بحدوث الصدام وهذا التوتر تسببه عوامل يبينها الجدول التالي:

1- الميثاق الوطني، 1976، ص ص 77-78

44 - الجدول رقم (44): أسباب التوتر في رأي المبحوثين

أسباب التوتر	التكرار	النسبة المئوية
التعصب للحزب	21	13,1%
التعصب للعرش	136	85,0%
أخرى	03	01,9%
المجموع	160	100,0%

توضح معطيات هذا الجدول أن نسبة 85,0% من أفراد العينة يعزون التوتر الذي يحدث في فترة الانتخابات إلى التعصب العرشي، وهي فترة حرجة يمر بها المجتمع حيث يحصل الترشق بالكلام والمشادات العنيفة أحيانا ويزداد التشاحن الذي يصل إلى ذروته في يوم الاقتراع، وخاصة في الانتخابات المحلية، في حين نجد نسبة 13,1% من المبحوثين يرجعون سبب التوتر إلى التعصب الحزبي وهو أقل حدة من الأول وقد لا يجر إلى العنف وقد يبقى على قنوات الحوار والتفاوض من أجل التحالف الذي يفرز نتائج الانتخابات، يعود الفوز عادة في المحليات وخاصة في القرى والمدن الصغيرة إلى الأغلبية والتي يتقاسمها النشطون في الحملة الانتخابية وهم أصحاب المال وأصحاب العرش القوي وسنعرف ذلك من خلال قراءة الجدول التالي:

45 - الجدول رقم (45): مرجعية الفوز في الانتخابات المحلية في رأي المبحوثين

مرجعية الفوز في الانتخابات	التكرار	النسبة المئوية
أصحاب المال	63	39,4%
العرش السائد	91	56,9%
المعارضة	06	03,7%
المجموع	160	100,0%

يتبين لنا من بيانات الجدول أن نسبة 56,9% من المبحوثين يرجعون الفوز لمن له عرش قوي يدعمه، فالفئة الغالبة في عددها تخضع لها الفئات القليلة وتضطرها للتحالف معها لاقتناعها بفوز مرشحها لكونه مرشح الأغلبية، لهذا تتسابق الأقليات لنيل رضا الفئة المسيطرة، وبالتالي تتضاعف حضورها في الفوز بأغلبية المقاعد، إننا بالفعل عندما نلاحظ الشكل الذي تأخذه المشاركة السياسية على المستوى المحلي، نستخلص أنها تتم عبر العلاقات القرابية والشخصية، بل وتصبح العلاقات القبلية عنصرا يراهن به في خضم الصراع والتنافس حول السلطة¹ فالتعصب القبلي يضمن الأصوات لمرشح القبيلة ويسخر له المنافسين ويحميه ويوفر له الدعم المادي والمعنوي ليصبح قائدا حقيقيا، فنتحول المناسبة الانتخابية إلى مناسبة لإحياء العواطف القبلية والتعصب والنعرات وتجديد التواصل والتماسك القبلي، وقد تمثل الممارسات العرشية الدافع والمحفز للمشاركة السياسية لارتباطها بمسألة النيف (التعصب والتناصر).

هناك فئة أخرى لا تقل أهمية في قدرة تحكمها وجلبها لأصوات المنتخبين وهي أصحاب المال (الشكارة) الذين يسخرونه لشراء المناصب واستغلال ذوي التوجه المادي الذين يرون في مناسبة الانتخابات فرصة لجمع مبالغ مالية تسد بعض حاجياتهم، فنسبة 39,4% من أفراد العينة يرون فوز هؤلاء نظرا لإغراءاتهم المادية وضخهم للأموال حين الترشح لتصدر القوائم الانتخابية ثم يغمرهم الحملة الانتخابية بالولائم وتوزيع الهبات والعطايا وفي يوم الاقتراع يحددون ثمن الصوت الانتخابي ويجندون أعوانهم لدفع المبالغ لمن يبيع صوته، وهكذا تصير الانتخابات سوقا يشتري القائمة الحزبية ويشترى الأصوات ليحصل على المنصب فيستغله ليسترجع أضعاف ما دفعه من خلال التصرف في فواتير المشاريع التنموية، أو ما يسميه بيار بورديو بالسوق السياسية الخاضعة لقاعدة العرض والطلب ومن أدلة ذلك شيوع الفساد وإسناد المشاريع لمقاولين يرضونهم وتضخيم فواتير

1- رحمة بورقية، مرجع سابق، ص: 165

وميزانيات التسيير مما أوقف كثير من أعضاء المجالس ورؤسائها أمام القضاء كمتهمين بتبديد الأموال العامة واختلاسها وسوء التسيير.

تمثل نسبة 3,7% من المبحوثين الذين يرون الفوز لمن يعارض النظام السياسي القائم مستندين إلى نقده وفي الوقت نفسه يقدمون البدائل لحل العضلات ويقترحون مشاريع في كل المجالات، وهذا قلّ ما نجده في ممارسات مجتمعنا السياسية، فثقافة الديمقراطية لم تصل بعد إلى مرحلة النضج عند أفراد مجتمعنا، ولم يصلوا إلى نقد البرامج واقتراح المشاريع، بل ما زالت ثقافة العشائرية تسيطر على ذهنيات أعضاء المجالس الفائزة في الانتخابات فكل منهم يلتزم بخدمة عشيرته التي قدّمتها ومصلحتها قبل خدمة الصالح العام وهو ما تثبته بيانات الجدول التالي:

46 - الجدول رقم (46): التمثيل السياسي في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	التمثيل السياسي
26,2%	42	يمثل الجميع
73,8%	118	يمثل منتخبه
100,0%	160	المجموع

نستخلص من قراءة هذا الجدول أن نسبة 73,8% من المبحوثين ترى أن الفائز في الانتخابات يمثل عرشه أو منطقته فقط، لأنه قد أبرم في الحملة الانتخابية عقداً بينه وبين منتخبيه يلتزم فيه بخدمتهم إن نجح، فيصبح بذلك ممثلاً لهم فقط بدل تمثيله لكل المجتمع ويدافع عن مصالحهم بدل دفاعه عن الصالح العام، وبالتالي تتجسد العرشية بأتم معانيها حيث يُسخر إمكانات المؤسسة العمومية لصالح فئة معينة، ويحاول توجيه المشاريع التنموية لجهة محددة.

يظهر التعصّب العرشي في السلوكات والمواقف بأوضح تجلياته من خلال توصيل المعلومات لفئة معينة في حين يتم التكتّم على العامة ويسهل لفئة محددة استخراج الوثائق

والملفات المطلوبة للاستفادة ويعرقل الباقي، وتنسج قوائم الاستفادة خارج الإطار الرسمي، ويتم توزيع المعونات والسكنات وقطع الأراضي والمناصب والامتيازات وفق قاعدة (الكوطة) التي تخضع لنسبة الفئة العرشية وتمثيلها السياسي، وعادة يكون للمرشحين أعوان من الإدارة كعيون يقدمون الدعم والخبرة لتحقيق احتياجات أبناء العرش وتتوسع شبكة التضامنيات والمصالح في مؤسسات أخرى متعددة، يقول محمد هشماوي بهذا الصدد "ويتعلق الأمر بموازن قوى متشابكة ومتقاطعة بين جماعات وشبكات ولاء ونفوذ، وبين قواعد انتماء شتى، ووعود انتخابية، واستراتيجيات وموارد متاحة لدى مختلف الفاعلين من أجل التبادل الاجتماعي ومن أجل تكريس عملية " (خد وهات)"¹، أما 26,2% من المبحوثين فيرون أن الفائز في الانتخابات يمثل جميع أفراد المجتمع دون تمييز وهو مبدأ ديمقراطي حيث يتولى مسؤولياته كاملة ويعمل للصالح العام ولا يفرق بين من انتخبه ومن كان ضده، وهذه النسبة تشير إلى التغيير الحاصل في مواقف واتجاهات بعض أفراد المجتمع وكتعبير عن ارتفاع مستوى الوعي السياسي لديهم وخاصة فئة المثقفين، لكن الوسط الاجتماعي يؤثر على السلوك السياسي لان معيار الأغلبية يسري على الأقلية، فإذا كان العقد مبرما بين العرش وممثله فيعتبر من هو خارج العرش الفائز مصنفا في المرتبة الموالية حتما حينما يطالب بحقوقه، وهذا المبدأ يفرضه الأعيان الذين تعود إليهم الكلمة وهو ما يوضحه الجدول التالي:

47- جدول رقم (47): الفئة الفاعلة في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	الفئة الفاعلة
22,5%	36	السياسيين
77,5%	124	الأعيان
100,0%	160	المجموع

1- أنظر محمد بن يوب، مرجع سابق، ص: 374

بيانات الجدول تؤكد أن نسبة 77,5% من أفراد العينة يرون أن الفئة الفاعلة والتي بيدها الحل والربط في المجتمع هي فئة الأعيان التي تمثل واجهة المجتمع بحيث تتوب عنه في الخطاب بحيث تتحدث باسمه وتتصدر المجالس وتتصدر القرارات التي تطبق على المجتمع كسلطة اجتماعية فلا يُراجع لها قول ولا يُرد لها رأي وعادة ما يساندتهم رجال الدين (الطلبة).

يقول الباحث مختار الهراس: "من الواضح لدى ابن خلدون أن التحولات التي تلحق الوحدة العصبية الأولى، أن تفرز الملك كسلطة عليا متميزة، فإنها في نفس الوقت تفرز الجاه كمقياس جديد للترتب الاجتماعي، فتضحي الرتبة الاجتماعية حينئذ رهينة بالموقع الذي يحتله الأفراد... كتعبير أسمى عن الجاه... وإذ يسعى الناس عموما إلى خدمة صاحب الجاه، لما قد يمنحه إياهم من حماية أو مساعدة عند الاحتياج، فإن انتفاعه هذا يؤدي به في وقت وجيز إلى احتلال المراتب الاجتماعية العليا"¹ والسلطة الاجتماعية هنا هرمية قاعدتها الأسرة التي يترأسها الأب وترتقي إلى الجد ثم إلى جماعة العشيرة (كبار العرش) أو الأعيان مدعومة بالسلطة الدينية، فجميع أفراد المجتمع يجلبونهم ويقبلون رؤوسهم تعبيراً عن الطاعة لأن الذي يخرج عن طاعتهم يفقد الاحترام والحماية الاجتماعية والمساندة ويتعرض للتهميش والمقاطعة، لهذا نجد في رضا الأعيان أول خطوة للفوز في الانتخابات، فعندما يصدر أمر من كبار العرش بتزكية مرشح ما سيلتزم جميع أفراد المجتمع بمساندته خوفاً من غضب الأعيان، لأن الذي يتخلف أو يعارض أمرهم سيحرم من جاههم وحمايتهم إن اقتضى الأمر ومن جهة أخرى يتعرض للدعاء عليه (دعوة الشر) التي قد تصيب صحته أو ماله أو عائلته.

يضغط الأعيان على مسؤولي الأحزاب لتسجيل أبناء العشيرة والقبيلة في المراتب الأولى في القوائم الانتخابية ومن ثم يسعى رؤساء الأحزاب لكسب رضا الأعيان من أجل تجنيد

1- المختار الهراس، القبيلة والعصبية، سلسلة كتب المستقبل العربي(31)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص:147

وتعبئة أفراد المجتمع للمشاركة في الانتخاب والتصويت لصالحهم بشكل تبادلي، ومن المبحوثين من يرون أن السياسيين سواء رؤساء الأحزاب أو أصحاب القرار في السلطة هم أكثر فعالية حيث يمثلون نسبة 22,5% من أفراد العينة، لأن السياسيين يستخدمون الأعيان كأدوات لتحقيق أهدافهم، يقول أحمد شنكي بهذا الصدد: "ليس الأمر بجديد أنه طيلة جميع الاستحقاقات أو النزاعات أن يتوجه أصحاب القرار نحو الشيوخ المحليين من أجل التأثير على الأحداث وجلب الأصوات"¹، فيستغل بذلك السياسيون السلطة الدينية والاجتماعية كوسيط للظفر بالمجالس المنتخبة التي تمثل السلطة السياسية.

48- جدول رقم(48): يبين علاقة السكن في جوار الأقارب وطبيعة التمثيل السياسي.

المجموع		طبيعة التمثيل السياسي				طبيعة التمثيل تجاور الأقارب	
		يمثل الحزب		يمثل العرش			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
50.62%	81	11.25%	18	39.37%	63	نعم	تجاور
49.37%	79	15%	24	34.37%	55	لا	الأقارب
100%	160	26.25%	42	73.75%	118	المجموع	

إن استمرار ونمو التجمعات السكنية المشكلة من الأقارب أو العرش الواحد كقيلة بإعطاء صورة حقيقية عن فشل الاندماج الاجتماعي في مجتمعنا فهذه التكتلات تفرز ثقافة عرشية شديدة التأثير على الأفراد ومن أهم سماتها التعصب والتطرف الذي ينشأ عنه الفرد داخل هذه البيئة وهذا نجده في الأحياء المحيطة بالمدن وفي بعض القرى، فنسبة 50.62% من المبحوثين يسكنون بجوار أقاربهم وهذه التجمعات تشكل مع مر الزمن قوة اجتماعية لها تاريخها ورموزها وثقافتها وتمثيلها السياسي، فالمرشح عن هذه الفئة ستشغله اهتمامات أفرادها عن الآخرين ويتعصب لهم بحكم تنشئته الاجتماعية وبالتالي لا يمثل سوى فئته

1- أنظر محمد بن يوب، مرجع سابق، ص:372

العرشية ويعبر عن نجاحه بالدفاع عن حصتها وهو ما يعبر عنه **73.75%** من أفراد العينة وتبقى نسبة **26.25%** من المبحوثين ترى أن المرشح للانتخابات يمثل جميع المواطنين وهي نسبة معبر عن ديمقراطية فتية قد تنموا خاصة في المدن الكبيرة أين بدأت تظهر معالم المجتمع المدني.

49- جدول رقم (49): يبين علاقة المسؤولية تجاه العرش بمجال تركيز الناخب.

المجموع	مجال تركيز الناخب						تركيز الناخب			
	برنامج الحزب		نسب المرشح		الكفاءة		المسؤولية			
	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار				
	85%	136	13.1%	21	68.1%	109	3.75%	06	نعم	المسؤولية
	15%	24	1.78%	03	11.2%	18	1.78%	03	لا	تجاه العرش
	100%	160	14.9%	24	79.3%	127	5.62%	09		المجموع

تعمل التنشئة الاجتماعية التقليدية على تنمية وترسيخ الشعور بالمسؤولية تجاه العائلة ثم الأقارب وأبناء العشيرة ثم القبيلة وأبناء الجهة ثم الوطن والأمة، وذلك حسب ترتيب الدوائر التي ينتمي إليها الفرد، فينشأ الفرد بحكم هذا الانتماء على قيم ومعايير وأعراف تجعله يرى أن من واجبه ومسؤوليته الاجتماعية مساعدتهم حسب ما أوتي من قدرات وإمكانات، لكن هذه المسؤولية تخضع لمبدأ الترتيب، حيث تزداد حدة تجاه الدوائر الضيقة ونعني بذلك القرابة أو العرش لأن أبناء العرش الواحد يشتركون في النسب ويعتبرون بعضهم بعضاً أقارب وهو ما يؤكد العلامة ابن خلدون في مقدمته، لهذا نجد نسبة **85%** من المبحوثين يؤكدون وجود المسؤولية في نفوسهم تجاه العروش التي ينتمون إليها، وهذا ما يجعل الفرد ينظر بالدرجة الأولى حينما ينتخب إلى معيار النسب (إن كان المترشح من عرشه أو لا)، وهو ما يؤكد **79.3%** من المبحوثين، وعند قراءتنا لبعض قوائم المرشحين

نجد أصحاب الشهادات في ذيل القائمة فمعيار البرامج الحزبية **14.9%** والكفاءة **5.62%** حسب نتائج الجدول فهما لا يشغلان اهتمام المنتخب في مجتمعنا وخاصة في الانتخابات المحلية.

50- جدول رقم(50): يبين علاقة نوع التضامن بهدف الفرد في الانتخابات.

المجموع		هدف الانتخاب				الهدف الانتخابي نوع التضامن	
		اختيار برامج		تركيز أشخاص			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
20.62%	33	5.62%	09	15%	24	بالمال	نوع التضامن
7.5%	12	00%	00	7.5%	12	بالجهد	
68.13%	109	1.78%	03	66.25%	106	بالكل	
3.75%	06	1.78%	03	1.78%	03	لا	
100%	160	9.37%	15	90.62%	145	المجموع	

يعد التضامن من السمات التي يتميز بها المجتمع التقليدي الذي يشكل كتلة اجتماعية متجانسة، بحيث لا يستطيع الفرد إخفاء أي شيء فإن حدث له مكروه تجمعوا حوله وعاونوه بالمواساة والجهد والمال، فبنشأ الفرد مستعداً لمعاونة أفراد عشيرته وأقاربه دون شروط ومن هنا نجد أن **96.25%** من المبحوثين يتضامنون مع أبناء عرشهم منهم **68.13%** يتضامنون بالكل أي بالوقوف معهم في الشدائد بالجهد والمال والنصيحة والمواساة وغيرها، وحين يصل موسم الانتخابات عادة ما يسأل أفراد المجتمع عن نسب المرشحين، فنسبة **90.62%** من المبحوثين لا يهمهم اختيار البرامج في الانتخاب بقدر ما يهمهم نسب الأشخاص من أجل تركيتهم، لأن التركيزية في يوم الانتخاب تعتبر وقوف مع المرشح ودعمه وهو نوع من التضامن، ونجد نسبة قليلة جداً من مجتمع البحث ترفض التضامن وهي **3.75%**.

51- جدول رقم(51): يبين علاقة نوع الروابط الاجتماعية بأسس الحملة الانتخابية.

المجموع		أسس الحملة				أسس الحملة نوع الروابط	
		شرح البرامج		التعليق على النسب			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
79.37%	127	18.75%	30	60.62%	97	الدم	نوع الروابط الاجتماعية
7.5%	12	1.78%	03	5.62%	09	الصدائة	
3.75%	06	00%	00	3.75%	06	العمل	
7.5%	12	1.78%	03	5.62%	09	الدين	
1.78%	03	1.78%	03	00%	00	المصلحة	
100%	160	24.37%	39	75.62%	121	المجموع	

تكشف العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في تفاعلهم اليومي عن تباين جديتها واستمرارها بتباين موقع الأطراف المتفاعلة وذلك حسب نوع الروابط التي تجمعهم فأمتن وأدوم الروابط في مجتمع البحث هي رابطة الدم وتمثل نسبة **79.37%** من المبحوثين وتليها رابطة الدين والصدائة لأنهما تابعتين لها، فالإخوة لهم دين واحد وهم أصدقاء وأحبة وعادة ما تشبع الحاجات وتقضى المصالح داخل إطار العرش، لذلك نجد أن الحملة الانتخابية تركز أكثر على نسب المرشح من منطلق (هذا خوكم، هذا بنكم) وهي نسبة **75.62%** لأن المشتغلين بالسياسة يعلمون جيدا ثقل رابطة الدم فيستهلكون وقت الحملة لاستثارة العواطف ويؤججون نار التنافس بين الفئات القبلية المتجاورة ويربطون فوز المرشح بفوز العرش لتسخين الحملة الانتخابية ومضاعفة نسبة المشاركة، ويقتصر الحديث عن البرامج عن الوعود التي تشغل مساحة محدودة من زمن الحملة الانتخابية كما أن المهتمين بشرح البرامج الحزبية يمثلون فئة قليلة **24.37%**.

52- جدول رقم(52): يبين علاقة أهمية النسب بمتطلبات الترشح للانتخابات

المجموع		متطلبات الترشح للانتخابات						متطلبات الترشح	
		مستوى دراسي		عرش قوي		مستوى مادي		أهمية النسب	
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	أهمية النسب	
%75.62	121	%3.75	06	%51.25	82	%20.62	33	شرف	أهمية النسب
%18.75	30	%5.62	09	%7.5	12	%5.62	09	بطاقة تعريف	
%5.62	09	%00	00	%5.62	09	%00	00	لا يهم	
%100	160	%9.37	15	%64.37	103	%26.25	42	المجموع	

للنسب أهمية كبيرة في مجتمع البحث فكل من ينتسب إلى مجموعة عرشية يحمل اسمها وخصالها ويستثمر مناقب كبارها ويستظل بأبطالها فيدافع عنها ويضحي من أجلها لأنها تمثل شرف له فنسبة **75.62%** من المبحوثين تقر بذلك، وعند الترشح للانتخابات لا يكفي نجاح الفرد المادي أو الدراسي بل ينظر إلى عرشه ليتم ترتيبه في القائمة وفق مرتبة عرشه من حيث الكثافة العددية، فنسبة **64.37%** من أفراد العينة ترى أن الانتماء لعرش قوي من أهم متطلبات الترشح للانتخابات، ويأتي في المرتبة الثانية معيار المستوى المادي بنسبة **26.25%** أو ما اصطلح عليه إعلامياً بأصحاب الشكارة حيث يتم شراء القائمة الانتخابية فارغة ثم يتم ترتيب المرشحين الأوائل وفق القواعد التجارية، وقد نكشف ذلك بقراءة بسيطة للقوائم الانتخابية لبعض الأحزاب التي تضع المقاولين ورجال الأعمال في المقدمة وتؤخر الدكاترة وذوي الخبرة الطويلة وقد طالعنا وسائل الإعلام في كثير من عناوينها وصورها عن تفشي هذه الظاهرة في المواسم الانتخابية الفائتة.

53- جدول رقم(53): يبين علاقة توعية الأبناء بنسبهم ومجال تركيز الناخب.

المجموع	مجال تركيز الناخب						مجال التركيز		
	برنامج الحزب		نسب المرشحين		الكفاءة		توعية الأبناء		
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	نعم	لا
%85	136	%15	24	%66.22	106	%3.75	06	نعم	توعية
%15	24	%00	00	%13.12	21	%1.87	03	لا	الأبناء
%100	160	%15	24	%79.37	127	%5.62	09	المجموع	

إن توعية الأبناء بنسبهم لا تعني التعريف بالنسب فقط بل تعني توعيتهم بأهميته وبالواجبات والحقوق ضمن التنظيم الاجتماعي القائم، فتلغى جميع الروابط أمام رابطة النسب وهذا النوع من التنشئة الاجتماعية يتم على مستوى العائلة وهي توعية سياسية يعرف من خلالها الفرد مجموعته العرشية والمجموعات المجاورة ويكتسب أنماط وأدوات التفاعل معها، فنسبة 85% من أفراد العينة تتم توعية أبنائهم بنسبهم وليس بالضرورة أن تكون هذه التوعية في مقتبل العمر بل قد تتأخر إلى سن الشباب، فعملية التنشئة الاجتماعية ليست مرتبطة بزمن أو سن أو بيئة معينة بل هي مستمرة منذ وجود الفرد حتى وفاته، فكثير من المبحوثين صرّحوا بعدم شعورهم بالعروشية في مراحل الطفولة وقد اكتشفوها واكتسبوا ثقافتها بعد سن الشباب أي حينما انخرطوا في المنظمات والنقابات والأحزاب، حيث وجدوا التنافس العرشي هو المسيطر بعد تفاعلهم مع فئات عرشية مختلفة النسب ومتباينة الهدف، فعرفوا موقعهم وما لهم وما عليهم وانسجموا مع قوانين اللعبة ومعاييرها وأصبح الناخب لا يركز إلا على معيار النسب فنسبة 79.37% من المبحوثين تؤكد ذلك، وبقيت نسبة 15% ترى أن الناخب يركز على برنامج الحزب ونسبة 5.62% من المبحوثين تقدم معيار الكفاءة والمستوى الدراسي وهما نسبتين ضئيلتين من أفراد العينة.

54- جدول رقم(54): يبين علاقة مشاركة الفرد في الوعدة بمشاركته في الانتخابات.

المجموع		المشاركة في الانتخاب				المشاركة في الانتخاب	
		لا		نعم		المشاركة في الوعدة	
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	المشاركة في الوعدة	
15%	24	5.62%	09	9.37%	15	تحضرها	المشاركة في الوعدة
47.5%	76	5.62%	09	41.87%	67	تشارك فيها	
37.5%	60	3.75%	06	33.75%	54	لا تهتمك	
100%	160	15%	24	85%	136	المجموع	

تعتبر الوعدة من المناسبات السنوية ذات الطابع العرشي وقد تسمى بعدة مسميات منها معروف سيدي فلان أي أنها مرتبطة بجد العرش أو تسمى بالزردة أو الطعم لأن أبناء العرش يحتفلون ويقيمون الولائم والأفراح ويدعون الناس للحضور وينحروا الذبائح ويطعموا الزوار القادمين إلى الاحتفال كصدقة على جد العرش (الولي) يعدون بدفعها كل عام طلبا لبركته ورضاه وطلبا للغيث والعافية والشفاء، والذي يتصدى للوعدة أو يعرقلها قد يتعرض لغضب الأولياء الصالحين الأحياء منهم والأموات فيكون مصيره المرض والفقر وسوء الخاتمة، لهذا فنسبة الذين يحضرون الوعدة ويشاركون فيها 62.5% والوعدة مناسبة لحل الخلافات بين الأفراد والجماعات وفيها يعقد الصلح وترد المظالم وعلى هامش النشاطات الاحتفالية يتم مباركة المتقدمين للترشح للمجلس البلدي والأعضاء المشاركين في المجلس الولائي والوطني بعد النقاش والخضوع لمعايير عرشية، ليعلن رضا العرش عنهم بعد إظهار مساهمتهم القوية في الوعدة وإجلال الولي الصالح، وتقانيهم في خدمة أبناء العرش بإبراز المواقف والكرم والشجاعة للفوز بتزكية الأعيان الذين يدعون أفراد المجتمع للمشاركة في الانتخابات وتزكية مرشح بذاته أو قائمة انتخابية بعينها، فنسبة 85% من أفراد العينة يثبتون مشاركتهم في الانتخابات، وعادة ما يولون الاهتمام بالمجلس البلدي أكثر من انتخاب أعضاء المجلس الولائي، علما أن هذا الأخير يخضع الترتيب فيه كذلك لمعايير العرشية.

55- جدول رقم(55): يبين علاقة الاعتقاد بوجود تآزر بمتطلبات الترشح للانتخابات.

المجموع		متطلبات الترشح للانتخابات						متطلبات الترشح	
		مستوى دراسي		عرش قوي		مستوى مادي		الاعتقاد بالتآزر	
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
%73.75	118	%3.75	06	%51.25	82	%18.75	30	بقوة	الاعتقاد
%24.37	39	%5.62	09	%11.25	18	%7.5	12	قليلا	بالتآزر
%1.87	03	%00	00	%1.87	03	%00	00	لا تضن	
%100	160	%9.37	15	%64.37	103	%26.25	42	المجموع	

ما دامت العرشية سائدة في المجتمع ومستمرة عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تلزم الفرد بخدمة أبناء العرش وعليه مساعدتهم والإحسان إليهم ومساندتهم ولو على حساب الآخرين، فإن اعتقاده سيكون جازما بوجود تآزر ومساندة من طرفهم وخاصة عندما يندبهم لرد الجميل فنسبة %73.75 من المبحوثين لديهم اعتقاد قوي بذلك، وهذا الاعتقاد بالمؤازرة يدفعه للتقدم للترشح للانتخابات وهو مقتنع بالفوز، فالإحسان عقد اجتماعي ودين على الحر في ثقافة العرب والمسلمين عامة إذا مارسه فرد كثر أتباعه ومؤيدوه، فيدعوه ذلك للترشح للانتخابات وهو رأي %64.37 من أفراد العينة، أما إذا أساء لهم ولم يوفيهم حقوقهم فسينقص لديه ذلك الاعتقاد وتخفض همته، أما ذوي المستوى المادي المرتفع الذين يتقدمون للترشح فهم يستخدمون المال لجلب المؤيدين ويعتقدون بتآزر الأفراد معهم على أساس بيع وشراء وقد يتحقق ذلك في رأي %26.25 من أفراد العينة، وأصحاب المستوى الدراسي هم أقل حضا في مجال الترشح للانتخابات والاعتقاد بمؤازرة أفراد المجتمع لهم ضعيف فنسبة %9.37 من أفراد العينة فقط ترى وجود الاعتقاد بالتآزر لديهم عند ترشحهم للانتخابات.

56- جدول رقم(56):علاقة أهم الروابط الاجتماعية بمرجعية الفوز في الانتخابات.

المجموع		بمرجعية الفوز في الانتخابات						مرجعية الفوز نوع الروابط	
		المعارضة		العرش السائد		أصحاب المال			
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
%79.37	127	%1.87	03	%53.12	85	%24.37	39	الدم	أهم
%7.5	12	%00	00	%00	00	%7.5	12	الصدقة	الروابط الاجتماعية
%3.75	06	%00	00	%1.87	03	%1.87	03	العمل	
%7.5	12	%1.87	03	%1.87	03	%3.75	06	الدين	
%1.87	03	%00	00	%00	00	%1.87	03	المصلحة	
%100	160	%3.75	06	%56.87	91	%39.37	63	المجموع	

يتبين من نتائج هذا الجدول أن **79.37%** من المبحوثين يرون أن رابطة الدم(النسب) هي أقوى وأصدق الروابط الاجتماعية في مجتمعنا، ومادام جل التفاعل اليومي يحدث بين أبناء الفئة العرشية الواحدة في العمل أو في المسجد أوفي الشارع الذي يميزه التكتل القبلي، فإن الصداقة تتشكل بين أبناء الفئة الواحدة وتقوى كما تضعف بين الفئات الأخرى نتيجة قلة التفاعل، ومن جهة أخرى فالأخوة الدينية تتشكل وتقوى أثناء تأدية العبادات الجماعية في المسجد، لكن الواقع أن المسجد في هذا المجتمع فقد عموميته وأصبح من المؤسسات التابعة للقبيلة لأن لكل قبيلة حي به مسجدها، فالعرش إذا اخترق كل المؤسسات ويصبغها بصبغته سواء بشكل علني أو خفي حيث لا يظهر في الخطاب بل في الممارسات، ومن هذا الواقع ذو الصبغة العرشية يكون الفوز في الانتخابات لمجموعة عرشية معينة وهو رأي **56.87%** من المبحوثين، وبالتالي فرابطة الدم لها علاقة وطيدة بالفوز في الانتخابات، في حين أن الجانب المادي بدأ يأخذ حيزا معتبرا على حساب العرشية والديمقراطية في الانتخابات فنسبة **39.37%** من أفراد العينة ترى أن استعمال المال في شراء أصوات وكسب تأييد الناخبين يجر للفوز في الانتخابات.

57- جدول رقم(57): علاقة التضامن بسبب التوتر الاجتماعي في فترة الانتخابات.

المجموع		سبب التوتر الاجتماعي						سبب التوتر الاجتماعي	
		أخرى		التعصب للعرش		التعصب للحزب		نوعية التضامن	
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
%20.62	33	%7.5	12	%11.25	18	%1.87	03	بالمال	نوعية التضامن
%7.5	12	%00	00	%7.5	12	%00	00	بالجهد	
%68.12	109	%5.62	09	%62.5	100	%00	00	بالكل	
%3.75	06	%00	00	%3.75	06	%00	00	لا تضامن	
%100	160	%13.12	21	%85	136	%1.87	03	المجموع	

تبين نتائج الجدول أن التضامن سمة من سمات مجتمع البحث وعادة وتقليد يمارسها أفراد المجتمع كحق وكواجب لاستمرار المجتمع فنسبة 96.25% من أفراد العينة يقرون بوجوده، ويكون بأشكال متعددة فنسبة 68.12% من المبحوثين ترى أن التضامن يحدث بين أفراد المجتمع بكل ما أوتوا من إمكانيات فقد يضحى بعضهم لأجل الآخرين وهو دليل على تماسك اجتماعي قوي، وقد يتطور إلى تعصب عرشي حيث يزيد التماسك والتضامن الداخلي ويقتصر على أبناء العرش فقط ويحرم منه من كان خارج المجموعة العرشية بحيث يعتبرونه ندا لهم، وهو ما يفسر حدوث توتر وصدامات عنيفة بين العروش في فترة الانتخابات بالذات لهذا فالمناسبات الانتخابية تحيي النعرات العرشية والتعصب فالتوتر الحاصل عادة ليس بسبب التنافس الحزبي بل بسبب التنافس العرشي وهو رأي 85% من أفراد العينة، وبالتالي فالتضامن القوي وغير المشروط له علاقة وطيدة بحدوث التوتر في فترة الانتخابات.

2- المجالس القبلية والمجالس المنتخبة:

في القبيلة أو العشيرة مجلسا يشكله كبارها أو ما يسمى بالجماعة المشكلة من الأعيان، هؤلاء عادة يكونون من الوجهاء ذوي المواقف المشرفة والمكانة الاجتماعية العالية والمستوى المادي المحترم، حيث يسعى كل عضو إلى المحافظة على مرتبته الاجتماعية وهو مجلس تقليدي غير رسمي يخضع لقوانين عرفية يعقد حين تدعو الضرورة أو عند حصول طارئ أو دعوى من طرف فرد أو مجموعة، يكون أعضاؤه في تواصل مستمر في المسجد والسوق والمناسبات العائلية مما يطلعهم على أحول المجتمع الاقتصادية والسياسية، ويشكل هذا المجلس سلطة اجتماعية تستعين أحيانا بالسلطة الدينية لإعطائها المصداقية والرسمية وتتسم سلطة الجماعة بالفعالية والتنظيم وتهتم بالتنشئة والضبط الاجتماعي للمحافظة على الواجبات والحقوق، وتراعي مبدأ التراتب فلا تجتمع إلا بممثلي الجماعة الاجتماعية التي تحدث على مستواها المشكلة، فإذا كانت القضية بين القبائل يستدعون أعيان القبيلة وإن كانت القضية بين العائلات يستدعى أعيان العشيرة وإن كانت داخل العائلة يستدعون الأب أو الجد أو الإخوة وهكذا، أما المجلس المنتخب فيعمل في الإطار الرسمي الذي تحدده قوانين الجمهورية واجتماعاته مرتبطة ببروتوكولات وبتوقيت محدد وقضايا محددة تطبيقا لمبدأ توزيع الصلاحيات وفصل السلطات، وهذا الجدول يوضح أي المجلسين أكثر فعالية في المجتمع.

58 - الجدول رقم (58): المجلس الفاعل في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	المجلس الفاعل
13,1%	21	المجلس المنتخب
86,9%	139	مجلس الأعيان
100,0%	160	المجموع

تبين نتائج هذا الجدول أن نسبة 86,9% من أفراد العينة يقرون بفعالية مجلس الأعيان في المجتمع، فأبي حادثة تحصل داخل البيئة الاجتماعية إلا ويكونون على علم بها بل

يتوجّه إليهم الأفراد ويعتبرونهم كوسائط ووكلاء عن المجتمع يتحدثون باسمه وكأهل خبرة ودراية ويمكنهم الاحتفاظ بالسرية في طرح الفرد أو الجماعة مشكلاته على الأعيان وهم يرون إن كانت ستحل محليا باستعمال إمكاناتهم ومعارفهم قبل أن يتوجّه للجهات الرسمية التي تتطلب الوثائق الرسمية والشروط القانونية وقد تستغرق وقتا طويلا وتكاليف مادية وتنقلات، يقول د. حليم بركات بهذا الشأن " فيما تحتل الجماعات الوسيطة بين الفرد والمجتمع ككل (القبيلة، الطائفة، الفئة، القرية، المجتمع المحلي... الخ) مركزا مرموقا في حياة العرب الاجتماعية، فلا تستطيع المؤسسات العامة التي تمثل المجتمع (الدولة مثلا) أن تصل إلى الأفراد إلاّ هذه الجماعات التقليدية"¹ وتمثل نسبة 13,1% من المبحوثين قد اعتبروا أن المجلس المنتخب أكثر فعالية في المجتمع فهو الممثل الرسمي للسلطة محليا ويمكنه رفع انشغالات القاعدة للسلطة العليا ويقوم على الإشراف ومتابعة ومراقبة المشاريع التنموية وسير المؤسسات الاجتماعية، لكن عضوية المجلس المنتخب متجددة في كل عهدة بينما تبقى عضوية مجلس الأعيان ثابتة ومستمرة حتى وفاته، كما أن مجلس الأعيان يساهم في تشكيل المجلس المنتخب ويزكي أعضائه وتعود إليه المشورة في كل عهدة انتخابية لتجديد الأعضاء، وهذا ما يفسر استمرار مشاركة بعض الأفراد في المجالس المنتخبة أكثر من ثلاث عهدات ليس السبب في غياب الكفاءات بل السبب هو تجديد العقد بين الأعيان والأعضاء في كل عهدة وتوافقهم على المصالح والأهداف، وبهذه الطريقة قد تستمر هذه الإستراتيجية التقليدية في تحكمها في الجانب السياسي.

1- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، م د و ع، بيروت، ط3، 1986، ص:20

59- الجدول رقم (59): نتائج الانتخابات البلدية حسب الانتماء العرشي منذ الاستقلال

البلدية	ترتيب الفئات العرشية حسب الكثافة العددية	عدد العهود الانتخابية (البلدية)	ملاحظات
الجلفة	1- أولاد نايل	06	مجموعة عروش
	2- العبايز	02	
	3- الصحاري	02	
مسعد	1- أولاد يحي بن سالم	04	عرش واحد (أولاد نايل) (مجموعة عشائر)
	2- أولاد طعبة	03	
	3- أولاد ملخوة	03	
الشارف	1- أولاد سيد احمد	05	عرش واحد (عبايز) (مجموعة عشائر)
	2- أولاد بن يحي	04	
	3- أولاد سي سليمان	01	
حد الصحاري	1- الموافقية	04	عرش واحد (صحاري) (مجموعة عشائر)
	2- أولاد سعد	03	
	3- أولاد شتيحات	02	
الادريسية	1 - أولاد أم هاني (أولاد نايل)	06	مجموعة عروش
	2- العبايز	03	
	3- أولاد سيدي يونس (الصحاري)	01	

من خلال معطيات الجدول نجد أن العرش أو العشيرة السائدة عادة ما يكون الفوز حليفها في الانتخابات المحلية، لهذا يلجأ رؤساء الأحزاب أثناء تشكيل القوائم الانتخابية إلى تعيين مرشحين من العشيرة أو العرش السائد على رأس القائمة بهدف الظفر بأصوات الناخبين، فبلدية الجلفة مثلا يسود فيها عرش أولاد نايل على اختلاف عشائرهم لكنهم في الانتخابات يجتمعون على مرشح واحد يدعمونه فيفوز، مما حقق لهذا العرش التربع على عرش

بلدية الجلفة عدة العهديات، ونفس الشيء بالنسبة لبلدية الادريسية، وحين يفوز غيرهم بمنصب المير عادة ما يتعرض لضغوطاتهم لأنهم يمثلون الأغلبية ويتحالفون ضده ويحصل الانسداد ويمنع من إتمام عهده، و يحصل نفس الشيء في البلديات التي يقطنها عرش واحد أي مجموعة فرق (عشائر) مثل الشارف وحد الصحاري، وهناك عامل آخر يتحكم في الفوز بالعهدة وهو حصول التحالف ضد الفرقة القوية مما يقلل من فرص فوزها لصالح التحالف وقد حصل ذلك في بلدية الشارف حين ترأسها فرد من خارج البلدية (اتفق عليه التحالف) ثلاث عهديات كاملة، وقد تفقد الفرقة أو العرش الريادة بسبب الحراك الاجتماعي مثلما حدث في بلدية مسعد نتيجة هجرة الفرق إلى مناطقها الأصلية أولاد طعبة وأولاد يحي بسبب التقسيم الإداري والتنمية، وعوضهم أولاد ملخوة حيث أصبحوا أغلبية تسيطر على البلدية في العهديات الأخيرة، ومثل ذلك حصل في بلدية الادريسية بعد تكاثر العبايز في الفترة الأخيرة بسبب النزوح الريفي، فمن هنا نجد أن لعامل العرشية تأثير كبير في إنتاج المؤسسات الانتخابية المحلية.

3- الممارسات العرشية بين القطيعة والتواصل: لقد رصدنا كثير من الممارسات

التقليدية والعادات والتقاليد القديمة في مجتمعنا المعاصر منها ما هو عفوي كالممارسات الاجتماعية الثقافية ومنها ما هو هادف كالممارسة السياسية ولقد طرحنا سؤالنا حول إمكانية استمرار هذه الممارسات في المستقبل فحصلنا على البيانات المسجلة في الجدول التالي:

60 - الجدول رقم (60): يبين مدى استمرارية الممارسات العرشية في رأي المبحوثين

النسبة المئوية	التكرار	استمرار الظاهرة
41,2%	66	في تناقص
58,8%	94	في تزايد
100,0%	160	المجموع

يظهر من خلال بيانات هذا الجدول أن ظاهرة العروشية تميل إلى الزيادة فنسبة 58,8% من المبحوثين يرون أنها في حالة تزايد مستمر، وتعليل ذلك هو فشل النخبة السياسية لمجتمعنا في إصلاح المنظومة السياسية نظرا لغياب مجتمع مدني حقيقي وعدم فسح المجال للقدرات الفردية وتنمية الروح المدنية **L'esprit de civisme** بسبب استمرار هيمنة الدولة في جميع المجالات ونشر (عقلية البايك) والتقصير في نشر قيم الديمقراطية التي تتحلى بها المجتمعات المتقدمة، والملاحظ في تصريحات المسؤولين وخطاباتهم أنها ترفع شعارات الديمقراطية والشفافية والعدالة وتعلن الاستعداد لفسح المجال أمام القدرات الوطنية المتنوعة والشابة، لكن الممارسات تثبت عكس ذلك على مستوى الأحزاب والإدارة، فهي بذلك (ديمقراطية شكلية) فالحزب المعارض يطلب من السلطة الحاكمة تطبيق المبادئ المذكورة، لكنه في نفس الوقت يمنع تطبيقها داخل أجهزته حيث نجده يرفضها ويتعامل بمعايير التعصب والفئوية والجهوية وشخصنة السلطة وسحق المعارضين بدعوى الحفاظ على الوحدة، وبالتالي فهذه الممارسات تكررّس نوعا من التنشئة تنعكس على شخصية الفرد ووعيه السياسي، ويعتقد 41,2% من أفراد العينة أن ظاهرة العروشية في تناقص ويعللون ذلك بالتطور التكنولوجي والإعلامي الذي سمح بالانفتاح على التجارب الاجتماعية في العالم وما ينجم عنها من تغير في الرصيد الثقافي الذي يؤثر في الموقف السياسي، إضافة إلى تناقص تأثير العروشية في الانتخابات ذات الطابع الوطني، لكن الذي نستخلصه من المقابلات والملاحظات الميدانية أن الممارسات العرشية في المجال الاجتماعي الثقافي تؤول إلى الزوال أما في المجال السياسي فالعرشية في تزايد مستمر لأن مصطلح العروشية على المستوى المحلي، والجهوية على المستوى الوطني أصبح يرتبط تداوله بشدة في المناسبات الانتخابية.

4- نتائج الفرضية الثانية:

لقد انطلقنا في بحثنا من سؤال يتمحور شطره الثاني حول مدى تأثير الممارسات العرشية على إنتاج المؤسسات الانتخابية، وتمثلت الإجابة المؤقتة في الفرضية التالية: الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية توظف العصبية القبلية والجهوية في مراحل العملية الانتخابية .. ولقد توصلنا بعد عرض البيانات المتعلقة بإجابات المبحوثين حول أسئلة الاستبيان والمعلومات المستخلصة من حوارنا مع بعض المسؤولين والأعيان وبعد تحليل نتائج الانتخابات المحلية في ولاية الجلفة خلصنا إلى مجموعة من النتائج.

- مشاركة أفراد المجتمع في الانتخابات متواضعة، فنسبة المبحوثين الذين يشاركون في الانتخابات بشكل دائم هي 50,6% على الرغم من اختيارنا لعينة تتجاوز العشرين من العمر 97,5% منهم لديهم مستوى دراسي يتجاوز المتوسط، وهذه العينة غالبيتها رجال الذين يمثلون 83,6% ونحن نعلم أن في مجتمعنا مشاركة المرأة (نصف المجتمع) في الانتخابات محدودة جدا مقارنة بالرجل، وبالتالي نستخلص من كل هذه المعطيات أن نسبة المشاركة الانتخابية منخفضة في مجتمعنا وخاصة في الانتخابات البرلمانية والولائية فالملاحظ في يوم الانتخاب اهتمام الأفراد منصب على الانتخابات البلدية أكثر.

- القبلية متجذرة في مجتمعنا العربي منذ قرون خلت وهي التي كانت عبر الزمن تتدخل في تأسيس الدول وسقوطها، فهي الحقيقة السياسية الثابتة في مجتمعنا لاعتمادها على العصبية كقوة اجتماعية حقيقية، وقد تصدت للتدخلات الأجنبية في المغرب العربي بعد سقوط الدولة، فهي نظام سياسي عسكري ممثل للمجتمع ومدافعا عن سيادته.

- اختفت القبليّة(العرشية) من الواجهة في بعض المراحل التاريخية لصالح الأمة أو الدولة في العهد الأوّل للدولة الإسلامية وفي فترة الحرب كالثورة الجزائرية وفي انتخابات 1991 التي سمحت بفوز الإسلاميين، لأنّ تنشئة الفرد الاجتماعية تغرس فيه انتماءين (خاص للقرابة - عام للأمة) وهذا يعني أن لا تتناقض بين القبيلة وبناء الدولة.

- تكيف العرش والعرشية مع الظروف السياسية المتقلبة وتطور البيروقراطيات الحديثة فتطبيق الديمقراطية الشكلي في مجتمعنا بعد الاستقلال لم يضعف ثقافة العرشية، حيث تأقلمت مع التحديث وتكيفت مع مجريات العملية الانتخابية وبقيت حاضرة تخترق القوانين وهياكل المجتمع المدني والمنظمات السياسية والإدارية، وتظهر في الأزمات والأحداث السياسية على الواجهة كمثل حقيقي للمجتمع عن طريق الأعيان (كبار العرش).

- تنشط العرشية كممارسة سياسية في جميع مراحل العملية الانتخابية وتتحكم في مخرجاتها انطلاقاً من أنها تجند الأتباع المؤيدين من العرش أو الجهة، وبالتالي تساهم في زيادة نسبة المشاركة، حيث تفتنت النخبة السياسية إلى **إشراك وتفعيل** دور العرشية في المجال السياسي من أجل إنعاش المشاركة الانتخابية وإخراج المجتمع من حالة الركود السياسي و القلق وعدم الثقة بعد نكسة التسعينات.

- مازالت العرشية كثافة سياسية تقليدية توجه سلوك الناخبين، وفئة قليلة من المجتمع تتبنى ثقافة سياسية موضوعية تستند إلى المعايير السياسية الحديثة، وهذا ينعكس على الممارسات، فعملية الانتخابات أداة ديمقراطية تحدث من حيث الشكل لكنها تشوّهت من حيث المضمون كممارسة قبلية (عرشية).

- تأثير العرشية في الانتخابات المحلية واضح وجلي بينما ينقص تأثيرها في انتخابات المجالس الولائية والوطنية.

- إن الجهود المبذولة من طرف النخبة السياسية من حيث تعديل القوانين وتفعيل الإعلام في التوعية السياسية وإشراك أفراد المجتمع في القرار السياسي قد يعيد الثقة إلى أفراد المجتمع ويربط انتمائهم وولائهم بالدولة بدل الفئوية والتعصب ويساهم في تناقص العرشية لمصلحة العقلانية والديمقراطية.

5- النتائج العامة للدراسة:

توصلنا من خلال دراستنا لظاهرة الممارسات العرشية في المجتمع الجزائري إلى أنها ما زالت مستمرة ومؤثرة وتتجلى مظهراتها خاصة في علاقات الأفراد الرسمية وغير الرسمية منها اختراق العروشية لقوانين الإدارة في المؤسسات العمومية عن طريق مصطلح (المعرفة، لكتاف، بنيعميس)، كما أن الممارسات العرشية تطبع جوانب كثيرة من الحياة العامة وخاصة في أسواق المواشي والمناسبات الاجتماعية والمناسبات الانتخابية.

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية وسيلة أساسية تعمل على إعادة إنتاج الظاهرة في مجتمع المدينة الحديث عن طريق المثاقفة وانتقال بعض الممارسات الاجتماعية والثقافية التي يتميز بها المجتمع التقليدي من الأرياف إلى المدن حيث تنتقل آليات وأساليب التنشئة التقليدية منها الضبط والتلقين وتنقل معايير وقيم تقليدية محافظة مرتبطة بالعرش إلى الأجيال الجديدة بشكل مباشر أو يكتسبها عن طريق التقليد والمحاكاة منها:

- الاعتمادية على القرابة التي تتوسع إلى أبناء العرش أو المنطقة في متطلبات الحياة، مما يجبر الفرد على التواصل والتضامن والتلازم والتجاور في السكن مع الأقارب مما ينتج تكتلات قرابية مغلقة وأحياء وقرى ومدن ذات طابع قبلي.

- أبوية الأسرة وقوة الضبط داخل الأسرة وفي الوسط الاجتماعي واستمرار التعامل بالعرف في كثير من القضايا وخاصة المتعلقة بالأسرة وشيوع الزواج الداخلي، والمشاركة في النشاطات الثقافية المتعلقة بالعرش التي تعظم جد العرش عن طريق إقامة الوعدة واستعمال رأسمالها الرمزي في تخليده والالتفاف حوله.

- عدم تطور نمط المعيشة المقتصر على الرعي والزراعة والتجارة المرتبطة بهما مما

يسمح باستمرار العلاقات العرشية المضبوطة بالقوانين العرفية وضعف الملكية الخاصة والتصنيع وتمسك الأفراد بالأراضي العروشية.

- تعرضت القبيلة هيكلها للتفكك لكنها في نفس الوقت أعيد زراعتها عن طريق قوانين الحالة المدنية في عهد الاستعمار حيث أقيمت على العائلة ورموزها المتمثلة في اللقب العائلي، الشيء الذي جعل العائلة تنمو وتتطور إلى عشيرة لها ملكيتها المشاعة ومقرها أي البيت الكبيرة وسلطتها على الأفراد.

- استمرار فعالية وقدرة السلطة الاجتماعية المذكورة المتمثلة في الأعيان (كبار العرش) على قيادة المجتمع والتحكم في مساراته وتوجهاته ومعالجة الأحداث المستجدة، هؤلاء ينتمون إلى العائلات العريقة ولديهم مكانة اجتماعية اكتسبوها من تجربتهم والتي تسمح لهم دائما بتصدر المشهد.

- تكيف السلطة الاجتماعية المذكورة مع سلطة الدولة الوطنية وقوانينها بتوسطها بين الدولة وأفراد المجتمع، ومع أن الدولة لا تعترف بهذه السلطة رسميا، لكنها تستعملها في جوانب مصيرية وبشكل غير رسمي، وفي نفس الوقت تشارك في السلطة عن طريق تعيين أبناء العرش في مناصب عالية وفي المجالس الشعبية المحلية والوطنية.

- من العوامل التي ساعدت على إعادة إنتاج العروشية قوانين الحالة المدنية فهي أحد عوامل تكريس العروشية وإعادة إنتاجها من خلال نظام اللقب العائلي الذي تجاوز التعريف بالفرد إلى أداة لتمييز وتصنيف أفراد المجتمع، على خلاف بعض الدول العربية كمصر مثلا التي تعتمد في تعريف الشخص على ذكر اسمه واسم أبيه ثم جده وهذا التعريف لا يوحي بأي تصنيف، ففرنسا حاربت الكيان القبلي وهدمت هيكله في المجتمع الجزائري، ولكنها بقصد أو بغير قصد أعادت إنتاجه بشتل القبيلة في شكل عائلات (اللقب

العائلي) في ثلاثينات القرن الماضي، فاللقب أصبح أداة للتمييز يستغلها إضافة إلى استمرار التنشئة الاجتماعية وفق قيم التعصب والجمعية والتلازم والتقارب المجالي.

- اختراق العرشية للمؤسسات الرسمية والأحزاب السياسية بانتقال الثقافة العرشية إليها وتبني قواعدها في العلاقات الرسمية كممارسة التعصب لأبناء العرش أو المنطقة وإعطاء الأولوية لهما على حساب المجتمع الكبير والدولة وقوانينها.

- يتم توظيف الرموز العرشية والتعصب القبلي والجهوية في مراحل العملية الانتخابية منذ بناء القوائم الانتخابية إلى الحملة الانتخابية ثم في يوم الاقتراع بشكل متواصل، وهو ما يثير التوتر والصراع بين المجموعات القبلية.

- يتم تركيز العرشية على انتخابات المجالس المحلية أكثر، لأنّ المجالس البلدية لها علاقة مباشرة ويومية مع الأفراد ويقل التركيز على المجالس الولائية والوطنية.

- تحقق الفرضيات التي انطلقنا منها فالممارسات العرشية ظاهرة اجتماعية تستمد فعاليتها واستمراريتها من تواصل التنشئة الاجتماعية على القيم التقليدية داخل الأسرة وفي الفضاءات الاجتماعية، بعض هذه القيم يدعوا للعروشية المتمثلة في التعصب الذي يعطي الأولوية للقرابة والعرش والمنطقة دون المصلحة العامة للمجتمع، والولاء للعرش والمنطقة دون الولاء للدولة والوطن، ويستجيب للعرف التقليدي طوعا وللقانون الوطني كرها، هذه العروشية اخترقت المؤسسات الحديثة وميقت قوانينها، فتكيفت مع الانتخابات التي تعبّر عن الممارسة الحديثة للسلطة عن طريق مبادئ الديمقراطية فأفرغتها من محتواها وأفقدتها خصائصها وأهدافها، فالظاهر في مجتمعنا انتخابات ديمقراطية ونزاهة والواقع هو تزكية عرشية للقوائم والمرشحين، وبالتالي انتقل تأثير الممارسات العرشية من المجال الاجتماعي والثقافي إلى المجال السياسي.

الخاتمة:

سعيًا في هذه الدراسة للكشف عن ظاهرة العرشية في الممارسات الاجتماعية الثقافية وانتقال تأثيرها إلى المجال السياسي، كثقافة فرعية تطبع التنشئة الاجتماعية وتقوم على اكتساب معارف وتبني مواقف وممارسة سلوكيات تكرس الانتماء والولاء للعرش على حساب المجتمع العام ومؤسسات الوطن وقوانينها وتستعمل التعصب الذي يلزم الفرد بخدمة القريب على حساب الآخر، وهذه الظاهرة منتشرة في كثير من دول العالم بجميع قاراته، ورغم الصدمات التي تعرضت لها القبلية في المجتمع العربي عبر التاريخ من مجيء الإسلام إلى دخول الاستعمار والثورة وإلى تكوين الدولة الوطنية الحديثة لم تتأثر القبيلة والقبلية كثيرًا، بل عادت وانبعثت من جديد بسبب تخلي المجتمع عن الإسلام كنظام وعدم قدرة الدولة الوطنية على تحقيق الإصلاحات السياسية الكفيلة بتجسيدها في الواقع، من هنا طرحنا سؤال إشكاليًا عن أهمية الممارسات العرشية في مجتمعنا وما مدى تأثيرها في الجانب السياسي المتمثل في الانتخابات، واعتمدنا على دراسات انثروبولوجية وسوسيولوجية سابقة، واهتدينا إلى فرضية إعادة إنتاج الممارسات العرشية عن طريق التنشئة الاجتماعية من خلال توارث الممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية ذات الطابع القبلي، ولقد حاولنا جمع المعلومات المتعلقة بالقبيلة والقبلية واستعملنا مناهج وتقنيات بحثية لمحاولة الإمام بالموضوع، وظفنا عدّة مقاربات بدأ بمعالجة العلامة ابن خلدون للظاهرة الذي قام بتوظيف مصطلح العصبية القبلية وجعله محور أبحاثه في هذا المجال، كما حاول البحث الكولونيالي إثبات فرضية الانقسامية وتصوير مجتمع المغرب العربي في شكل قبائل متوحشة ومتناحرة لم تعرف بعد أي تنظيمًا دولانيًا ليبرر تدخله الاستعماري، في حين أثبتت دراستنا تعاقب دول وإمارات عديدة قبل مجيء الاستعمار، وكانت القبيلة خلال كل المراحل التاريخية حاضرة ومؤثرة في بناء الدول وسقوطها ومقاومة الاستعمار وبناء الدولة الوطنية الحديثة، فلم يكن موضوع القبيلة والقبلية (العرش والعرشية) مرتبط

بالمجتمعات القديمة لندرسه أنثروبولوجيا بل يمثل واقعا حاضرا وله امتداد مستقبلي يتطلب دراسة سوسيولوجية، ولم ترتبط العروشية بالجانب السياسي فقط بل رُسخت في شخصية الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية وطبعت سلوكاته وعلاقاته وشكّلت اتجاهاته ومواقفه السياسية، ولقد أثبتت هذه الدراسة أنّ هذه الممارسات العرشية أثرت بشكل مباشر وغير مباشر في تشكيل وإنتاج المؤسسات الانتخابية، وخلصنا من خلال تحليل المقابلات وإجابات الاستبيان إلى أن الممارسات العرشية في تطور مستمرة تخترق القوانين والمؤسسات العمومية وتؤثر في بنيتها البشرية مادامت المنظومة التربوية والسياسية لم تتعرض لإصلاحات تجسد المجتمع المدني المنشود، وانطلاقا من هذا الواقع سنطرح سؤالين للبحث.

- ما مدى اهتمام التنشئة في قطاع التربية والإعلام بموضوع الوطنية والاندماج الاجتماعي؟

- إلى متى ستبقى ازدواجية الممارسات التقليدية سارية ومؤثرة في مجتمع يسعى للتحضر والمدنية والسلام الاجتماعي؟

المراجع

المراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أحمد ابن علي العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ط1، القاهرة، 1986.
- 3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 4- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- 5- إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2005.
- 6- إحسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج، دار الطليعة، بيروت، 1981.
- 7- الجميلي خيري خليل وآخرون، المدخل في الممارسات المهنية في مجال الأسرة والطفولة، المكتب العلمي، الاسكندرية، 1995.
- 8- الحمادي أحمد خليفة، المسجد ودوره في المجتمع، ط1، جمعية أم المؤمنين النسائية الإمارات العربية المتحدة، 1993.
- 9- المختار الهراس، القبيلة والعصبية، سلسلة كتب المستقبل العربي (31)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 10- ألفريد بل، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا، ترجمة عبدالرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- 11- برهان غليون، اغتيال العقل، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.

- 12- بيار بورديو وباسرون، إعادة الإنتاج، ترجمة ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.
- 13- بوزياني الدراجي، العصبية القبلية في ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003،
- 14- توفيق نبيل السالوطني، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، ط2، دار الشروق للطباعة والنشر، جدة، 1988.
- 15- جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992
- 16- جاك ماريتان، الفرد والدولة ترجمة عبدالله أمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،
- 17- جون واتربوري، أمير المؤمنين (الملكية والنخبة السياسية المغربية)، ترجمة عبد الغني أبو العزم وآخرون، مؤسسة الغني للنشر، ط3، الرباط، 2013.
- 18- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1984.
- 19- حسن علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية، مطبعة المعرفة، القاهرة، ب ت .
- 20- دوني كوش، ترجمة: قاسم مقداد، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- 21- كلوكهن، الإنسان في المرأة ، ترجمة الدكتور مصطفى شاكرا سليم، المكتبة الأهلية، بغداد، 1964
- 22- كلود ليفي ستروس، قراءة في الفكر الانثروبولوجي المعاصر، ترجمة: عبدالله عبدالرحمان يتيم، إصدارات بيت القران، ط1، المنامة، البحرين، 1998.

- 23- مبروك بن صالح قارة، أولاد زيد تاريخ وأبعاد أشراف وأحفاد، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009.
- 24- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.
- 25- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 1990.
- 26- محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت، لبنان، 1993.
- 27- محمد على محمد، أصول الاجتماع السياسي والمجتمع في العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ت.
- 28- مجد الدين عمر خيرى، العائلة والقرابة في المجتمع العربي، ط1، اتحاد الجامعة العربية، الأردن، 1985.
- 29- محجوب عباس، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، دار ابن كثير دمشق، 1978 .
- 30- محمد صبور، المعرفة والفلسفة في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995،
- 31- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1967.
- 32- محمد عباس إبراهيم، التحديث والتغير-دراسة في مكونات القيم الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ب ت.

- 33- محمد عبده محمود، محمد أحمد غنيم، فاتن محمد شريف، دراسات في المجتمع البدوي دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية، 1998.
- 34- محمد مهدي القصاص ، علم الاجتماع العائلي ، جامعة المنصورة ، مصر، 2008.
- 35- محمد الطيبي، الجزائر عشية احتلالها أو سوسيولوجيا قابلية الاحتلال، وحدة البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 1992.
- 36- محمد السويدي، مقدمة في دراسات المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 37- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، ب ت
- 38 - مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، 2002 .
- 39- معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للتوزيع، عمان، الأردن، 1994.
- 40- محمد عبدالباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، م. د. و.ع، بيروت ، 1988.
- 41- متروك الفالح، المجتمع المدني والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسة مقارنة في ضوء تعريف المدن، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.
- 42- صلاح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2002 .
- 43- عاطف وصفي، الانثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1971.

- 44 - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط7، منشورات دار القلم، بيروت، 1989
- 45- عبدالغني مغربي، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون، دار القصة للنشر، الجزائر 2006.
- 46- عبد العالي السيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.
- 47- عبدالعزيز راسمال، كيف يتحرك المجتمع، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999.
- 48- عبدالرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج1، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، 1971.
- 49- عبد الحليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
- 50- عبد العاطي السيد، محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.
- 51- عبد الله حمد الغدامي، القبيلة والقبائلية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء المغرب، 2009.
- 52- عبدالقادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دار النهضة العربية بيروت، 1999.
- 53- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة، بيروت ب.ت.

54- عبدالله بن حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، 1929.

55- عبد الباسط محمد الحسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، مصر، 1976.

56- عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الانثروبولوجيا، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001.

57- علياء شكري ومحمد علي محمد، قراءات في علم الاجتماع، شركة دار النصر المتحدة، ط1، مصر، 1972

58- علي ليلي، النظرية الاجتماعية المعاصرة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1991.

59- علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 .

60- علي أحمد مذكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، 2002.

61- عبدالهادي عفيفي، الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، د-ت،

62- عمر عبداللوي، التنشئة الأسرية والاستهلاك القبلي للمسجد، منشورات الشروق للأخبار والمعلومات والطباعة، الجلفة، الجزائر، 2016

63- عبدالعزيز قباني، العصبية (بنية المجتمع العربي)، منشورات دار الآفاق ، بيروت، ط1، 1997،

64- عبد الناصر جابي، الانتخابات، الدولة، المجتمع، دار القصة للنشر، ط1، الجزائر، ب.ت.

65- فوزية ذباب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط2، بيروت، 1980.

- 66 - سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، 1992
- 67- سلمى محمد حمص، إقبال محمد البشير، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ب ت،
- 68- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية، 1999
- 69- سعد الدين إبراهيم ، حاضر سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، 1992.
- 70- سعد الدين إبراهيم، التعصب والتحدي الجديد في الوطن العربي، ضمن الكتاب السنوي السادس للجمعية الكونية لتقدم الطفولة العربية، الأطفال والتعصب والتربية، احتمالات الانهيار الداخلي للثقافة العربية المعاصرة، الكويت 1988.
- 71- عبدا لعزیز خواجه، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2005.
- 72- هشام شرابي، المجتمع الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1993.

2- المناهج:

- 1- أبو النجا محمد العمري، الخطوات المنهجية في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
- 2- بلقاسم فرحاتي، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012.

3- محمد شفيق ،البحث العلمي. الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية،المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001.

4- محمد الجوهري وعبدالله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي ط:05، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008.

5- صلاح مصطفى الفوال، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، ب ت.

6- عبد الباسط محمد الحسن، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة،مصر، 1976.

7- عبده محجوب، طرق البحث الانثروبولوجي-النسق القرابي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.

8- عبدالباقي زيدان، قواعد البحث الاجتماعي، الهيئة العامة للكتاب العربي ،القاهرة، 1974،

9- عمار بخوش ومحمد ذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

10- قباري محمد إسماعيل، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، بيروت ، ب ت.

3- الرسائل الجامعية:

1- أحمد عاشوري، التنشئة الأسرية والهوية الدينية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع جامعة ابوبكر بلقايد، تلمسان، 2008.

- 2- الفضيل رتيمي، القرابة والعمل في المؤسسة الصناعية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع، 1992-1993.
- 3- بوعلي وسيلة، زواج الاقارب في المجتمع الحضري وانعكاساته على الأسرة، مذكرة ماجستير ، قسم علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2004-2005.
- 4- جيموي نتيجة، آثار العلاقات القرابية على الاندماج الاجتماعي ،مذكرة ماجستير، علم الاجتماع الحضري ،جامعة الجزائر، 2005/2006.
- 5- دحماني سليمان، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية والعلاقات، مذكرة ماجستير في الانثروبولوجيا، كلية الأدب و علوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2005-2006.
- 6- رميلي رضا، الوضعية الاجتماعية للأسرة وأثرها على التحصيل الدراسي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر، 2006.
- 7- رشيد بوسعادة، الإمام بين الدين والسياسة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بقسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006/2007.
- 8- محمد بن يوب، أطروحة دكتوراه دولة في الانثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد يتلمسان، سنة 2007/2008
- 9- مجمد مدان، الأصول السوسيو- تاريخية للسلطة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان، 2007/2008،
- 10- محمد مختار بواركي ،السلطة الأبوية وحركة التغير الاجتماعي، رسالة ماجستير، قسم البحوث والدراسات الاجتماعية العراق، 1986.

- 11- نبيلة خبرارة، النسق الثقافي في الريف الجزائري، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الريفى، جامعة باتنة، 2011.
- 12- عائشة (قطب)، التحضر وتغير بناء الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1993.
- 13- فروق يعلى، التحضر والعلاقات الاجتماعية للأسرة النازحة، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة الجزائر، 2006/2005.
- 14-- شرقي رحيمة، أساليب التنشئة الأسرية وانعكاساتها على المراهق، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة باتنة، 2005.
- 15- زيان محمد، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2013/2012
- 16- زاوي موفق، الظاهرة الحزبية في الجزائر بعد فترة 1988، أطروحة دكتوراه في الانثروبولوجيا، جامعة ابوبكر بلقايد بتلمسان، 2011/2010،

4- القواميس:

- 1- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج 10، مجلد1، 1999.
- 2- عبدالهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
- 3- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ت.
- 4- محب الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج1، دار الفكر، بيروت، 1983

5- ميشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1986..

6- نخبة من الباحثين المصريين والعرب، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1975

7- ر.بودون، ف.بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1986، ص:226.

5- المجلات والمنشورات:

1- الهوا ري عدي، لماذا فشلت الجزائر في الانتقال إلى الديمقراطية، جريدة الوقت، العدد 12 فبراير 1994.

2- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هاربرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، عدد 244، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.

3- بيار بورديو، التمثيل السياسي، ترجمة رشيد شفير، مجلة الفكر العربي، العدد 59، بيروت، 1990

4- حلیم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، م د و ع بيروت، ط3، 1986

5- علي (تعوينات)، دور الأسرة في تربية وتنقيف صغارها، المجلة الجزائرية للتربية، وزارة التربية، العدد الثالث، الجزائر، 1995

6- عبدالنور ناجي، المؤثرات السياسية التي أدت إلى عدم تطوير نظم انتخابية في ظل التحول الديمقراطي، دفا تر السياسة والقانون، أبريل 2011

7- عزت سيد إسماعيل، سيكولوجيا التطرف والإرهاب، حوليات كلية الأدب، الكويت الحولية 16، 1996.

8- محمد عبد الباقي الهرماسي، الدولة والنظام في المغرب، المستقبل العربي، م.د.و.ع، العدد 52، 1983.

9- محمد عابد الجابري، التراث والعمل السياسي، مجلة الثقافة، العدد 79، الجزائر، 1980.

10- الميثاق الوطني، 1976.

6- الموسوعات:

1- جوردن مارشل، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المشروع القومي للترجمة، مصر، 2000.

2- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة، بيروت، ب ت، ص 768.

7- المواقع الالكترونية:

1- ويكيبيديا الموسوعة الحرة (WWW. DJELFA. INfo)

2- موقع النائب السابق د.خوجة إبراهيم، العروشية لاعب رئيسي في الانتخابات التشريعية الشروق اون لاين.

8- المراجع باللغة الأجنبية:

1-Abdelghani Megherbi: Culture et personnalité Dans Le Société Algérienne De Massinissa a nos jours ENAL، OPU، Algérie، 1966

- 2-Abdelghani Megherbi: Le miroir aux alouettes ,ENAL ,OPU , Algérie, 1985.
- 3-Alan(Accardo) ,sociologie de Bourdieu ed, Mascaret, bourdieu , 1986.
- 4-Djamchid(B)et Bouraoui: Le défi des traditions, «familles musulmanes et modernité» Paris publisud 1986
- 5- Emil Durkheim ,Education et sociologie, Paris : P.U.F,4édition,1980
- 6-Ferguène Ameziane ,(Recherche Identitaire et Etat-Nation),Revue Insanyat,in Mémoire et histoire (CRASC ,N° 3 Hiver , Oran,1997.
- 7- Jean charlot, Les partis politiques, Librairie Armand colin 103, boulevard saint Michel, Paris 1976
- 8-Jonson , Harry . Sociology : A Systematic Introduction , London , Routledge and Kegan paul , 1981.
- 9- Jonathan Friedman, Choc de cultures et logique de déclin hégémonique, in Tribus et pouvoirs en terre D'Islam, SD de Horsham Dawood, Armand Colin, Paris,2004
- 10-Moustapha , Boutefnouchet, La famille Algérienne évolution et caractéristiques récentes , Alger Edition, SNED,1982.
- 11-Moustapha , Boutefnouchet , système social et changemen social en Algérie,office de publications Universitaires,Alger, sons année

- 12 -Medhar Slimane, L'échec des systèmes politiques en Algérie , ed chehab, Alger,1999
- 13 -M 'HAMED Boukhobza, L'agro-pastoralisme traditionnel en Algerie De L'ordre au désordre colonial,o P ,U, Alger,1982
- 14-Nafissa (Zerdoumi) :Enfant d' hier,L'Education de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, Maspero, Paris,1970.
- 15- Pierre Bourdieu, Sociologie L'Algérie, Que Sais Je ? P .U .F 3^e édition, Paris, 1970
- 16 -Pierre Bourdieu ,Les trios états du capital culturel, actes de recherche en science sociales N°30,Paris,1979.
- . 17_ Robert Montagne ,Les Berbères et le makhzen dans le sud du Maroc , collection(9) archives(Casablanca, Afrique orient,1989.

الملاحق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة علم الاجتماع تخصص تربوي

دليل الاستثمار

هذه الاستثمار - عبارة عن مجموعة من الأسئلة- الغرض منها بحث علمي في إطار انجاز أطروحة دكتوراه بعنوان:- الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية وتأثيرها على إنتاج المؤسسات الانتخابية- لذا فإنّ المعلومات والأجوبة التي تدلون بها مهمة للغاية، وسنتحرى السرية ونقدّر الأمانة، وهي لن تستعمل إلاّ لهدف البحث، لذا نرجو منكم الإجابة عن أسئلتنا بمنتهى الواقعية والصراحة.

ضع علامة X مقابل الإجابة التي توافق عليها

1- البيانات الشخصية:

- 1- السن:..... الجنس: ذكر أنثى
- 2 - الحالة العائلية: متزوج أعزب مطلق عدد الأولاد:
- 3- اسم قبيلتك (عرشك):..... اسم عشيرتك (فرقتك).....
- 4- المستوى التعليمي:.....
- 5- المهنة:.....

2- الممارسات الاجتماعية:

- 1- نوع الأسرة التي تقيم معها: - بسيطة (أب وأم وأولاد)
- ممتدة (أب وأم وأولاد وزوجاتهم والجد والجدة)
- 2- هل زوجتك (زوجك) من الأقارب؟ نعم لا ، إذا كان نعم ما نوع القرابة؟
من نفس العائلة من نفس العشيرة من نفس القبيلة من نفس المنطقة
- 3 - هل تسكن بجانب أقاربك في الحي؟ نعم لا
- 4- هل لعشيرتك أو قبيلتك حي معروف بهم أو قرية خاصة بهم؟ نعم لا
- 5- هل يتم التواصل والتضامن بين عائلات أقبائك؟ نعم لا
- 6- هل يتم التضامن بين الأقارب: (بالمال بالجهد بالكل لا تضامن
- 7- هل تسعى العائلة لتعريف أبنائها بذويهم؟ لا نعم: (كثيرا قليلا نادرا)
- 8- هل تشعر بمسؤولية تجاه أبناء عشيرتك أو قبيلتك؟ لا نعم
- 9- ماهي الروابط الاجتماعية الأكثر أهمية في مجتمعكم؟ رابطة الدم رابطة العمل
رابطة المصلحة
- 10- عند الزواج ماهو المعيار الأهم للاختيار بعد معيار الاستقامة؟ المستوى العلمي
المستوى المادي (المال) النسب (العائلة)
- 11- هل تملك عائلتك؟ أراضي للرعي مواشي خيمة مسكن في الريف
مزرعة
- 12- هل تتمسك العائلة بالأرض ذات الطابع العرشي؟ نعم لا

13- عند حصول طارئ في المجتمع (حدث اجتماعي كبير) من يتصدر المشهد من

حيث الحضور والفاعلية؟ فئة الشباب فئة المتقنين أعيان البلد

14- ما علاقتك بعشرتك؟ انتماء وولاء نسب فقط لا علاقة

3- الممارسات الثقافية:

1- ماهي نشاطاتك الثقافية؟ المطالعة الانترنت السياحة الرياضة

أخرى.....

2- تتم تنشئة أبنائكم على؟ الطاعة الحرية الشخصية الجمعية الفر دانية

القيم المحافظة قيم الانفتاح والتجديد التواصل مع الأقارب

3- هل تسعى العائلة للتمسك بالعادات والتقاليد؟ لا نعم (كثيرا أحيانا نادرا)

4- هل تعمل العائلة في مجتمعكم على توعية الأبناء بنسبهم وانتمائهم القبلي لتعريفهم

بأصولهم؟ نعم لا

5- من يقود عائلتكم؟ الأب الأم مشتركة آخر.....

6- ماهي مجالات تدخل العائلة في الأبناء؟ مجال الدراسة اختيار الأصحاب

الزواج السياسة الدين اختيار المهنة تربية الأبناء العلاقات الشخصية

7- هل تعتمد قيادة العائلة في مجتمعكم على نظام؟ الحزم والضبط الحرية الفردية

التشاور

8- عند طلب مساعدة من طرف أبناء عشيرتك، أعتقد وجود تآزر ومساندة؟ بقوة

قليلًا لا تضن التعليل.....

9- تقام عدّة مناسبات خاصة بأبناء العرش (الوعدة، وقفات تضامنية) هل؟ تحضرها
تشارك فيها لا تهتمك

التعليل.....

10- هل هذه المناسبات في رأيك؟ عادات وتقاليد بالية سلوك اجتماعي ضروري
تقاليد لا تضر ولا تنفع

11- عن ماذا تعبر تسمية بعض المؤسسات والنوادي والمنتجات باسم جد العرش في
رأيك؟ التبرك تأكيد الانتماء تأكيد الخصوصية تخليد العرش

12- نسبك لقبيلتك أو عشيرتك ماذا يعني؟ شرف لك بطاقة تعريف فقط لا
يهمك جواب آخر.....

4- الممارسات السياسية:

1- هل شاركت في الانتخابات المحلية والوطنية؟ لا نعم (دائما أحيانا
نادرا) علل.....

2- هل تعتبر الانتخابات المحلية؟ مناسبة لتنافس الأحزاب مناسبة لتنافس العروش
أخرى.....

3- هل ترى أن عملية الانتخاب؟ عملية اختيار برامج عملية تزكية أشخاص

4- ماذا يتطلب من المرشح للانتخابات المحلية؟ مستوى دراسي مستوى مادي
عرش قوي آخر.....

5- حسب تجربتك العضو المنتخب هل يمثل؟ عامة الناس عرشه أو منطقتة

6- على ماذا تقوم الحملة الانتخابية عادة؟ شرح البرامج السياسية التعليق على نسب المرشحين وحسبهم الإطعام أخرى.....

7- في الانتخابات التعددية المحلية هل يركز المنتخب على؟ برنامج الحزب نسب المرشحين كفاءة المرشحين أخرى.....

8- عادة إلى من يعود الفوز في الانتخابات المحلية في مجتمعنا؟ قائمة أصحاب المال القائمة العرش السائد القائمة المعارضة للسلطة

9- في فترة الانتخابات عادة ما تتوتر العلاقات وتقع التكتلات في رأيك ما السبب؟
التعصب الحزبي التعصب العرشي أخرى.....

10- أي الفئتين بيدها أهم خيوط لعبة الانتخابات المحلية؟ مسؤولي الأحزاب كبار العرش

11- أي المجلسين أكثر تأثيرا في الحياة العامة للمجتمع؟ المجلس البلدي مجلس الأعيان

التعليق.....

12- ما رأيك في ظاهرة العروشية هل هي؟ في تزايد في تناقص

التعليق.....
.....
.....

أشكركم على تعاونكم معنا

فهرس المحتويات

مقدمة:

مدخل: البناء المنهجي للبحث

- 1- الإشكالية 11
- 2- الفرضيات 14
- 3- أهداف البحث 17
- 4- أهمية البحث وأسباب اختياره 18
- 5- منهج الدراسة 19
- 6- المفاهيم الأساسية 22
- 7- الدراسات السابقة 25

الباب النظري للدراسة

الفصل الأول

التراث السوسيولوجي للعرش (القبيلة) والعروشية (القبيلة)

تمهيد:

- 1- مفهوم العرش (القبيلة) والنظام العرشي (القبلي) 41
- 2- الأشكال المرفولوجية للبناء القبلي 47
- 3- وظائف ومحددات النظام القبلي (العرشي) 51
- 4- مفهوم الممارسات العرشية (القبيلة Tribalisme) 56
- 5- الأسرة والقرابة 59
- 6- المقاربات النظرية للعرش (القبيلة) 78
- 7- التاريخ القبلي (العرشي) في المجتمع العربي والجزائري 84
- خلاصة الفصل 93

الفصل الثاني

التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالبناء الاجتماعي

تمهيد:

- 1- مفهوم التنشئة الاجتماعية.....96
- 2- مؤسسات التنشئة الاجتماعية.....99
- 3- نظريات التنشئة الاجتماعية.....120
- 4- آليات وأساليب التنشئة الاجتماعية 133
- 5- الأبعاد التربوية للممارسات الاجتماعية الثقافية التقليدية.....137
- 6- العروضية وعلاقتها بالتنشئة السياسية في المجتمع الجزائري.....138
- خلاصة الفصل.....141

الفصل الثالث

الممارسة السياسية وعلاقتها بالاجتماعي

تمهيد:

- 1- مظاهر التحديث السياسي في الجزائر.144
- 2- مرجعيات الممارسة السياسية في الجزائر.....148
- أ- المرجعية الاجتماعية.....150
- ب- المرجعية التاريخية.....152
- ج- المرجعية الدينية.....155
- 3- واقع الممارسة السياسية في الجزائر.....159
- 4- علاقة المجتمع بالدولة.....161
- 5- العوامل المؤثرة في السلوك الانتخابي.....165
- أ- الثقافة السياسية المحلية.....165
- ب- البناء والتنظيم الاجتماعي المحلي.....168

169.....	ج- البيئة السياسية.....
172.....	6- العروشية كمحدد للسلوك الانتخابي.....
174.....	خلاصة الفصل.....

التحقيق الميداني للدراسة

الفصل الرابع

الإجراءات العملية للدراسة

177.....	1- مجالات الدراسة.....
177.....	1.1 - المجال المكاني للبحث.....
177.....	أ- الخصائص الجغرافية.....
178.....	ب- الخصائص الطبيعية.....
179.....	2.1 - المجال الزمني للبحث.....
179.....	أ- المرحلة الاستطلاعية والنظرية.....
180.....	ب- مرحلة العمل الميداني.....
180.....	3.1 - المجال البشري للبحث.....
181.....	أ - الخصائص الاجتماعية.....
183.....	ب- التركيبة العرشية.....
188.....	2- الأدوات المنهجية للدراسة.....
189.....	1.2 - العينة وخصائصها.....

199.....	2.2 - التقنيات المستعملة
206.....	3 - صعوبات الدراسة
207.....	خلاصة الفصل

الفصل الخامس

تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على المؤسسات الرسمية

تمهيد:

209.....	1- الممارسات الاجتماعية وأثرها في إعادة إنتاج العرش
209.....	أ- التوزيع المجالي والعلاقات القرابية
215.....	ب- تطبيق القانون العرفي
219.....	ج- طبيعة النشاط الاقتصادي
222.....	د- التمسك بالأرض العرشية
224.....	هـ- السلطة الأبوية
226.....	2- الممارسات الثقافية ودورها في تكوين الوعي القبلي
228.....	1- التنشئة الاجتماعية التقليدية
228.....	أ- طرق التنشئة الاجتماعية
230.....	ب- آليات التنشئة الاجتماعية
234.....	2- إقامة الاحتفالات الخاصة بالعرش
235.....	أ- محددات الوعدة (الطعم)
237.....	ب- أهداف الوعدة

- ج- وعدات مجتمع الجلفة.....238
- 3 - استعمال الرموز المتعلقة بالعرش.....240
- أ- رمزية الممارسات.....240
- ب- رمزية جد القبيلة.....242
- 3- الممارسات العرشية والمؤسسات السياسية.....243
- 1.3- العلاقة التاريخية للقبيلة (العرش) بالممارسة السياسية.....243
- أ- القبيلة وتأسيس الدول.....245
- ب- القبيلة وسقوط الدول.....246
- ج- القبيلة والدولة الوطنية.....247
3. 2- الممارسات العرشية والأحزاب السياسية.....249
- أ- الممارسات العرشية والأحزاب الديمقراطية.....249
- ب- الممارسات العرشية والتيار الإسلامي.....250
- ج- السلطة العرشية والسلطة الحزبية.....253
- 4- تحليل نتائج الفرضية الأولى.....257

الفصل السادس

تأثير الممارسات الاجتماعية الثقافية العرشية على الانتخابات

تمهيد:

- 3- الممارسات العرشية ومراحل العملية الانتخابية.....261
- 4- المجالس القبلية والمجالس المنتخبة.....281
- 5- الممارسات العرشية بين القطيعة والتواصل.....284

286.....	6- نتائج الفرضية الثانية.....
288.....	7- النتائج العامة للدراسة.....
291.....	- الخاتمة
293.....	- المراجع
308.....	- الملاحق.....

فهرس الجداول

الصفحة	العنوان	الرقم
188	توزيع أفراد عينة البحث حسب الانتماء العرشي	01
189	سن أفراد عينة البحث	02
190	جنس أفراد العينة	03
191	الحالة العائلية لأفراد العينة	04
193	نوع أسرة لدى أفراد العينة	05
193	المستوى الدراسي لأفراد عينة البحث	06
194	مهنة أفراد العينة	07
195	سكن أفراد العينة بجوار الأقارب	08
196	قربانة الزوجة عند أفراد العينة	09
197	أقوى الروابط الاجتماعية في مجتمع أفراد العينة	10
198	موقف أفراد العينة من العرش	11
209	وجود حي أو جهة خاصة بأقارب أفراد عينة البحث	12
210	تواصل عائلات أفراد العينة	13
212	نوع التضامن بين أبناء القبيلة عند أفراد العينة	14
213	معيان الزواج عند أفراد العينة	15
214	أولوية للقانون أو العرف للمبجوثين	16
215	شعور أفراد العينة بالمسؤولية تجاه أبناء العشيرة	17
216	اعتقاد أفراد العينة بمؤازرة أبناء العشيرة لهم	18
218	توزيع الأسواق في بلديات الولاية خلال أيام الأسبوع	19
221	امتلاك واستغلال أفراد العينة للأرض العرشية	20
223	نظام القيادة في أسرة أفراد العينة	21
225	النشاطات الثقافية لأفراد العينة	22

227	التمسك بالعادات والتقاليد عند أفراد العينة	23
228	نظام التنشئة داخل أسر أفراد العينة	24
229	مجالات تدخل العائلة في تنشئة الأبناء	25
230	تعريف الأبناء بذويهم من طرف أسر أفراد العينة	26
231	تعريف الأبناء بنسبهم من طرف أسر أفراد العينة	27
232	القيم التي ينشأ عنها الأبناء في رأي أفراد العينة	28
234	موقف أفراد العينة من الوعدة	29
235	حضور ومشاركة أفراد العينة في الوعدة	30
238	أهمية النسب للعرش بالنسبة لأفراد العينة	31
242	رمزية التسمية باسم جد العرش بالنسبة لأفراد العينة	32
247	علاقة أفراد العينة بالعملية الديمقراطية	33
248	الفئة التي تنصدر المشهد في رأي المبحوثين	34
249	طبيعة التنافس في رأي أفراد العينة	35
253	علاقة القيادة في العائلة وتصدر المشهد في المجتمع	36
254	علاقة معايير التنشئة والفئة المؤثرة في الانتخابات	37
255	علاقة السكن في جوار الأقارب وطبيعة التمثيل السياسي	38
256	مشاركة أفراد العينة في الانتخابات	39
260	معيار الترشح للانتخابات في رأي المبحوثين	40
262	مجال تركيز الحملة الانتخابية في رأي المبحوثين	41
263	مجال تركيز الناخب في رأي المبحوثين	42
265	أسباب التوتر في رأي المبحوثين	43
266	مرجعية الفوز في الانتخابات المحلية في رأي المبحوثين	44
266	التمثيل السياسي في رأي المبحوثين	45

268	الفئة الفاعلة في رأي المبحوثين	46
269	علاقة التجاور في السكن وطبيعة التنافس في الانتخابات	47
271	علاقة المسؤولية تجاه العرش بمجال تركيز الناخب علاقة	48
272	علاقة نوع التضامن بهدف الفرد في الانتخابات	49
273	نوع الروابط الاجتماعية بأسس الحملة الانتخابية	50
274	علاقة أهمية النسب بمتطلبات الترشح للانتخابات	51
275	علاقة توعية الأبناء بنسبهم ومجال تركيز الناخب	52
276	علاقة مشاركة الفرد في الوعدة بمشاركته في الانتخابات	53
277	علاقة الاعتقاد بوجود تآزر بمتطلبات الترشح للانتخابات	54
278	علاقة أهمية النسب بطبيعة التنافس في الانتخابات	55
279	علاقة نوع الروابط الاجتماعية بمرجعية الفوز في الانتخابات	56
280	علاقة التضامن بسبب التوتر الاجتماعي في فترة الانتخابات	57
281	المجلس الفاعل في رأي المبحوثين	58
283	نتائج الانتخابات البلدية حسب الانتماء العرشي منذ الاستقلال	59
284	مدى استمرارية الممارسات العرشية في رأي المبحوثين	60

